الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية الأداب و اللغات و الفنون

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة و الأدب العربي

التفسير البياني للنص القرآني عند فاضل صالح السامرائي

تقديم : شادلي سميرة

نوقشت يوم:2016/06/06 م من طرف اللجنة المتكونة من:

ا.د خالد فرعون	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	رئيسا
ا .د. إدريس قرقوة	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مشرفا
ا.د. كرومي لحسن	جامعة طاهري محمد بشار	مشرفا مساعدا
د الأحمر الحاج	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مناقشا
ا.د.بلقاسم محمد	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان	مناقشا
ا.د منقور عبد الجليل	المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت	مناقشا

السنة الجامعية 2015-2016

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

النص القرآني الكريم إعجاز بياني خالد، تحدى به الله سبحانه و تعالى العرب الأقحاح، الذين بلغوا ذروة الفصاحة و البلاغة ، فعجزوا عن مجاراته و الإتيان بمثله،أو بآية من مثله، بالرغم من أن مادته من جنس كلامهم، فالقرآن سفر عظيم، و كلام فني مقصود محكم في نظمه، دقيق في استعماله، و اختياره، وضعت فيه كل كلمة، بل كل حرف في موضعه المناسب، و سياقه الملائم، فراعى التعبير القرآني في كل آية من آيه، و في كل سورة من سوره مقتضيات الأحوال، و المقامات فجاء قمة في البلاغة، و الإعجاز متعاليا على النمطية البيانية البشرية.

لقد شغل الإعجاز القرآني الدارسين والمهتمين باختلاف مرجعياتهم، ومذاهبهم، وشكل قضية تعقد من أجلها الكتب و الدراسات، مما أنتج لنا زادا نقديا ثرا، متباين الاتجاهات متعدد النظرات، و جعل البحث الإعجازي بحثا مفتوحا لكل من يروم التماس مواطن وأسرار الإعجاز، كيف لا؟، و النص المدروس لا تنته عجائبه ، فهو البحر الواسع ، و النبع المتدفق، و السحر المتجدد المتعدد، الذي تنتهي الدنيا و لا ينته.

إن هذه الحقيقة بعثت في أنفسنا الرغبة في البحث عن الدراسات الإعجازية المعاصرة التي واصلت مسيرة استكشاف سر الإعجاز القرآني ، و الوقوف على الآليات و الأدوات التي يقرأ بها النص القرآني حاليا، و محاولة إيجاد الفوارق بين القراءات التراثية، و القراءات المعاصرة.

و لعل أول دارس إعجازي معاصر تبادر إلى الذهن هو الدكتور فاضل صالح السامرائي، الذي بدأت قصتي، أو رحلتي معه منذ سنوات، حيث كنت أجلس أمام شاشة الشارقة، أنتظر بفارغ الصبر حصة "لمسات بيانية"، استمع فيها إلى رجل عراقي يتحدث عن إعجاز القرآن حديثا ممتعا لا يمل، و يفسر القرآن تفسيرا مغايرا، إلا أنه مقنع و مؤثر، مما جعل تساؤلات عدة تراودنا، و تدفعنا دفعا إلى البحث، و تشدنا شدا إلى الرجل و منهجه فعدنا إلى كتبه التنظيرية و التفسيرية، فازددنا تعلقا و فضولا، بعد أن وجدناه يتبنى منهجا جديدا في تفسير القرآن الكريم، أطلق عليه مصطلح "التفسير البياني"، فعزمنا الكشف والتعرف على هذا المنهج، و الوقوف على آلياته و أدواته.

و بالرغم من مساهمات السامرائي اللغوية و النحوية و إبداعه في تفسير القرآن، إلا أننا لم نظفر على دراسات حوله تعيننا في إنجاز هذا البحث، باستثناء بعض المقالات الالكترونية، التي تتحدث عنه حديثا عاما، أو مختصرا، لذلك كان البحث نوعا من المجازفة و المغامرة العلمية .أما عن كتب السامرائي فقد تحصلنا عليها بفضل الله و عونه كلها بعد جهد جهيد لأنها غير متوفرة في وطننا باستثناء كتاب أو إثنين.

كما أننا لا نخفي شعورنا بالتقصير، و الإرهاق معا، و نحن نخوض هذه المغامرة ونبحر في فضاء السامرائي، ذي المستوى العلمي و اللغوي و الثقافي العالي، و المتشعب الذي احتاج منا إلى صبر، و تدبر، و إمعان النظر، كما لا يجدر بنا إخفاء الشعور بالأنس والمتعة العلمية و نحن ننتقل رفقة السامرائي من لمسة قرآنية فنية إلى أخرى.

وقد استدعت طبيعة الموضوع، و الهدف المسطر له اعتماد المنهج الوصفي التحليلي الذي مكننا من وصف طريقة تفسير السامرائي للقرآن الكريم، و إزاحة الغطاء عن آلياته بعد التنقيب و التحليل.

و بعد بحثنا هذا وجدنا السامرائي قد اعتمد في تفسيره البياني على الكلمة القرآنية وهي في سياقها بشقيها: الشق البنائي أو الصرفي، و الشق المعنوي، كما اعتمد على التركيب القرآني، و ما يعتريه من تغيرات لذلك كانت خطة بحثنا كالآتي:

بدأنا بمدخل عبرنا من خلاله إلى مفهوم التفسير البياني عند السامرائي، بعد أن حددنا مفهوم التفسير العام، ثم تحدثنا في الفصل الأول عن اهتمام السامرائي ببنية الكلمة، واعتمادها في تفسيره من أجل بلوغ الدلالات و المقاصد، فقسمنا حديثنا هذا إلى عنصرين العنصر الأول تكلمنا فيه عن بنية الكلمة القرآنية (أبنية الأسماء و أبنية الأفعال)، و دلالاتها في التعبير القرآني، و العنصر الثاني ذكرنا فيه التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة، و أثرها في الدلالة. أما الفصل الثاني فخصصناه لدلالة الكلمة أو معناها، لأن السامرائي اهتم بهذا الجانب اهتماما بالغا، و أثبت بتفسيره هذا أن القرآن الكريم يستعمل كل كلمة في موضعها المناسب، و لا يستعمل قريباتها و مرادفاتها مراعيا بذلك السياق و المقام أدق مراعاة. لذلك حاولنا تتبع دلالات الكلمات القرآنية، وإبراز دقة استعمالها من خلال تفسير السامرائي، فوقفنا عند دلالة الأسماء، و دلالة الأفعال، و دلالة الحروف.

ثم بحثنا في الفصل الثالث عن كيفية توظيف السامرائي للتركيب في تفسيره البياني فتحدثنا عن إبرازه لمقصدية التركيب في ثلاثة عناصر وهي : التقديم و التأخير، الذكر و الحذف والتوكيد.

ختمنا هذا البحث بنتيجة دونا فيها أهم الملاحظات و الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

وفي الأخير نشكر الله عز و جل الذي هدانا لهذه الرسالة، ووفقنا لإنجازها، ولا نقول إتمامها، لأننا نعلم يقينا أن الموضوع لا يزال يحتاج إلى بحوث أخرى، وأن تساؤلات وإشكالات عدة لا تزال تشغلنا، و لعلها تكون فاتحة أبواب رسائل، و بحوث أخرى في المستقبل. و نشكر الأستاذ المشرف أ.د. قرقوة على كل ما قدمه لنا من دعم، و تشجيع وتحفيز، كما نشكر الأستاذ المشرف المساعد أ.د. لحسن كرومي الذي رافقنا طيلة رحلتنا العلمية، فغمرنا بعطفه و حبه و علمه...فجزآهم الله عنا خير الجزاء.

مدخل إلى التفسير البياني

أولا- التفسير العام :

1- التفسير لغة :

لقد وردت كلمة التفسير في جل كتب اللغة و معاجمها بمعنى الإيضاح و البيان والكشف .هذا المعنى عززه القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى" وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً"[1] ففي لسان العرب يقول ابن منظور في مادة (ف س ر) "الفسر البيان : فسر الشيء يفسره بالكسر، و يفسره بالضم فسرا و فسره أبانه و التفسير مثله. وقوله عز وجل " وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً" ، الفسر كشف المغطى، و التفسير المراد عن اللفظ المشكل" [2]

أما في مقاييس اللغة فقال ابن فارس " الفاء و السين و الراء" كلمة واحدة تدل على شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر: يقال: فسرت الشيء، و فسرته ، و الفسر، والتفسرة : نظرة الطبيب إلى الماء و حكمه فيه" [3]

وقال أمين الخولي " تلتقي مادتا ف س ر و س ف ر في معنى الكشف ثم نرى السفر : الكشف المادي والظاهر، و الفسر : الكشف المعنوي و الباطن و التفعيل منه التفسير كشف المعنى و إبانته "[4]

1- سورة الفرقان الآية :23

2- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار الجيل، دار البيان، بيروت، 1998: مادة (فسر)

3- ابن فارس، مقاييس اللغة ،ت عبد السلام محمد هارون ،المجلد الرابع،دار الجيل ،ط1،بيروت، 1991 : ص 504

4-أحمد عمر أبو حجر ، التفسير العلمي للقرآن في الميزان : ص 20 – نقلا عن : التفسير معالم حياته منهجه اليوم طبعة جماعة الكتاب : ص 50

و التفسير مصدر –فسر- بالتضعيف و التضعيف يدل على الكثير و على الجهد المبذول من طرف المفسر أما المخففة – فسر – فمصدرها : الفسر – و كلاهما في اللغة بمعنى الإبانة و الكشف. وقال السيوطي " التفسير" تفعيل" من الفسر و هو البيان و الكشف "[1]

2-التفسير اصطلاحا:

التفسير هو علم قائم بذاته ظهر بعد نزول القرآن الكريم و بعد حاجة الصحابة والمسلمين إلى فهم آياته و توضيح معانيها، فهو علم يعنى بكتاب الله عز و جل. وقد جمع السيوطي في " الإتقان" مجموعة من التعاريف نذكر منها : " وقال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا و التأويل توجيه لفظ متوجه إلى معاني مختلفة إلى واحد منها لما ظهر من الأدلة " [2] ،"وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية ، و التأويل يتعلق بالدراية" [3]"وقال قوم: ما وقع مبينا في كتاب الله، و معينا في صحيح السنة سمي تفسيرا "[4] وقال الماتردي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا و الشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع فصحيح، إلا فتفسير بالرأي، و هو المنهي عنه و التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع و الشهادة على الله" [5]

بهذه الأقوال و التعاريف التي رصدها السيوطي تبين الفرق بين التفسير و التأويل إذ كان

1- السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،ت عبد الرحمان فهمي الزواوي ،ج4، دار الغد الجديد ،ط1،2006 : ص 152.

2- المصدر نفسه: ص 152

3- المصدر نفسه : ص 152

4- المصدر نفسه : ص 152

5- المصدر نفسه : ص152

هناك خلط ، و استعمال للمصطلحين في موضع واحد عند بعض العلماء و المفسرين و إن كان كلاهما يعنى بكتاب الله عز و جل.

ثم أضاف تعريفا آخر أقرب إلى تعريف التفسير : " و قال بعضهم : التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات و شؤونها، و أقاصيصها، و الأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها و مدنيها و محكمها و متشابهها، و ناسخها و منسوخها ..." [1]

كما أن لزركشي تعريفا حسنا في رأي العلماء إذ قال : " التفسير (علم) يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و بيان معانيه، و استخراج أحكامه وحكمه ..." [2]

من هذا الذي تقدم يتبين لنا أن علم التفسير العام هو : علم يكشف و يوضح معاني القرآن الكريم، كما يستخرج حكمه و أحكامه، و يبحث في سوره من حيث الترتيب و أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ...و قد ألفت كتب عدة تحاول تفسير كتاب الله عز و جل منذ نزوله على سيد الخلق، فاختلفت طرقها و مناهجها من مفسر إلى أخر، كل حسب علمه وتخصصه " و قد أكثر الناس فيه الموضوعات ما بين مختصر ومبسوط وكل منه يختصر على الفن الذي يغلب عليه" [3]

1- االسيوطي ، الإتقان، ج4: ص 152

2- الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، ت حمدي الذهبي و عبد الله الكردي، ج1دار المعرفة، بيروت: ص 104 – 105

3- نفسه : ص 105

ثانيا- التفسير البياني عند السامرائي :

ميز السامرائي في مستهل كتابه " على طريق التفسير البياني" بين التفسير العام المتعارف عليه، و هو الذي بيناه في العنصر السابق، وبين التفسير البياني الذي تبناه في دراساته و تفسيره للقرآن الكريم. والتفسير البياني عنده هو التفسير الذي يقف عند التعبير اللغوي القرآني، بدءا بالحرف، و الأداة، ثم اللفظة المفردة، و انتهاء عند التركيب، ليبين دقة التعبير القرآني في الإفصاح عن معانيه و مقاصده " ...تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم و التأخير، و الذكر و الحذف، و اختيار لفظة على أخرى و ما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير"[1]، وقد جعل السامرائي من التفسير البياني جزءا من التفسير العام .

إذن التفسير البياني كما وضحه السامرائي هو بحث في أسرار اللغة القرآنية، و تنقيب عن الناحية الفنية، واللمسة البيانية التي تحمل معها المعنى الدقيق دون غيرها، المعنى الذي يكون قد وصل إليه التفسير العام، وقد يكون إضافة نوعية يتميز بها التفسير البياني بعد التدبر في دقائق اللغة.

وبما أن التفسير البياني هو جزء من التفسير العام فقد نبه السامرائي المفسر البياني إلى الاطلاع على كل ما يحتاج إليه المفسر العام (أسباب النزول، القراءات،النظر في السياق،أشهر كتب التفسير،...الخ) فالمفسر البياني يتعامل مع نص خاص جدا فعليه ألا

1- السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1 ص: 07

يخرج عن السياقات و المعاني العامة للسور و الآيات، فحاجة المفسر البياني لهذه الأمور ضرورة، إلا أن حاجته لعلوم اللغة أكبر، لأن غايته ومدار دراسته و اهتمامه هو اللغة القرآنية، وتتبع كل ما تتميز به من لمسات بيانية وتعابير لغوية فنية، ووصف دقتها في إصابة المعاني والدلالات.و تأثيرها الرهيب على العقول و النفوس "إن الذي يتصدى للتفسير البياني يحتاج إلى ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير العام إلا أن به حاجه أكثر للأمور الآتية:

1-التبحر في علوم اللغة 2-التبحر في علم التصريف 3-التبحر في علم النحو 4-التبحر في علوم البلاغة و بعبارة موجزة (التبحر في علو اللغة العربية، فلا تغني المعرفة اليسيرة.."[1]

لذلك نجد السامرائي في تفسيره البياني للقرآن الكريم يقف عند التعبير القرآني مرتكزا على مستوياته اللغوية (صرفية ، نحوية ، تركيبية) معتمدا على علوم اللغة في الوصول إلى المقاصد و الدلالات "و من المهم أن أذكر ها هنا أنني في أحكامي و استنباطاتي اعتمدت على قواعد اللغة و لم أخرج عنها " [2]

لقد اعتنى السامرائي في دراساته و تفسيره بالكلمة القرآنية وهي منسجمة في سياقها فدرسها من الناحية البنائية والمعنوية(المبنى- المعنى) وجعل منها منطلقا موصلا إلى الدلالات و المقاصد القرآنية، كما أولى التركيب القرآني اهتماما كبيرا، فكشف عن

1-ينظر على طريق التفسير البياني ،ج 1 : ص 7

2- المصدر نفسه : المقدمة

انسجامه وتناسقه ، وتتبع تغيراته و تقلباته من موضع إلى آخر، و بين مقصدية كل تركيب ومناسبته لسياقه العام، وذلك بالموازنة بين النصوص المتشابهة، فمن أجل ذلك انقسمت دراستنا هذه إلى ثلاثة أقسام.

الفصل الأول:

التفسير الصرفي

- تمهيد:

يقول ابن منظور في مادة (بنى) : و البني نقيض الهدم . بنى البناء و البناء : المبني والجمع أبنية. و أبنيات جمع الجمع ..." [1]

لقد وجدنا معظم النحاة و اللغويين استعملوا مصطلح البناء و الأبنية كسيبويه "فالأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية ...."[2] و ابن عصفور "أبنية الأسماء الأصول أقل ما تكون ثلاثة وأكثر ما تكون خمسة ..." [3]و المقصود بالأبنية عند النحاة و اللغويين هيئات الكلمات وقوالبها التي وضعت لها ، هذا ما جاء في تعريف الحملاوي"والأبنية جمع بناء وهي هيئة الكلمة الملحوظة من حركة و سكون وعدد حروف و ترتيب...."[4]والمعنى نفسه ذكرته خديجة الحديثي "والأبنية كما بحثتها جمع بناء و المراد هيئة الكلمة التي وضعت عليها والتي يمكن أن يشاركها فيها غيرها" [5]

وقد ورد مصطلح آخر مرادف للبنية في كثير من البحوث و الدراسات الحديثة وهوالصيغة فلقد "استخدم كثير من الدارسين مصطلح البنية الصرفية يريدون بها الصيغة الصرفية منهم

1-مادة (بنى) ابن منظور.لسان العرب

2-سيبويه –الكتاب، ت عبد السلام محمد هارون ،ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2: ص5

3-ابن عصفور ، الممتع في التصريف،ت فخر الدين قباوة، ج1 ، دار المعرفة، ط1 ، بيروت 1988: ص60

4-الحملاوي ،شذا الحرف في فن الصرف،تقديم محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، الرياض : ص 50

5-خديجة الحديثي ،أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1،1965 :ص 17

الدكتورة خديجة الحديثي و الدكتورة هدى جنهويتشي و الباحثة سناء فرح والباحثة هناء قشوع" [1] ومصطلح الصيغة يرادف الميزان و البنية و المثال"[2] ، إلا أننا نلحظ كثرة تداول مصطلحي البنية و الصيغة مقارنة بالمصطلحات الأخرى.

وميدان الأبنية علم الصرف حديثا كما اهتم بها النحاة و اللغويون القدامى ضمن دراساتهم النحوية، فجاءت متفرقة و متناثرة في كتبهم تحتاج التفصيل و التبويب " أما موضوع هذا العلم الشريف فهو الكلمات العربية من حيث الهيئة و الكيفية التي تكون عليها لتدل على معانيها المقصودة و من حيث التغيرات التي تعتريها الأغراض اللفظية " [3] "وموضوع علم الصرف هو أبنية المفردات العربية من حيث صياغتها لإفادة المعاني المختلفة و ما يعتريها من الأحوال العارضية ..." [4]

وبهذا فإن دراسة بنية الكلمة على ضربين: ضرب يتناول هيئتها التي وضعت لها وضرب يتناول التغيرات التي تطرأ على هذه البنية ، لذلك سنتتبع ذكر السامرائي لهيئات الكلمات ودلالاتها ثم ذكره للتغيرات الطارئة عليها ودلالتها كالذكر و الحذف و الإبدال مقتصرين بطبيعة الحال على ما خصه الباحث بالذكر في تفسيراته.

1-حنان جميل عايد ،الصيغ الصرفية و دلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود ، (رسالة ماجستير)، جامعة الأزهر ، غزة 2011:ص 11

2-الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف : ص 40

3-خديجة لحديثي،أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ص 26

أولا-بناء الكلمة ودلالته :

ورد في مستهل هذا الفصل أن ميدان الأبنية هو علم الصرف قرين علم النحو، تكلم عنه الأقدمون في خضم حديثهم عن مسائل النحو، ثم أفردوا له مصنفات خاصة إلا أن النحو حضي باهتمام الأولين و المتأخرين بالتنظير و الشرح و التلخيص، و ذلك لصعوبة الصرف و غموضه و صلابته "هذا و علم الصرف علم عويص يحتاج إلى تنقيب و تفتيش وغوص في استخراج لآلئه واستنكاه دره، فكم زلت فيه الأفهام وعييت عن تحقيقه الأقلام" [1]

ومادام موضوع علم الصرف الرئيسي هو الأبنية فكل ما يقال عن الصرف من صعوبة وعزوف الدارسين يقال عن دراسة الأبنية. وهذا ما يؤكده قول السيوطي " ....قد صنف العلماء في أبنية الأسماء و الأفعال و أكثروا منها، و ما منهم من استوعبها و أول من ذكرها سيبويه في كتابه ..." [2] و الرأي نفسه أكدته الباحثة حنان جميل عابد"تعد دراسة الصيغة أساسا في فهم العلوم اللغوية لذلك فإن الدراسة الصرفية تمتاز بصعوبتها... كما أن المكتبة العربية غنية بالمعجمات اللغوية التي عنيت بتفسير المفردة و توضيح معناها اللغوي أما بنية الكلمة الصرفية ودلالاتها فأظن أنها فقيرة في هذا الجانب..."[3]

1-الحملاوي ،شذا العرف في فن الصرف: ص 22

2-السيوطي ،المزهر،ت محمد أحمد جاد المولى و آخرون، ج2، دار الجيل، بيروت : ص4

3-حنان جميل، الصيغ الصرفية و دلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود :المقدمة

ومع هذه الصعوبة و الصلابة إلا أن النحاة تكلموا عن الأبنية و يأتي على رأسهم أبو النحو العربي سيبويه في كتابه "الكتاب" الذي تناولها و إن لم يرتبها و يبوبها "و قد أفرد بابا في الكلام على المجرد و المزيد من الأسماء الثلاثية و الرباعية والخماسية و الأفعال بأنواعها المجردة والمزيدة، وتكلم على مواضع الزيادة وكيفية معرفة الحروف الزوائد..." [1] ثم يليه المازني في كتابه "التصريف" الذي لم يخرج على ما جاء به سيبويه، وتكلم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النحوي في كتابه "الجمل" عن جموع التكسير و أبنية المصادر و اسمي الزمان و المكان...كما ألف ابن الجني"المنصف في شرح التصريف" ثم "ألف التصريف الملوكي"، رتب فيه موضوعات الصرف ترتيبا دقيقا كما تكلم في كتابه "الخصائص" عن بعض الأبنية و الاشتقاق و القلب المكاني. و ألف الزمخشري"المفصل" فتحدث في القسم الأول عن أبنية الأسماء و في القسم الثاني عن أبنية الأفعال. وتحدث ابن الحاجب هو كذلك عن الأبنية في كتابه"الشافية".[2]

أما المحدثون فقد ألفوا هم كذلك في علم الصرف إلا أنهم لم يخرجوا عن ما جاء به السابقون فلخصوا و بوبوا و شرحوا، نذكر من الكتب على سبيل التمثيل لا الحصر : شذا العرف في فن الصرف" و "التطبيق الصرفي" لعبده الراجحي" و "أبنية الصرف في كتاب سيبويه" لخديجة الحديثي ....إلخ.

1-خديجة الحديثي ،أبنية الصرف في كتاب سيبويه :ص 29-30

2-نفسه : ص 29-30

وقد اهتم باحثنا المعاصر السامرائي بالأبنية اهتماما كبيرا ، ظهر في مؤلفاته عامة وفي "معاني الأبنية في العربية" بصفة خاصة، و كان نموذجه وشاهده هو كتاب الله عز وجل لكن اهتمام السامرائي لم يكن اهتماما عاديا و لا نمطيا ينحو منحى كتب الصرف القديمة أو حتى الحديثة ، بل أراد بدراسته هذه كشف الغطاء عن دلالات ومعاني الأبنية بطريقته الخاصة التي نستوضحها لاحقا.

أشار السامرائي إلى ضرورة دراسة معاني الأبنية لما لها من خطورة و أهمية"موضوع مهم غاية الأهمية في البحث اللغوي، فإنه يبحث في دلالة البنية وهو موضوع جديد جدير بالبحث وبذل الجهد" [1] الرأي نفسه ذهبت إليه د هدى جنهونشي حين قالت" ...أن دراسة الأبنية الصرفية ودلالاتها تعد أساسا في فهم علم النحو و التراكيب و علم المعاني والأساليب و الأصوات" [2]

ذكرنا سابقا الكتب الصرفية التي اهتمت بالأبنية اهتماما يكاد يكون شاملا وأما ما جاء بعدها فلم يخرج عن الشرح و التلخيص، و لكن الملاحظ على هذه الدراسات هو تركيزها على إظهار الأبنية وتبيان مقيسها من مسموعها وذكر أقسامها و تفرعاتها مع الشواهد و الأمثلة التي تثبتها، و صرف النظر عن الدلالات و المعاني باستثناء بعض المواضيع التي سنذكرها،هذا التقصير في الاهتمام الدلالات أشار إليه السامرائي في

1-السامرائي ، معاني الأبنية في العربية : المقدمة

2-هدى جنهوتشي ، الأبنية الصرفية و دلالاتها في شعر عامر بن الطفيل، دار التيسير،ط1،عمان، 1995: المقدمة

أكثر من قول نحو "وسبب ذلك يعود إلى أن الأقدمين لم يركزوا البحث في هذه المسألة ولم يقطعوا في شأنها بشيء، بل كانت دراساتهم في الأكثر منصبة على كيفية صوغ البناء وهل هو مسموع أو مقيس مجردا من المعنى" [1] وقال أيضا"إن اللغويين القدامى ويالأسف لم يولوه ما يستحق من الأهمية فإنهم نظروا بصورة خاصة في شروط الصيغ و مقيسها ومسموعها وقعدوا لذلك القواعد، أما مسألة المعنى فكانوا يمرون بها عرضا..."[2]

هذا المرور العرضي الذي يتحدث عنه السامرائي لمسناه في الكتب الصرفية القديمة و التي لا يحق لنا بأي دافع من الدوافع أن ننكر عنها مجهودها ، وننفي عملها الجبار الذي قامت به، فهي حجر الأساس الذي ينطلق منه كل باحث ، ويعود إليه كل دارس حتى السامرائي نفسه لم يخرج عن ما جاء في هذه المنابع الأم. أما اجتهاده فهو في دلالات الأبنية ومناسبتها لسياقاتها، و في طريقة الطرح التي تشوق القارئ و تمتعه.

وحتى الدلالات و المعاني لا تخلوا منها المصنفات القديمة نهائيا فمن خلال بحثنا وجدنا سيبويه يتحدث عن الأبنية في كتابه-الجزء الرابع-بإسهاب، كما تميز سيبويه عن غيره بذكر الأسماء و المصادر التي تشترك في المعنى و المبنى، نذكر منها قوله "وقد جاء بعضه على فعال كما جاء على فعال وفعول قالوا: نعس نعاسا وعطس عطاسا و مزح مزاحا وأما السكات فهوداء، كما قالوا العطاس، فهذه الأشياء لا تكون حتى تريد الداء جعل كالنحاز

1-السامرائي ، معاني الأبنية، دار عمارط2، الأردن، 2007: المقدمة

2-نفسه : المقدمة

والسهام، وهما داءان وأشباههما" [1]وقوله أيضا"ومثل هذا الغليان، لأنه زعزعة، وتحرك ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران، و اللمعان لأن هذا اضطراب و تحرك..."[2] وغيرها من النصوص التي بسطها سيبويه بغية تبيان مجيء المصادر على بناء واحد وذلك لتقاربها في المعنى.

أما ابن عصفور فقد ذكر هو كذلك في كتابه "الممتع في التصريف" معاني بعض أبنية الأفعال نحو :"تفاعل تكون متعدية وغير متعدية ... ولها ثلاث معان:

أحدهما أن تكون لإثنين فصاعدا نحو : تشاتما و تقاتلا و الثاني الروم : كقولك تقاربت من الشيء... و الثالث الإيهام: و هو أن يريك أنه في حال ليس فيها كقولك "تغافلت"و"تعاميت و تجاهلت" أي أظهرت ذلك و إن لم أكن في الحقيقة موصفا بذلك"[3]

وقد وجدنا ابن جني في خصائصه يتحدث عن معاني بعض المصادر في قوله "وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير: نحو الزعزعة و القلقلة والصلصلة و القعقعة و الصعصعة و الجرجرة و القرقرة...فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر، والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها" [4]

1-سيبويه ،الكتاب ،ج 4 : ص10

2-نفسه: ص 14

3-ابن عصفور ، الممتع : ص 182

4-ابن جني ، لخصائص ،ت محمد النجار، ج2 ، المكتبة العلمية: ص 152-153

وقال في تكرير العين: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا : كشّر، و قطّع ، و فتّح ، و غلّق وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابله قوة الفعل و العين أقوى من الفاء و اللام..."[1]

كل هذه النصوص و غيرها تدل على أن القدامى أشاروا إلى دلالات بعض الأبنية إلا أنهم لم يكونوا يولوها عناية خاصة بل كانت تظهر أحيانا، و تغيب أحيانا أخرى وهذا ما يفسر قول السامرائي "وقد اجتهد قسم منهم في تفسير قسم من معاني أبنية المبالغة و غيرها من الأبنية إلا أنه لا يزال ناقصا غير مكتمل، وتفسيرهم في كثير من الأحيان اجتهاد لا يقوم على أمر مقطوع به ..."[2]

يتضح لنا من خلال كل ما سبق أن السامرائي لا ينكر على الأقدمين مجهوداتهم إلا أنه يرى أن البحث في هذا المجال لا يزال ناقصا غير متخصص، الرأي نفسه يشمل الدراسات الحديثة التي نحت في كثير من الأحيان منحى الأولين فجاءت شارحة ، و مبسطة لذلك يرى السامرائي أن النقص في البحث لا يزال قائما " وحسبك أن دارس العربية لا يرى فرقا أو لا يفكر فيما إذا كان ثمة فرق بين صبار و صبور، و غفار و غفور وهماز و همزة و منحار و نحار و علام و علامة، حتى أن الصبان قال :"لم أر في ذلك نقلا"[3]

1-ابن جني ،الخصائص، ج2 : ص 155

2-السامرائي، معاني الأبنية : المقدمة

3-نفسه : المقدمة

وقال في نص أخر "إننا الآن نستعمل الأبنية مجردة من معناها الدقيق المتميز فنقول :"هو نشيط أو نشط" كما يحلو لذوقنا لا كما يقتضي المعنى، و لا نقصد باستعمال كل منهما معنى خاصا به ..." [1]

من خلال بحثنا هذا صادفتنا دراسات معاصرة تناولت دلالات الصيغ و الأبنية نذكر منها:" الأبنية الصرفية ودلالاتها في شعر عامر بن الطفيل"ل هدى جنهوتشي، ودراسة بعنوان" الأبنية الصرفية في السور المدنية-دراسة لغوية دلالية" للباحثة عائشة محمد سلامة قشوع . ودراسة بعنوان "الصيغ الصرفية و دلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود" للباحثة حنان جميل عابد، وأخرى بعنوان""صيغ المبالغة القياسية-اتحاد المبنى و المعنى" لمحمد أمين الروابدة ، فوجود مثل هذه الدراسات والبحوث جعلنا نطرح تساؤلا عن ما إذا كان الباحث السامرائي قد اطلع على هذه الأعمال التي اهتمت بمعاني الأبنية أم لا؟ أم أنه كان يطمح لأهداف و أغراض أخرى قد لا تكون هذه الأعمال قد أصابتها؟و الظاهر لنا هو أن هذه الدراسات اشتركت كلها في اهتمامها بدلالات الأبنية وشعورها بالتقصير و النقص في هذا المجال، كما أنها اعتمدت جميعها على ما جاء في المصادر الأولى من أبنية، محاولة البحث عنها و إيجادها في السند الذي اختاره كل باحث كحقل للبحث، ثم إظهارها وتدوينها في جداول إحصائية مع ذكر بعض الدلالات التي وردت في الكتب القديمة.

1-السامرائي ، معاني الأبنية : المقدمة

أما منهج السامرائي في دراساته و تفسيراته هو الوقوف عند أبنية الكلمات القرآنية وشرحها والكشف عن معانيها ومقاصدها، و ذلك بمقارنة النصوص القرآنية مع بعضها البعض و إيجاد المقاصد التي من أجلها يختار التعبير القرآني هذه البنية بدلا من بنية أخرى و إظهار مناسبتها و اتساقها مع السياق الذي ترد فيه، فالدلالات و المعاني قد تكون معروفة أما سبب اختيارها في هذا السياق و اختيار غيرها في سياق آخر مع تشابه التعبيرين القرآنيين فهذا هو مجال اجتهاد السامرائي"وقد حاولت الوصول إلى المعنى على طريق النظر و الموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ، وهذا النظر قائم على الاستعمال القرآني أولا علما بأني أعلم أن القرءان الكريم قد استعمل بعض من الأبنية لمعان خصها به هو،وقائم على دراسة الضوابط العامة، و الأصول التي وضعها علماء اللغة، و على المعاني التي يفسرون بها المفردلت أو الأبنية"[1] وهذا ما سيظهر من خلال بسطنا لتحليلات الباحث وتفسيراته، و لكن قبل الخوض في هذا تجدر بنا الإشارة إلى طريقة تناول الباحث لموضوع دلالات الأبنية.

لقد وجدنا الباحث السامرائي قد خصص كتاب "معاني الأبنية في العربية" لدراسة بناء الكلمة-إلا أنه لم ينح منحى كتب الصرف التي كانت تقسم الدراسة عادة إلى قسمين: قسم لأبنية الأفعال و قسم لأبنية الأسماء، بل تحدث في مستهل كتابه عن الفرق بين الاسم والفعل و مقصدية استعمال كل منهما، ثم فصل حديثه عن أبنية الأسماء ودلالاتها دون

1-السامرائي ، معاني الأبنية :المقدمة

الأفعال. أما كتابه"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" فكان كتابا خاصا بالكلمة العربية معنا ومبنا ،فركز على موضوعات صرفية دون غيرها كالذكر و الحدف في الكلمة، و الإبدال وفعل و أفعل بمعنى، و المبني للمجهول ، و الأفراد و التثنية و الجمع، بالإضافة إلى موضوعات أخرى غير صرفية. وقد تناول السامرائي الأبنية تناولا مختصرا في كتاب"التعبير القرآني و"أسرار البيان في التعبير القرآني"، أما كتبه "على طريق التفسير البياني" بجزيئيه و"لمسات بيانية" و "أسئلة بيانية" فكان الباحث يقف عند البنية وقوفا يقتضيه المقام وتقتضيه السورة التي هو بصدد تفسيرها، فإن جاء في الآية القرآنية حذفا أو إبدالا ذكره و ذكر القصد من ذلك و مناسبته للسياق و المقام المذكور، و إن جاء اسم فاعل أو اسم مفعول أو صيغة مبالغة فعل الشيء نفسه مع تعزيز رأيه بنصوص أخرى مشابهة يقارن بينها.

و من أجل تبيان كل هذا، فإننا سنعتمد في دراستنا و تحليلنا على ما اعتمد عليه الباحث لأنه ركز على ظواهر صرفية دون غيرها فربما يرجع ذلك لكثرة اطرادها و تكرارها في النص القرآني.

1-الاسم و الفعل:

يقول سيبويه "الاسم رجل وفرس، وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، و لما يكون و لم يقع و ماهو كائن لم ينقطع"[1]

1-سيبويه، الكتاب ، ت إميل بديع يعقوب ،ج1، دار الكتب العلمية ، ط1، لبنان، 1999: ص40

وقال الزمخشري "الاسم هو ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران. وله خصائص منها جواز الإسناد إليه ودخول التعريف و الجر و التنوين و الإضافة"[1] و"الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان..."[2]

أما عبد القاهر الجرجاني فقد ذهب إلى "أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، و أما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء فإذا قلت" زيد منطلق، فقد اثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد و يحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك :"زيد طويل" و "عمرو قصير"... و أما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت : زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع جزءا جزءا، و جعلته يزاوله و يزجيه" [3]

القزويني في "الإيضاح" هو كذلك لم يخرج عن هذه المعاني حيث تحدث عن فعلية المسند واسميته " أما كونه فعلا فللتقيد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن إفادة التجدد....." 4

1-الزمخشري ،المفصل،ت علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، ط1، بيروت،1993 : ص 23

2-نفسه: ص319

3-الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ، علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ط1، 2005 : ص138

4-القزويني ،الإيضاح ت عبد الحميد هنداوي،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط2، القاهرة ، 2004،ج2 :ص 113

كل هذه الآراء و التعريفات التي حددت الاسم و الفعل اعتمدها السامرائي في تفسيراته للتعابير القرآنية التي تستعمل الفعل مرة و تستعمل الاسم مرة و إن تطابقت و تشابهت هذه التعابير أو تعاطفت جملة اسمية مع جملة فعلية دون أن يسوي بينها. يقول:"يقول اللغويون: إن الاسم يفيد الثبوت و الفعل يفيد التجدد و الحدوث فإذا قلت (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد في حين أنك إذا قلت(يجتهد خالد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن..."[2] "وسر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي والمضارع مقيد بزمن الحال، أو الاستقبال في الغالب في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل و أعم و أثبت"[3] بهذا فالاسم يدل على الثبوت و الفعل يدل على الحدوث والتجدد هذه نتيجة أو القاعدة فسر بها السامرائي العديد من التعابير القرآنية نذكر بعضها:

قوله تعالى" وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ" [4] في هذه الآية فرق التعبير القرآني بين الشطر الأول و الثاني إذ عبر عن الحال الأولى (الدعاء) بالفعل (أدعوتموهم) ، و عبر عن الحال الثانية (الصمت) بالاسم فكان هذا الاختلاف محل تساؤل الباحث؛إذ إن المنطق هو التسوية بين طرفي الآية المربوطة بالأداة

1-القزويني ،الإيضاح ، ج 2 : ص 113

2-السامرائي ،معاني الأبنية: ص 9

3-نفسه :ص9

4-الأعراف: 193

(أم) فيقول"أدعوتموهم أم صمتم" بالفعلية أو: "أأنتم داعوهم أم أنتم صامتون" إلا أن الاستعمال القرآني لا يكون اعتباطيا بل فيه حكمة و مقصدية ،فكان تفسير الباحث لاستعمال الفعل مع الدعاء و الكلام بأنه طارئ و لاستعمال الاسم مع الصمت بأنه ثابت وأصل في الإنسان "وذلك أن الحال الثابتة للإنسان هي الصمت و يتكلم لسبب يعرض له ...فالكلام طارئ يحدثه الإنسان لسبب يعرض له، ولذا لم يسو بينهما بل جاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم(صامتون) وجاء للدلالة على الحال الطارئة بالفعل(دعوتموهم) أي : أأحدثتم دعاء أم بقيتم على حالكم من الصمت"[1]

وقال تعالى :" أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" 2 و في هذه الآية أيضا فرق التعبير القرآني بين معطوفين فقال (صافات)=اسم وعطفه على (يقبضن)= فعل . فأرجع السامرائي هذا الاختلاف في الاستعمال لاختلاف حال الطير : لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة أما القبض فهو طارئ "فكان الصف بصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت والقبض بصيغة الفعلية للدلالة على التجدد و الحدوث"[3]

و مثله قوله تعالى " قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظِينَ" [4] ففرق هذا التعبير

1-السامرائي، معاني الأبنية : ص11
2- الملك: 19
3-نفسه : ص11
4-الشعراء: 136

القرآني بين الشطر الأول و الشطر الثاني فلم يقل : أوعظت أم لم تعظ ، فاستعمال الاسم (الواعظين) أبلغ في نفي هذه الصفة وذلك "لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله و مباشرته فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ"[1] . ومن ذلك قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ " [2]

فاستعمل الفعل مع الحي فقال (يخرج) و استعمل الاسم مع الميت فقال (مخرج) بالرغم من أن الجملتين في آية واحدة ومعطوفتين بالواو . فكان هذا التباين في التعبيرين مطابقا للحلتين المتباينتين المعبر عنهما حسب تفسير السامرائي"[3] وذلك أن أبرز صفات الحي الحركة و التجدد فجاء معه بالصفة الفعلية الدالة على الحركة و التجدد ولأن الميت في حالة جمود وسكون و ثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات فقال " وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ" وبهذا فإن التعبير القرآني يستعمل صيغة الفعل مع الحياة والحركة و التجدد ، ويستعمل صيغة الاسم مع الموت الدالة على الاستقرار و ثبوت الحال.

1-السامرائي، معاني الأبنية: ص 13

2-الأنعام : 95

3-السامرائي ، التعبير القرآني: ص 23

إلا أن الباحث يشير إلى وجود استعمال الفعل مع الميت في أية آل عمران " تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ "[1] فكانت هذه الآية موضع تساؤله و مقارنة مع أية الأنعام؟ فذهب إلى أن السياق يختلف في آية آل عمران عنه في الأنعام " وذلك أن السياق في آل عمران هو في التعبير و الحدوث و التجدد عموما، فالله سبحانه و تعالى يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه ، و يعز من يشاء أو يدله ويغير الليل و النهار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وغير ذلك من الأحداث فالسياق كله حركة و تغيير وتبديل فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد و التغيير و الحركة. "[2] أما سياق سورة الأنعام فهو في صفات الله تعالى وقدرته و تفضله على خلقه " إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ ...." [3] "فالسياق مختلف ولذا تتولى الأفعال في هذه الآية (آل عمران) فوضع كل صيغة في المكان اللائق بها" [4]

أسئلة عديدة كانت تدور حول الاسم و الفعل عند الباحث في كل كتبه، فكان يحاول أن يجد لها تفسيرات و تعليلات ، و أسئلة أخرى وجهت له من طرف الطلاب و القراء و المشاهدين كالسؤال الذي ورد في كتابه لمسات بيانية حول الآية الكريمة " وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ

1-آل عمران: 27
2-السامرائي ، التعبير القرآني : ص 23
3-الأنعام : 96
4-السامرائي ،التعبير القرآني : ص 23

قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً " [1] فلمذا قال دانية باستخدام الصيغة الاسمية وذللت بالصيغة الفعلية؟

كان تفسير السامرائي لهذا التعبير القرآني هو استعمال الصيغة الاسمية (دانية) مع الظلال الثانية المستترة و استعمال الصيغة الفعلية (ذللت) مع القطوف المتجددة "...وهي تتجدد كلما أكلوا منها أو قطعوا منها ولذا جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على التجدد..." [2].

التساؤل نفسه طرح حول مقصدية التعبير القرآني من استعمال الصيغة الاسمية في "الحمد لله" بدلا من "أحمد الله" أو "تحمد الله" فأجمل السامرائي أسباب هذا الاختيار القرآني في عدة نقاط :

1-الصيغة الفعلية مقيدة ومختصة بفاعل واحد، في حين الصيغة الاسمية مطلقة.

2-الصيغة الفعلية تخبر عن فعلك أنت و لا يعني ذلك أن من تحمد يستحق الحمد-في حين الصيغة الاسمية تقييد لاستحقاق الله –الحمد-

3-الصيغة الفعلية مقيدة بزمن في حين الصيغة الاسمية مطلقة غير مقيدة بزمن فالحمد مستمر دائم غير منقطع.

4-الصيغة الفعلية دالة على الحدوث و التجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى و أدوم.

1-الانسان : 14

2-السامرائي ، لمسات بيانية، دار عمار للنشر ، ط3 ، عمان ، 2003 : ص 106

"واختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره" [1] وقال تعالى في نفس السورة " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ"[2] فعبر سبحانه عن الذين أنعم الله عليهم بالفعل(أنعمت) و عبر عن المغضوب عليهم و الضالين بالاسم، ففسر الباحث استعمال الفعل مع المنعمين للدلالة على الحدوث والتجدد، أما استعمال الاسم مع المغضوب عليهم و الضالين للدلالة على ثبوت ودوام ضلالهم و غضب الله عليهم. كما عبر الله تعالى عن اللعنة بالصيغة الفعلية في الآية الكريمة " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " [3] ،أما الآية الموالية " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ " [4] فقد جاءت اللعنة بالصيغة الاسمية بالرغم من أن الآيتين من نفس السورة بل هما متتابعتين، فكان هذا التباين و الاختلاف الموجود بين التعبيرين محط تساؤل وبحث للسامرائي إذ ذهب إلى أن الآية الأولى جاءت فيمن هو حي لذلك جيء بالفعل المضارع(يكتمون) ثم جيء بفعل اللعنة مضارعا" فما داموا يكتمون ما أنزل الله تصيبهم اللعنة إلا الذين تابوا...وهذا هو المناسب

1-السامرائي ،أسئلة بيانية، مكتبة الصحابة الشارقة،و مكتبة التابعين القاهرة، ط1 ، 2008 : ص 06

2-الفاتحة : 6-7

3-البقرة: 159-160

4-البقرة: 161-162

لفعلهم فاللعنة تستمر ما دام الكتمان مستمرا[1]. أما الآية الثانية فيرى السامرائي أنها جاءت في الذين ماتوا على الكفر فهم في حالة دائمة و مستمرة و ثابتة لأن أعمالهم قد انقطعت ومن ثم توبتهم " فجاء باللعنة بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت فيناسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه"[2]

أ-العدول عن الفعل إلى الاسم :

رأينا مجموعة من النماذج القرآنية التي استوقفت الباحث و التي بين من خلالها الفرق بين الاسم و الفعل و مقصدية التعبير القرآني من استعمالهما في مواضع دون أخرى، فأثبت أن الاسم دال على الثبوت و الاستمرار و الفعل دال على الحدوث و التجدد ومن ثم قوة الاسم و دوامه مقارنة بالفعل "فإن قولك (هو مطلع) يدل على تمكن الصفة في صاحبها و ثبوتها فيه و رسوخ صاحبها في هذا الوصف بخلاف قولك (هو يطلع) فإنه لا يدل على ذلك بل يدل على أنه أخذ في سبيل الاطلاع" [3] و هذا ما أكده ابن الجني في المنصف "قال أبو عثمان و تكون الأسماء على خمسة أحرف لا زيادة فيها و لا يكون ذلك في الأفعال لأن الأسماء أقوى من الأفعال ، فجعلوا لها على الأفعال فضيلة لقوتها، و استغناء الأسماء عن الأفعال، وحاجة الأفعال إليها...." [4] لذلك أشار السامرائي إلى مجموعة من التعابير

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني،ج1 ، النشر العلمي، جامعة الشارقة، 2002 :ص 26

2-نفسه : ص 26

3-السامرائي ، معاني الأبنية: ص 14

4-ابن جني ،المنصف، ت ابراهيم مصطفى، ج1، ط1،1954: ص 28

القرآنية التي تم فيها هذا العدول عن الفعل إلى الاسم معتبرا إياها لمسة بيانية قرآنية و ردت لحكمة و مقصدية بالغة يقول:"فقد يكون الأصل أن يعبر عن الحدث بالفعل و مع ذلك يؤتى بالاسم للدلالة على الثبوت كأن تقول لصاحبك : أتنجح هذا العام فيقول: أنا ناجح فهو لشدة وثوقه بنفسه يجيب و كأن الأمر قد تم و أنصف صاحبه به و إن لم يكن ذاك " [1]

ومن ذلك قوله تعالى " رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيه إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" [2] فقال سبحانه (جامع) باسم الفاعل بدلا من الفعل المضارع (تجمع) الدال على المستقبل (ليوم لا ريب فيه) و في ذلك قصد وحكمة في رأي السامرائي؛ فاستعمال اسم الفاعل دال على حدوث الجمع لا محالة"و الأصل تجمع الناس لأنه في الاستقبال ولكن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت" [3]وقد عبر التعبير القرأني أيضا عن هذا الجمع المحتوم في اليوم المعلوم في آية هود ، فاستعمل هذه المرة اسم المفعول (مجموع) بدلا من الفعل المضارع (يجمع) فقال تعالى" إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ" [4] " وجاء باسم المفعول (مجموع) وذلك لأن المقام مقام ثبات الجمع و تحققه في يوم الدين على الرغم من أنه أمر مستقبلي ..." [5]

1-السامرائي ، معاني الأبنية : ص 13
2-آل عمران : 9
3-السامرائي ، معاني الأبنية: ص 13
4-نفسه :ص 13
5-نفسه :ص 13

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً "[1] فلم يقل (أجعل) بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث في المستقبل، لأنه لم يكن قد جعله بعد، إلا أن التعبير القرآني آثر الصيغة الاسمية (اسم الفاعل) دلالة على أن الأمر واقع لا نقاش فيه "فكأنه تم و استقر وثبت" [2] ومثله قوله تعالى لنوح عليه السلام " وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ" [3] فإغراق هؤلاء لم يحدث بعد و إنما هو أمر مستقبلي و الأصل هو استعمال (الفعل المضارع) و لكن للقرآن الكريم لمسات بيانية فنية غاية في الدقة و الروعة و القصد "فذكرها بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات أي : كأن الأمر انتهى و ثبت" [4]

ونظائر هذه اللمسات الفنية عديدة جمعها السامرائي و فسرها و عللها في كتبه نكتفي بهذا القدر منها.

ب-الرفع و النصب : (الصيغة الاسمية =الرفع ، الصيغة الفعلية=النصب) يستعمل القرآن الكريم بعض الأسماء مرفوعة الدالة على الصيغة الاسمية، و بعضها الآخر منصوبة الدالة على الصيغة الفعلية بالتقدير، ولكل استعمال مقصديته عند الباحث كما سنرى من خلال

1-البقرة: 30
2-السامرائي ، التعبير القرآني: ص 22
3-هود : 37
4-السامرائي ،التعبير القرآني: ص22

بعض التعابير القرآنية كقوله تعالى " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ"[1] فالفرق واضح بين السلامين إذ جاء سلام الملائكة منصوبا بتقدير الفعل: نسلم سلاما، و جاء سلام إبراهيم عليه السلام مرفوعا بتقدير اسمية الجملة (سلام عليكم). فتفسير هذا الاختلاف عند السامرائي هو قوة سلام سيدنا إبراهيم ودوامه بالصيغة الاسمية (الرفع). أما سلام الملائكة الذي هو أقل من سلام إبراهيم عليه السلام فجاء بالصيغة الفعلية (النصب) " والاسم أثبت و أقوى من الفعل فدل على أن إبراهيم عليه السلام حيا الملائكة بخير من تحيتهم" [2] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" [3] فأشار السامرائي إلى رفع كلمة (صبر) وعدم نصبها من أجل تصوير صبر سيدنا يعقوب الطويل الدائم ، الذي لو عبر عنه بالنصب لأفاد الحدوث و التغير"فجاء بالصبر مرفوعا أي: بتقدير الجملة الاسمية لأنه وطن نفسه على الصبر الطويل الدائم الذي لا يعرف نهاية و الذي قد يستغرق ما بقي من عمره، و لم يقل (فصبرا) بالنصب تقديرا للفعل أي: لأصبر صبرا لأنه يدل على الصبر الحادث الذي

1-الذاريات : 25

2-السامرائي ، التعبير القرآني : ص 33

1-يوسف:18

يتغير لا الصبر الدائم الثابت-فثمة فرق بين الاستعمالين و المعنيين"[1]

ومثله قوله تعالى" وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ"[2] فجاء الويل مرفوعا، و لم يأت منصوبا ليدل على قوة العذاب و دوامه "فأخبر أن لهم عذابا دائما لا ينقطع أو دعا عليهم به ولوقال (ويلا) بالنصب لكان إخبارا بالعذاب غير الدائم" [3] ثم أكد السامرائي على هذا المعنى بتناسبه مع آخر السورة الذي يصف الأبواب المغلقة التي لا تنفتح فهو عذاب دائم " إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ" [4]

وقد قال تعالى في سورة يس" إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ" فجاءت كلمة (فاكهون) مرفوعة و لم تأت منصوبة، فكان الرفع أولى و أنسب للدلالة من النصب حسب تفسير السامرائي؛ فالتعبير يحتمل احتمالين ، الأول هو الاخبار بخبرين (في شغل وفاكهون)، و الثاني هو احتمال (فاكهون) خبرا و (في شغل) متعلقا به " أي أنهم فاكهون في شغل أي أن أصحاب الجنة (فاكهون في الشغل) أي متمتعون بالشغل" [5]

أما النصب(إن أصحاب الجنة في شغل فاكهين) فيكون الخبر (في شغل) و (فاكهين) حال من الجار و المجرور. تبين تمتعهم بالشغل فقط أما غيره فهو مسكوت عنه في هذه الحال

1-السامرائي ، التعبير القرآني :ص33

2-الهمزة: 01

3-السامرائي ، التعبير القرآني : ص 33

4-الهمزة : 09

5-السامرائي ، على طريق التفسير البياني، ج2، النشر العلمي،جامعة الشارقة، 2004، ص:201-202

" و بهذا جمع عدة معان و هي أنهم في شغل ، و أنهم فاكهون على العموم سواء كان ذلك في الشغل أم غيره، وأنهم فاكهون في الشغل" [1]

كما طرح سؤالا حول سبب مجيء "الحمد لله" بالرفع فكان جوابه كالآيات السابقة وهو أن الرفع يعني الجملة الاسمية، و النصب يدل على الجملة الفعلية بتقدير (نحمد أو أحمد أو أحمدوا بالأمر) و الجملة الاسمية أقوى و أثبت من الجملة الفعلية لأنه دالة على الثبوت" [2] وغيرها من التعابير القرآنية.

2-أبنية الاسم ودلالتها:

أ-التعريف و التنكير:

يصنف الاسم في العربية عدة تصنيفات من بينها-المعرفة و النكرة-فالنكرة اسم يدل على شيء غير معين سواء أكان إنسانا أو حيوانا أو غيره ، و هو يقبل –أل-التعريف.أما المعرفة اسم يدل على شيء معين معروف و هو أنواع: الضمير- العلم-اسم الإشارة-الاسم الموصول-المعرف ب أل-و المعرف بالإضافة.

وقد استعمل التعبير القرآني الأسماء معرفة و نكرة، فلم يكن هذا الاستعمال اعتباطيا و لا مصادفة بل كان لحكمة ومقصدية حاول السامرائي البحث عنها و كشف الحجاب عنها، هذا ما سنوضحه ببعض النماذج القرآنية:

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج2 :ص202

2-السامرائي ، لمسات بيانية : ص 7

كقوله تعالى" قلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " [1] فجاءت كل من (غاسق) و (حاسد) نكرة أما (النفاثات) فجاءت معرفة بأل، ففسر الباحث ذلك الاختلاف باختلاف المعنى المقصود و هو أن كل نفاثة –شريرة-وليس كل غاسق أو حاسد شرير "...و لا كل حاسد يكون منه الضرر و إنما يكون في بعض دون بعض و رب حسد محمود و هو الحسد في الخيرات"[2] وقد وردت كلمة (الصمد) معرفة و لم تأت نكرة في سورة الإخلاص " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ" [3] بينما وردت كلمة (أحد) نكرة و لم ترد معرفة فجعل السامرائي لذلك تعليلا و تفسيرا و هو استعمال الكلمة و المعنى (التوحيد) الذي ينكرونه و يجهلونه نكرة (أحد). و استعمال الكلمة التي يقرون بها (الصمد) معرفة هذا من جهة، و من جهة أخرى بغية الحصر، فالله هو الصمد الذي يقصدونه دون غيره. "فجاء بما لا يعلمونه بل و ينكرونه و هو الأحدية بالنكرة بخلاف ما عرفوه و علموه...فلما قال الله الصمد تعين أنه لا مقصود على الحقيقة سواه" [4] أما كلمتي (الجوع) و (الخوف) فقد جاءتا نكرة في قوله تعالى " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" [5] وسبب ذلك عند السامرائي يعود إلى أمرين :

1-سورة الفلق: 1-5
2-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1 :ص42
3-الاخلاص: 1-2
4-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ، ج1: ص 66
5- قريش:4

الأول: هو الإطلاق "ونكر الجوع و الخوف لاطلاقهما فيشمل كل جوع و خوف و لو عرفهما لاحتمل أن يكون ذلك للعهد فيشمل إطعاما من جوع معين، و إيمانا من خوف معين..." [1] و الثاني: قد يكون التنكير للشدة و التعظيم " أي أطعمهم من جوع أي جوع و خوف أي خوف..." [2] وتنكير كلمة (نار) في سورة الليل كانت هي الأخرى محط تساؤل السامرائي لأن الكلام كان فيه تخصيص، و قصر على الأشقى إلا أنها جاءت نكرة عامة مطلقة ." فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى"[3] فعلل السامرائي مجيء (نار) نكرة بالأمور الآتية :

1-نكر النار و جعلها عامة ووصفها ب (تلظى) ، وليعلمنا أن الإنذار و التحذير يشمل النار بكل أقسامها و أنواعها و أحوالها و صفاتها و على الناس الحذر منها"و لو عرفها لظن ظان أن التحذير واقع على تلك النار دون غيرها، في حين أنه أنذرنا النار على العموم فكان التنكير أنسب ..." [4]

2-أفاد تنكر النار أيضا أن الأتقى المذكور في الآية يتجنب أي نار و لا يتجنب نارا خاصة "ولكنه جعلها عامة فدل تنكيرها على أن الأتقى يتجنب النار على العموم بكل أحوالها فكان

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني،ج1: ص105

2-نفسه : ص105

3-الليل:14-16

4- السامرائي،على طريق التفسير البياني ،ج1: ص142

التنكير أنسب من كل ناحية"[1]

و من الملاحظ على التعابير القرآنية هو استعمال أسمائه تعالى و صفاته معرفة ب (أل) في أكثر من موضع و ذلك بغية قصر و تخصيص هذه الأسماء به جل و علا دون غيره كما وضح السامرائي ذلك في أكثر من مثال:

كقوله تعالى" سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [2] فقال سبحانه (العزيز) ولم يقل (عزيز) و قال (الحكيم) و لم يقل (حكيم) ، فبين السامرائي الغرض و القصد من هذا التعريف : إذ كان القصر و التخصيص "ليدل على أنه لا عزيز في الحقيقة سواه، و لا حكيم في الحقيقة سواه فإن كان عز يناله غيره فمن عزته سبحانه و كل حكم أو حكمة لغيره فذلك منه سبحانه ..." [3]

مثله قوله تعالى " هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [4] فتعريف هذه الصفات أنسب بل أوجب في نظرالسامرائي لأنها خاصة و مقصورة بالله تعالى و لو جاءت نكرة لضاع المعنى و القصد المرجو "تعريف الصفات ب أل يفيد القصر فلا يشاركه شيء في هذه الصفات، فليس معه أول و لا آخر و ليس معه ظاهر ولا باطن فهو أول كل شيئ

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1 : ص142
2-الصف:01
3-السامرائي ، على طريق التفسير البياني ،ج1 : ص204
4-الحديد :03

و آخر كل شيء يزول كل شيء و لا يزول..."[1]

و قال تعالى في سورة يس" أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ" [2] فجاءت (الخلاق العليم) و لم تأت (خلاق عليم)، و ذلك لقصر هاتين الصفتين على الله سبحانه و تعالى، فلا يشاركه أحد ،أما تنكير (خلاق عليم) فيوصف به الإنسان لأنه قد يكون خالق و قد يكون عليم أما (الخلاق العليم) فوصف الله وحده لا شريك له "فجاءت الألف و اللام للدلالة على القصر و الكمال في هتين الصفتين"[3] و غيرها من الأمثلة القرآنية التي ذكرها السامرائي و علل فيها استعمال النكرة أحيانا و استعمال المعرفة أحيانا أخرى

ب-الإفراد و التثنية و الجمع:

ذكرنا فيما سبق أن الاسم في العربية ينقسم إلى تقسيمات عديدة و ذكرنا منها: النكرة والمعرفة و هناك تقسيمات أخرى منها : المفرد و المثنى و الجمع.

فالمفرد: ما دل على واحد-كرجل و امرأة و قلم... والمثنى : ما دل على اثنين مطلقا بزيادة ألف و نون أو ياء و نون. أما الجمع: ما دل على أكثر من اثنين وفيه جمع المذكر السالم و جمع المؤنث السالم، و جمع التكسير و منه أيضا جمع القلة و جمع الكثرة.[4]

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني،ج1 : ص 139

2-يس:81

3-السامرائي، على طريق التفسير البياني : ص 277

4-ينظر الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف : ص 147-157

و قد أشار السامرائي إلى استعمال القرآن الكريم لهذه الأسماء مفردة و مثناه و جمعا، فبين أن الاستعمال القرآني ليس بالاستعمال العادي و لا النمطي بل يستدعي التأمل و النظر"قد يستعمل القرءان الكريم المفرد في موطن و يستعمل المثنى في موطن آخر شبيها بالأول وقد يستعمل جمعا في موطن و يستعمل جمعا آخر للمفردة نفسه في موطن آخر، وقد يستعمل المفرد في موطن هو من مواطن الجمع..."[1]

كل هذه الملاحظات و اللمسات الفنية أوضحها السامرائي مبينا قصد كل استعمال من الاستعمالات القرآنية و التي سنذكر بعضها :

نحو قوله تعالى معبرا بالمفرد عن المثنى في قوله " فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[2] وعبر بالمثنى عن المثنى في قوله" فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ " [3] وعبر بالمفرد عن المفرد في قوله تعالى" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[4] بالرغم من تشابه هذه التعابير القرآنية إلا أن هناك اختلافا واضحا في استعمال الإفراد و التثنية، و قد أرجع الباحث هذا الاختلاف إلى اختلاف سياقات هذه الايات، فسياق الشعراء ورد فيه ذكر هارون مع موسى إلا أن هذا السياق مبني عموما على الوحدة كما هو واضح في السورة " قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ

1-السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط2،القاهرة ، 2006 : ص 88

2-نفسه : ص 88

3-الشعراء:16

4-طه: 47

عُمُرِكَ سِنِينَ" [1] ثم يستمر النقاش مع موسى وحده" قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ" [2] " قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ" [6] في حين بنى الكلام في سورة طه على التثنية " اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى"[3] و يستمر الكلام على التثنية في سورة طه ، أما سورة الزخرف فلم يرد فيها أي ذكر لهارون فجاءت مفردة "إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" وبهذا بين الباحث كيف أن التعبير القرآني دقيق في استعماله للمفرد و المثنى"فلما بنى الكلام في (طه) على التثنية قال (إنا رسولا ربك) بتثنية الرسول، و لما بنى الكلام في(الشعراء) على الوحدة مع إشارات إلى هارون قال (أنا رسول رب العالمين) بإفراد الرسالة و تثنية الضمير ، و لما لم تكن أي إشارة إلى هارون في (الزخرف) قال بإفراد الضمير و الرسول (إني رسول رب العالمين) فجعل كل تعبير في موطنه الذي يليق به"[4]

و قد ذكر السامرائي أن القرآن الكريم يستعمل الكلمة مرة مفردة ومرة جمعا في تعابير تبدوا لنا متشابهة ولكن حقيقة الأمر غير ذلك، فسياقاتها مختلفة لذلك يستعمل التعبير القرآني كل كلمة في مكانها المناسب وذلك مثل كلمتي قرن و قرون ، فبعد مقارنة بين

1-الزخرف:46

2-الشعراء:18

3-الشعراء:26

4-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ، ج2 : ص99

مجموعة من النصوص توصل السامرائي إلى نتيجة هي:

1-أن كلمة (قرن) مفردة ترد إذا كان يريد ذكر صفة القرن المهلك أو حالة من حالاته أو يكون الغرض غرضا آخر، مثل قوله تعالى " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ" [1] وقوله" وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً" [2] في هذه الآيات وصف للقرن.

2-أن كلمة (قرون) مجموعة ترد على العموم من دون تخصيص و أنها ترد مجموعة أيضا في مقام ذكر الآخرة لأنه سيبعثها كلها ويجمعها.نحو قوله تعالى" وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً" [3] وقوله" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ" [4] فذكر أنه سيجمعها كلها ويحضرها لديه سبحانه و تعالى و من ذلك أيضا قوله " وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ

1-الأنعام:06

2-مريم:74

3-الإسراء: 17

4-يس:31

عَذَابٌ مُهِينٌ " [1] فقال في صاحب الجنة (خالدين فيها) بالجمع و قال في صاحب النار (خالدا فيها) بالإفراد وذلك لحكمة وغرض وضحها السامرائي في النقاط التالية:

1-الحكمة من جمع الوصف الخاص بصاحب الجنة هي استشعار الأنس و الاجتماع والسعادة.

2-الحكمة من إفراد الوصف الخاص بصاحب النار لإظهار الوحدة والعذاب فالتعذيب بالنار و بالوحدة أيضا.

3-قال في الأولى جنات بالجمع و قال –يدخله- بالمفرد و المفرد من حيث هو مفرد لا يصح أن يكون في جنات متعددة فرفع هذا الإبهام بقوله (خالدين) فناسب (الجنات-خالدين)

4-أما الثانية فقال(نارا) مفردة فناسبها(خالدا) مفردا .

ومثل هذا قوله تعالى في قصة صالح"فتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ" [2] وقوله في قصة شعيب" فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ" فقال في قصة صالح (رسالة) مفردة و قال في قصة شعيب (رسالات) مجموعة بالرغم من تشابه التعبيرين ففسر الباحث هذا الاختلاف بما يلي:

1-قال(رسالة)مفردة مع صالح لأنه بعث إلى أمة واحدة

1-النساء : 14

2-الأعراف: 79

3-الأعراف: 93

2-قال (رسالات) مجموعة مع شعيب لأنه بعث إلى أمتين لا أمة واحدة." وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ"[1] " كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ " [2]

3-ماذكره شعيب وبلغ به كان أكثر مما ذكره صالح و بلغ به ، قال تعالى على لسان صالح" فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ "[3] وقال تعالى على لسان شعيب " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ"[4] "فهي في حق صالح رسالة و في حق شعيب رسالات"[5] بهذا و بأمثلة أخرى بين السامرائي الفرق بين المفرد و الجمع، و بين معه دقة التعبير القرآني و مقصديته فيستعمل المفرد لما هو واحد أو لما هو قليل و الجمع للكثير، لكن التعبير القرأني يفاجؤنا دائما باستعمالاته الغاية في الدقة و الروعة كاستعمال القرآن الكريم للمفرد ليدل على

1-الاعراف:85

2-الشعراء:177

3-الشعراء:153

4-الشعراء:185

5-السامرائي-التعبير القرآني: ص57

أن المفرد أكثر من الجمع نفسه، وهذا ما كشف عنه السامرائي في قوله تعالى" وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً"[1] وقوله" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ"[2] فقال في الآية الأولى (معدودة) و قال في الثانية(معدودات) مع أن القصة واحدة. وإيضاح ذلك عند السامرائي هو أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف كثير مقارنة إذا ما جاءت الصفة جمعا سالما" فإنك إذا قلت (في بلدنا جبال شاهقة) دل ذلك على أن عندكم جبالا كثيرة بخلاف إذا ما قلت (في بلدنا جبال شاهقات) فإنه يدل على القلة..."[3] فجاءت كل لفظة في سياقها المناسب، أما(معدودة) جاءت في سياق الكلام على بني إسرائيل، و قد أكثر من الكلام عليهم، و في صفاتهم السيئة، فذكر أنهم يحرفون كلام الله وهم يعلمون " أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ يُحَرِّفُونَه ثُمَّ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ "إذن فهم يعملون بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم ليشتروا به ثمنا قليلا، وإذن فهم يعلمون أن الله سيعاقبهم على هذا

1-البقرة:80

2-آل عمران:24

3-السامرائي، التعبير القرآني : ص41

4-البقرة:76

هذا الجرم فقالوا "إلا أياما معدودة"" [1] و أما كلمة (معدودات) فجاءت في سياق فيه الجرم أقل من الجرم المذكور في سورة البقرة فقد قال" أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ"[2]ففرق كبير بين المقامين فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، و القليل للذنب القليل فقال(معدودات) بصيغة جمع القلة في آل عمران، بخلاف آية البقرة" فسبحان الله رب العالمين"" [3]

شبيه بهذا لفظتي (السماء) و (السموات) ، فجاءت (السماء) في التعابير القرآنية العديدة دالة على الوحدة كما جاءت دالة على الشمول و العموم و دالة على كل ما علا من سموات وسحب و مطر و جو، أما السموات فهي خاصة، لذلك رأى السامرائي مناسبة استعمال السماء مع الأرض في قوله تعالى" قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[4] وذلك لأن القول عام يشمل السر و الجهر فهو أعم من السر. كذلك مناسبة استعمال السموات الخاصة مع ما هو خاص (السر) في قوله تعالى" قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً" [5]

1-السامرائي،التعبير القرآني : ص42
2-آل عمران: 24
3-السامرائي ،التعبير القرآني: ص 42
4-الأنبياء: 04
5-الفرقان: 6

وكذلك مناسبة استعمال-السموات-الخاصة مع ما هو خاص (السر) في قوله تعالى" قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً" [1]و لا شك أن السماء بهذا المعنى الثاني أعم و أشمل من السموات لأنها تشمل السموات و غيرها مما علا و ارتفع فجاء به (القول) الذي هو أعم من (السر) مع السماء التي هي أعم من السموات، فاستعمل العام مع العام و الخاص مع الخاص"[2]

أما استعمالات الجمع فقد أطال فيها السامرائي الحديث لأن اللغة العربية تتميز بتنوع وتعدد صيغ الجمع و الأكثر من ذلك أن القرآن الكريم استعمل هذه الجموع استعمالا فنيا خاصا يلفت النظر، و يوجب التفكير و طرح السؤال"إن القرآن الكريم استعمل الساجدين مثلا والسجد و السجود و استعمل الكفار، و الكفرة و الكافرين وغيرها من الجموع المختلفة. فهل دلالات هذه الجموع المختلفة واحدة؟" [3] هذا السؤال و أسئلة أخرى قادت السامرائي إلى دراسة وتفسير العديد من الاستعمالات القرآنية للجمع خاصة في كتابه (معاني الأبنية)،فكانت أغلب تعليلاته تعود إلى الفرق بين جمع القلة والكثرة أوإلى الاستعمال الخاص للقرآن الكريم أو تفسيرات أخرى.و من هذه التعابير القرآنية قوله تعالى" بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ" [4]

1-الفرقان:06

2-السامرائي،التعبير القرآني : ص13

3-السامرائي ،معاني الأبنية في العربية : ص 113

4-آل عمران : 124

وقال في سورة البقرة " خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ"[1] فاستعمل الآلاف للقلة (الأفعال) واستعمل الألوف للكثرة(فعول) "فدل قوله(ألوف) على أنهم زادوا على عشرة آلاف" [2] ومنه قوله تعالى " وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ" [3] فاستعمل (الأفعل) للقلة لأنها سبعة فقط. أما في سورة الانفطار قال " وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ"[4] وقال في التكوير" وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ"[5] فاستعمل (البحار) للدلالة على الكثرة و القوة " ...لأنها جميعها تتفجر و تسجر يوم القيامة"[6] وقال في أصحاب الكهف" إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى"[7] وقال فيهم"إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" [8] أما في سورة يوسف فقال تعالى" وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"[9] فجاءت لفظة (الفتية) في الكهف لأنهم قلة فهم سبعة وثامنهم كلبهم. و جاءت لفظة (فتيان) في يوسف لأنهم كثرة .

1-البقرة:243
2-السامرائي معاني الأبنية في العربية: ص 119
3-لقمان:27
4-الانفطار:03
5-التكوير :06
6- السامرائي ، معاني الأبنية في العربية : ص 119
7-الكهف:13
8-الكهف:7
9-يوسف:62

" فدل ذلك على أنهم أكثر من عشرة إذ لا شك أن عمال العزيز الذين يعملون على الطعام أكثر من عشرة فاستعمل الفتية للقلة و الفتيان للكثرة"[1].

بمثل هذه النماذج بين السامرائي دقة استعمال القرآن الكريم للجموع ، فاستعمل القلة في موضعها و الكثرة في موضعها كذلك، إلا أن الاستعمال القرآني لا يقف عند هذه اللمسة الفنية الغاية في الدقة بل يتعداها إلى لمسات بيانية قد لا نفهمها للوهلة الأولى، لكن بعد طول التمعن و النظر يتكشف لنا سرها و نستشعر سحرها في الوقت ذاته. وهذا ما كان يقوم به السامرائي في مثل هذه المواضع-من ذلك استعمال لفظة (سنابل) فهي جمع كثرة في قوله تعالى" مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[2] ، و استعمال لفظة (سنبلات) وهي جمع قلة في قوله تعالى" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ"[3] فاستعمل سنبلات وهي جمع قلة مع أن العدد واحد وهو(سبع). وتفسير هذا عند السامرائي هو استعمال (سنابل) جمع كثرة في مقام التكثير ومضاعفة الأجور. و استعمال (سنبلات) لفظ قلة في مقام القلة فهم (سبع بقرات) فقط "فجاء لكل موضع بما يقتضيه السياق"[4]

1-السامرائي ، معاني الأبنية : ص119

2-البقرة:261

3-يوسف:43

4-السامرائي ، التعبير القرآني : ص 40

ومن ذلك التعبير عن قصة واحدة بجمعيين مختلفين ، ففي سورة البقرة قال تعالى " تغفر لكم خطاياكم"[1] أما سورة الأعراف فقد قال"تغفر لكم خطيئاتكم[2] ففي الأولى جاءت جمع كثرة فكانت الأنسب لهذا المقام و السياق الذي يقتضي التكثير و التفضل، إذ أنه أضاف القول إلى نفسه فقال" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[3] فلا غرابة أنه قرن جوده و تفضله بما يليق به من تكثير(خطاياكم). أما الثانية فجاءت جمع قلة ،فكانت هي كذلك الأنسب لهذا المقام الذي يقتضي القلة ، فالقول الذي أسنده إلى نفسه سبحانه و تعالى في البقرة فقد بناه للمجهول في الأعراف" وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[4] "ولو لاحظت الفرق بين القصتين لرأيت أن الكثرة أليق في مكانها ، و القلة أليق في مكانها"[5]

إضافة إلى استعمال جمع القلة و الكثرة استعمالا نمطيا، يستعمل القرآن الكريم في أحيان كثيرة القلة للدلالة على القلة النسبية(العدد من ثلاثة إلى عشرة) فيستعمل للعدد الأكثر جمع الكثرة ، ولما دونه في الكثرة جمع القلة و إن كان كثيرا في ذاته.

1-البقرة :58

2-الأعراف:161

3- البقرة:58

4- الأعراف:161

5-السامرائي ،معاني الأبنية في العربية:121

الكثرة ، ولما دونه في الكثرة جمع القلة و إن كان كثيرا في ذاته.

كما يستعمل القرآن جمع القلة لما هو (خاص) وجمع الكثرة لما هو عام و شامل.ومن ذلك قوله" وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ"[1] وقال تعالى في سورة الأحزاب" لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً"[2] ففي سورة النور لوحدها توجد لفظة (أبناء) و لفظة (بني)، فسر السامرائي هذا الاختلاف باختلاف الجمعين عن بعضهما البعض ؛ فكلمة –بني- تدل على الكثرة ،فنقول –بني آدم- وبني إسرائيل ولا نقول –أبناء آدم لا أبناء إسرائيل، لذلك استعمل القرءان الكريم بني مع الإخوان والأخوات فهم الأكثرعددا، فقد يكونوا إخوانا أشقاء وإخوانا من الأم وقد يكونون إخوانا من الأب وحكم هؤلاء جميعا واحد وكذلك الأخوات. أما كلمة-أبناء-فهي أقل من-بني-لذلك استعملها القرآن مع أبناء المرأة وحدها و أبناء البعولة. فاستعمل (أبناء) لما هو أقل و (بني) لما هو أكثر"[3]

1-النور:31

2-الأحزاب:55

3-السامرائي ، بلاغة لكلمة في التعبير القرآني: ص34

أما تفسيره لاستعمال كلمة (أبناء) في سورة الأحزاب مع الإخوان و الأخوات على نقيض ما رأيناه في سورة النور، أما تفسيره لاستعمال كلمة (أبناء) في سورة الأحزاب مع الإخوان والأخوات فهو راجع لخصوصية هذه الآية، فهي آية خاصة موجهة إلى نساء النبي عليه الصلاة و السلام، لذلك استعمل أبناء و لم يستعمل بني، فكانت كل كلمة موضوعة في مكانها المناسب و سياقها الملائم.

كذلك لفظتي(الأبرار) و (البررة) فقد ذكر السامرائي أن لفظة (الأبرار) وردت في القرآن الكريم في وصف المؤمنين كقوله تعالى" وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ"[1] "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ" [2] وقوله" كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ"[3] وآيات كثيرة أخرى وصف الله تعالى بها المؤمنين (بالأبرار)، فهم بطبيعة الحال يزيدون عن عشرة فعددهم كبير، إلا أنهم أقل من الملائكة الذين وصفهم(بالبررة) في موطن واحد " بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ "[4] "فجيء بالجمع (الأبرار) للدلالة على القلة النسبية، وجاء في صيغة الملائكة بلفظ البررة لا الأبرار للدلالة على الكثرة لأنهم كلهم كذلك بخلاف البشر..."[5]

نذكر من هذا القبيل لفظتي(النخل)و(النخيل) في قوله تعالى" وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ"[6]

1-أل عمران:193
2-أل عمران:198
3-المطففين:18
4-عبس:15-16
5-السامرائي معاني الأبنية في العربية:125
6-ق:10

في حين قال " يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"[1] بالرغم من أنه قد ورد في البرهان قولا للسهيلي يميز فيه بين النخل و النخيل ، و الذي ذهب فيه إلى أن النخيل اسم دال على الصغير و الكبير من ذلك الجنس، و أن النخل أقل و هو خاص بالمثمر فقط ، إلا أن السامرائي قد ذهب عكس هذا المذهب ، إذ جعل النخل أكثر من النخيل وذلك لأن النخل اسم جنس جمعي و النخيل جمع، و اسم الجنس أشمل و أعم من الجمع وهذا ما قرره علماء اللغة، وأقره القرآن الكريم، فجاءت كلمة (نخيل) في ثمانية مواضع و هي لا تفيد الشمول بل جاءت خاصة كقوله تعالى" أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ"[2] وقوله" أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً"[3] وغيرها من التعابير القرآنية التي جاء فيها النخيل خاصا بالجنات فقط"فأنت ترى في هذه الآيات الأربع أنه جعل النخيل في جنات فلا يشمل مافي غير الجنات، و لا تدخل فيها النخلة الواحدة أو النخلتان ولا قليل النخل"[4] أما النخل فقد جاء عام شامل في أكثر من موضع نحو " فيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ"[5] و نحو قوله" أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ "[6]"

1-النحل:11

2-البقرة:266

3-الإسراء:21

4-السامرائي-بلاغة الكلمة: ص97

5-الرحمن:68

6-الشعراء:146-148

أما النخل فهو عام يشمل الصغير و الكبير، المثمر و غيره ، سواء أكان في جنات أم في غيرها وسواء كانت نخلة واحدة أو أكثر"[1] ومثله قوله تعالى" وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ"[2] فقال تعالى (من جند) ولم يقل(من جنود) ، فرأى السامرائي أن كلمة(جند) مناسبة جدا لأن هذه الكلمة مع من الاستغراقية قد أفادت نفي إنزال أي جندي ، فكلمة (جند) اسم جنس أعم و أشمل من اسم الجمع (جنود)"فقوله من(جند) نفي إنزال الجند والجنود ولوقال (من جنود) لم ينف إنزال الجند فكان ما ذكره أعم وأشمل"[3] واختار مع كلمة (الجند) كلمة (السماء) بدلا من (السموات) لأنها أعم و أشمل (وقد تم توضيح ذلك سابقا). فكان استعمال(الجند) مناسبا في هذه الآية، و استعمال(السماء) مناسبا جدا لسياق الشمول و العموم.

وقد أشار السامرائي إلى أن القران الكريم خص بعض الجموع بمعان معينة(كالأعين والعيون) و (القاعدين و القعود)و (القيام والقائمين).فقد وردت كلمة (أعين) بمعنى الرعاية في أربع مواضع قرآنية نذكر منها" وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا"[4] وقوله" أن اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا"[5]

1-السامرائي ، بلاغة الكلمة: ص98

2-يس:28

3-السامرائي، على طريق التفسير البياني : ص98

4-هود:37

5-المؤمنون:27

ووردت بمعنى العين الباصرة في ثمانية عشر موطنا منها قوله تعالى" وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا"[1] وقوله" الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي"[2] أما العيون فوردت في عشرة مواطن كلها بمعنى (عيون الماء) كقوله تعالى " فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ"[3] وقوله" فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ"[4] ومن ذلك ما خصه القرءان باستعمال (القاعدين) و (القعود) جمع قاعد. أما (قعود) فقد وردت ثلاث مرات كلها بمعنى القعود الحقيقي أي عكس الوقوف وذلك في قوله تعالى" النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ"[5] وفي قوله" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ"[6] . وجاءت (قاعدون) في ستة مواطن كلها بمعنى القعود عن الجهاد نحو" فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ"[7] ، وقوله أيضا" فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ"[8] فقاعدون هنا بمعنى ماكثين.

ونظير هذا استعمال (قيام و قائمون): فقد وردت(قيام) جمع قائم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي نحو قوله تعالى" فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"[9] وقوله" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً

1-الأعراف:79
2-الكهف:101
3-الحجر:45
4-المرسلات:41
5-البروج:5-6
6-آل عمران 191
7-المائدة:24
8-التوبة:46
9-الزمر:68

وَقُعُوداً"[1] أما (قائمون) فوردت في موطنين فقط، ولكن بمعنى العاكفين مثل قوله تعالى "وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[2]وقوله " وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ"[3]

ج-العدول من صيغة اسمية إلى أخرى:

صيغ الاسم في العربية متعددة و متباينة، لكل واحدة منها بناؤها الخاص، ومعناها، فمنها المصدر، و اسم الفاعل، و اسم المفعول ، و الصفة المشبهة ، و أبنية المبالغة... الخ وكلها قد استعملها القرءان الكريم استعمالا فنيا رائعا. إن هذا التعدد والاختلاف بين الصيغ لا يقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى الصنف الواحد ، فالمصدر مثلا له صيغ متعددة نظنها شيئا واحدا لكن فروقا دقيقة تميزها، فبحثها السامرائي و بينها في تفسيراتها"قد يكون للفعل الواحد و لا سيما الفعل الثلاثي مصادر متعددة وذلك كالفعل (لقي) – مثلا-فمن مصادره لقي-ولقاء-ولقيان، ولقي..."[4] وقد ذكر السيوطي عشرة مصادر للفعل (لقي) "ليس في كلامهم مصدر على عشرة ألفاظ إلا مصدر واحد، و هو لقيت زيدا لقاء ولقاءة ولقي ، ولقيا ولقية ولقيانا ولقيانة "[5]، أما الفعل(مكث) فذكر له تسعة مصادر "وقد جاء على تسعة : مكث مكثا، و مكثا و مكوثا ومكثا و مكثانا و مكثى ومكثاء و مكثة ..."[6]

1-آل عمران:191
2-الحج:36
3-المعرج:33
4-السامرائي ، معاني الأبنية : ص 17
5-السيوطي ، المزهر :ص 83
6-نفسه : ص 83

وكذلك صيغ المبالغة فهي متعددة، و كلها تفيد المبالغة " ويلحظ من المعنى الكلي لما ذكره اللغويون لهذا اللفظ أنه يدور حول تجاوز الحد المراد من المعنى العام للجملة، و ألا يكتفي بما تيسر من معنى أو ساواه في غيره ، و ألا يقتصر على ذلك بل يزيد فيه "[1] فبالرغم من دلالة كل هذه الصيغ على المبالغة و الكثرة إلا أن الفرق بينهما، و اختيار واحدة دون الأخرى موضوع شغل السامرائي و جعله يجمع النصوص القرآنية ويعقد بينهما المقارنات "من المعلوم أن في العربية أوزانا للمبالغة كفعال نحو : تواب ، و مفعال نحو: منحار وفعول نحو: غفور...فهل تؤدي هذه الأبنية المختلفة معنى واحدا في المبالغة؟ ..." [2]

لقد بحث السامرائي هذا الاستعمال القرآني الفريد للصيغ، وبين من خلاله دقة اختيار التعبير القرآني للصيغة الاسمية، إذ يأتي بصيغة في موضع ما، و يأتي بصيغة أخرى في موضع يبدوا لنا مشابها للأول، وقد يستعمل مصدرا معينا في موضع، و يستعمل مصدرا آخر في موضوع مغاير "فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام، وانظر كيف يراعي دقة التعبير في كل موضع وكيف يلحظ كل كلمة و يضعها في المكان المناسب على تباعد الأمكنة"[3]

وشواهد السامرائي على هذا الكلام الذي ذهب إليه كثيرة منتشرة في كتبه سنذكر بعضها:

1-عباس حسن ،عن النحو الوافي، دار المعارف ، ط3، مصر1974،: ص 58

2-السامرائي ، معاني الأبنية : ص92

3-السامرائي ، التعبير القرآني: ص 37

-عجيب وعجاب:

قال تعالى في سورة(ق)" بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" [1] و قال تعالى في سورة هود " قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ"[2] وقال في سورة (ص) " أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ "[5] لقد ذهب السامرائي إلى أن الاختلاف واضح بين هذه التعابير القرآنية الثلاثة؛ إذ هناك تدرج في العجب يناسب كل واحد سياقه الخاص فقال في (ق) " هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" وهو عجب الذين أتاهم منذر منهم، وقال في هود" إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" فهو عجب أكبر لأنه من غير المنطقي و المعتاد أن تلد امرأة عجوز عقيم و زوجها شيخ كبير لذلك جاء مؤكد بأن واللام.

وقال في ص" إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" فهو عجب أكبر و أكبر لأنه صادر من المشركين الذين يدعوهم الإسلام إلى التوحيد و نبذ الشرك وهم عريقون فيه، لذلك تعجبوا عجبا كبيرا واستسهلوا حمل السيف على النطق بالتوحيد، فمن أجل تصوير و تحقيق هذا المعنى رأى السامرائي مناسبة وجود التأكيد بأن و اللام، و العدول عن عجيب إلى عجاب"ولذا كان العجب عندهم أكبر و أكبر فجاء بأن و اللام وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) وذلك أن (فعالا) أبلغ من فعيل عند العرب و (طوال) أبلغ من (طويل) فإذا قلت (هو رجل طويل)

1-ق:02

2-ص : 05

فهو الطول يكون مثله، فإذا زاد عن المعتاد قلت (هو طوال) ونحوه كريم و كرام، وشجيع وشجاع" [1]

-بريء و براء :

وذلك في قوله " فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ " [2] وقال أيضا " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ " [3] كل من يقرأ هاتين الايتين ليلحظ أنه قال في الأولى – بريء- وعدل عنها في الثانية إلى –براء-هذا العدول عند السامرائي ليس اعتباطيا و إنما سببه اختلاف السياق و دقة التعبير القرآني في اختيار الصيغة الاسمية المناسبة. أما السياق الأول (الأنعام) فهو سياق و مقام حيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام ،و بحثه عن الحقيقة ، فهو لا يعرف ربه بعد ظنه الكوكب ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل هذا.و السياق الثاني فهو سياق تبليغ فإبراهيم عليه السلام نبي مرسل أعلن الحرب على الشرك كما أعلن براءته مما يعبد قومه لذلك قال السامرائي بمناسبة كل صيغة لمقامها- فبريء صفة مشبهة أقل قوة من المصدر (براء)"..و ذلك أن (براء) أقوى من (برئ) فإنها براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد فإن قولك (هو رجل عدل) أبلغ من قوله (هو رجل عادل) و ذلك

1-السامرائي التعبير القرآني ص 37

2-الأنعام : 78

3-الزخرف : 27

"لأن معناه أنه أصبح هو العدل، أي لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه"[1]

الخاسرون و الأخسرون:

وردت هتين الصيغتين في القرآن الكريم في سياقها و موضعها المناسب كما بينها السامرائي فجاءت في كلمة (الخاسرون) مثلا في قوله تعالى " لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" [2] وجاءت (الأخسرون) في قوله تعالى " لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ" [3] فاختلاف الصيغتين مرده دائما عند السامرائي لاختلاف السياقين؛ إذ ناسبت كل صيغة سياقها فالنحل تتحدث عن الذين صدوا عن سبيل الله و لم يصدوا غيرهم فكانوا هم (الخاسرون). أما سورة هود فتحدثت عن الذين صدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم أيضا فكانوا هم (الأخسرون) "...فمن المؤكد إذن أن الذي يصد نفسه و غيره عن سبيل الله أخسر من الذي صد نفسه عن سبيل الله لوحده فقط"[4]

مليك مقتدر و ملك قادر:

قال تعالى في سورة القمر "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ "[5]

لقد أشار السامرائي إلى أن التعبير القرآني قد عدل في هذه الآية عن صيغة ملك إلى مليك

1-السامرائي، التعبير القرآني: ص 38
2-النحل : 109
3-هود : 22
4-السامرائي ، لمسات بيانية: ص 41
5-القمر :54-55

و عن قادر إلى مقتدر وذلك لأن المذكورين هم خواص المؤمنين فهم المتقون فأعلى درجتهم و قدرهم فجاء بصيغ قوية بليغة "...فإن كلمة (مليك) على صيغة (فعيل) و هي أبلغ و أثبت من صيغة (فعل) ... و (المقتدر) أبلغ أيضا من (القادر) ذلك أن المقتدر اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر) فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة و التصرف والاجتهاد و الطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل..."[1] فالمقام مقام مبالغة وتعظيم لذلك رأى السامرائي مناسبة صيغ المبالغة له"فانظر كيف بالغ و أعظم في الأجر وبالغ وأعظم في الملك وبالغ و أعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق وهم المتقون"[2]

سميع و سماع :

لقد ورد استعمال هتين اللفظتين في القرآن الكريم إلا أن السامرائي من خلال مقاراناته للنصوص قد استنتج أن صيغة (سميع) تستعمل مع الله سبحانه و تعالى و تستعمل مع الإنسان أيضا. و هذا الاستعمال يكون في مقام المدح "السميع العليم"، "السميع البصير".

" إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" [3] أما صيغة (سماع) فتستعمل فقط لوصف الإنسان في مقام الندم،كما هو الحال في سورة المائدة"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

1-السامرائي، لمسات بيانية: ص 73

2-نفسه ص 74

3-الإنسان : 02

هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[1] "إذن فصيغة المبالغة سميع تستعمل في مقام المدح و الامتنان و التفضل بالنعمة، ففي آية سورة الإنسان ، و على ما جرى عليه في القرآن الثناء هنا بالامتنان على الانسان (سميعا بصيرا) لذا اقتضى استخدام الصيغة (سميع) و ليس (سماع)"[2]

الطهور و الطاهر :

جاءت كلمة الطهور في قوله تعالى " عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا " [3] فقال تعالى (طهورا) و لم يقل (طاهرا) فكان ذلك أبلغ وأدق و أنسب في نظر السامرائي لأن صيغة المبالغة طهور على وزن (فعول) بمعنى الطاهر المطهر. و هي الأنسب للسياق مقارنة بصيغة (طاهر) الذي يكون طاهرا في نفسه وليس بالضرورة أن يكون مطهرا "واستعمال طهور هنا مناسب لسياق الآيات و تشتمل المعاني كلها الطاهر و المطهر و المبالغة فيهما..."[4] وقد عزز الباحث رأيه هذا بالآيات السابقة لهذه الآية و التي ذكرت لنا ثلاثة أنواع من الشراب كل منهما أعلى من الذي سبقه

1-المائدة : 41-47

2-السامرائي، لمسات بيانية: ص 94

3-الإنسان : 21

4- السامرائي ، لمسات بيانية : ص 113

" إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا " [1] " وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا"[2] وقال " وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا " [3] ؛ فذكر في الأول أنهم "يشربون" من كأس "كافور"، و الثاني أنهم "يسقون" كأسا"زنجبيلا" و بناه للمجهول، و ذكر الساقي ووصف الآنية أما الثالث فقال "سقاهم ربهم" وهو أعلى الدرجات فالساقي هو الرب عز و جل، فكانت "طهورا" أنسب صيغة في هذا المقام فهي قوية معبرة موجزة لا تحتاج إلى وصف.

-الكوثر و الكثير:

وردت كلمة (الكوثر) في قوله تعالى " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" [4] ولم ترد كلمة (الكثير). مع أنهما تبدوان متشابهتان. فالسامرائي يرى اختلافا بينهما في المبنى و المعنى، فالكوثر صفة مبالغة على وزن (فوعل و فيْعل) تدل على المبالغة المفرطة في الخير، و الكوثر قد تكون صفة كما قد تكون ذاتا، أما الكثير فهي صفة فقط "فالكوثر هو بالإضافة إلى الكثرة المفرطة فهو في الخير خصوصا، وقد تكون الذات الموصوفة بالخير (فقال أقبل السيد الكوثر أي السيد الكثير الخير و العطاء) و لا يقال أقبل الكثير ...فالكوثر أولى من الكثير لما فيه من من الكثرة المفرطة مع الخير"[5]

1-الإنسان:05
2-الإنسان : 17
3-الإنسان: 21
4-الكوثر:01
5-السامرائي، لمسات بيانية ، ص 176

أحد و واحد :

وذلك في قوله تعالى " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " [1] لقد ذكر السامرائي جوانب عديدة تخص اختيار لفظة –أحد-في هذه السورة . إلا أننا سنقتصر على رأيه الخاص في هذا المقام، ذهب السامرائي إلا أن كلمة –أحد- أولى من واحد و أنسب لهذه الآية ، وذلك لأن –أحد-صفة مشبهة على وزن (فعل) مثل بطل وحسن. أما (واحد) فهي على وزن اسم الفاعل من (وحد) و المعروف في اللغة أن الصفة المشبهة أثبت من اسم الفاعل "فالواحد قد تزول وحدانيته إذا كان له نظير. فتقول : كنت واحدا فصرت اثنين و كان واحدا فصاروا جمعا ... أما أحد فهي تدل على الثبات و الدوام ... وهذا مناسب لقوله "لم يلد و لم يولد" [2]

عليم-عالم-علام :

يقول تعالى " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [3] لقد بحث السامرائي القصد من استعمال (عليم) في هذه الآية بدلا من (عالم و علام) فاستنتج بعد مقارنته لمجموعة من النصوص أن كل صيغة تختص بمعنى معين وسياق معين. أما عالم: فهو عالم يعلم الغيب المفرد أو الغيب و الشهادة المفردتين " قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ

1-الإخلاص : 01

2-السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1: ص 62

3-الحديد: 03

فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[1] وعلام :يعلم الغيب مجموعا "علام الغيوب"[2] أما عليم : فإنه أطلق فيه العلم بمعلومات عموما و لم يخصه بنوع من المعلومات، أو أن يطلق الاسم فلا يقيده بشيء أو أن يستعمله مع الجمع أوفعل الجمع "بكل شيء عليم"[3] "بكل خلق عليم"[4] ، لذلك يرى السامرائي أن صيغة (عليم) هي الأنسب و الأدق في هذه الآية "أي المحيط علمه بكل شيء وأنه وسع كل شيء علما وقال "عليم" ولم يقل (عالم) للدلالة على بالغ علمه و سعته ..." [5]

3-أبنية الفعل و دلالاتها :

بعد أن عرضنا أبنية الاسم ودلالتها و دورها في التفسير البياني عند السامرائي سننتقل في هذا العنصر إلى أبنية الفعل ودلالاتها، و ذلك لاعتماد الباحث عليها، أو على بعضها، لأنه بعد تتبعنا لتفاسيره وكتبه وجدناه قد وقف عند بعض الجوانب الخاصة ببنية الفعل لا كلها فقيدنا الجوانب التي تكررت كثيرا في تفاسيره و شكلت ظاهرة تستحق أن نعتبرها أداة معتمدة في التفسير وتستحق كذلك أن نعقد من أجلها عنصرا.

إنه من المعروف عند النحاة واللغويين أن الفعل هة ما دل على حدث وزمن و هو ثلاثة

1-الجمعة :08

2-سبأ:48

3-الشورى :12

4-يس :79

5-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 240

أنواع: ماض ، مضارع و أمر، و هو بالنسبة لفاعله مبني للمعلوم و مبني للمجهول وبالنسبة لعمله لازم و متعدي و بالنسبة لبنيته مجرد و مزيد ..."[1]

لقد وجدنا السامرائي قد اعتمد في تفسيره على الفعل فركز تركيزا واضحا على:

أ-أزمنة الفعل :

الكلمة في العربية اسم و فعل و حرف. وقد رأينا سابقا أن الفرق بين الاسم و الفعل يكمن في أن الاسم ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن. أما الفعل فهو مقيد بالزمن "الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان"[2] وأزمنة الفعل في العربية ثلاث: ماض ، مضارع وأمر بينها سيبويه في قوله " و أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت للماضي، و لما يكون، و لم يقع، و ماهو كائن لم ينقطع"[3] وبهذا يكون الماضي يدل على حدوث الفعل في زمن مضى قبل التكلم أما المضارع يدل على حدوث الفعل في زمن التكلم أو بعده أي-الحال و الاستقبال.

والأمر ما يطلب به حصول الفعل بعد زمن التكلم " فالماضي إنما أطلق على ما يسبق زمن

التكلم قريبا كان ذلك أو بعيدا محقق الوقوع أو غير محقق، و المضارع ما اشتمل على معنى متسع رحيب يبدأ بالماضي القريب و ينتهي إلى المستقبل البعيد أما الأمر فصيغة

1-خديجة لحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ص 377

2-الزمخشري ، المفصل : ص 319

3-سيبويه ، الكتاب ،ج1 : ص 40

إنشاء طلبي يقصد به إلى طلب القيام بالفعل..."[1] هذا التقسيم الخاص بأزمنة الأفعال لا يعني استقلال كل فعل بزمنه الخاص، إنما قد تتداخل معاني الأزمنة فنستطيع أن نعبر عن المضي بالمضارع، وعن الاستقبال بالماضي "وإن المعاني لتتداخل في هذا التقسيم بحيث يكون المضارع أحيانا صالحا للدلالة على معنى المضي حين تسبقه أداة بعينها ك (لم ولما) ...و قد يكون الماضي صالحا للدلالة على معنى الحال أو قريبا من الحال، إذا أريد بذلك معنى التحقيق"[2]

كل هذه الأزمنة وكل هذه المعاني جعل منها السامرائي مفتاحا يلج به النص القرآني بغية الوصول إلى المعاني و الدلالات المرجوة، و بغية تبيان دقة و مقصدية اختيار التعبير القرآني الزمن المناسب في سياقه الملائم.

فمن خلال قراءتنا لتفسيراته البيانية وجدناه قد بين أن :

1-الفعل الماضي يعبر به عن المضي و الانتهاء، و المضارع يعبر به عن الحال والاستمرار و الاستقبال.

2-قد يعبر بالفعل الماضي عن الاستقبال من أجل تحقيق الوقوع.

3-الفعل المضارع أرحب و أشمل الأزمنة

4-الفعل الماضي مع الشرط يفيد الاستقبال وعدم التكرار و الفعل المضارع مع شرط يفيد وجود تكرار الحدث.

1-أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، طبعة جديدة، بيروت، 2006: ص 30

2-نفسه: ص 32

5-فعل الأمر يستعمل للأمر و التكليف (لكنه لم يرد بكثرة كسابقيه)

وسنفصل في هذا مع النماذج القرآنية :

أ-1-الفعل الماضي و الفعل المضارع : (المضي و الانتهاء- الحال و الاستمرار).

من ذلك قوله تعالى " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى"[1] أشار السامرائي إلى اختلاف أزمنة الفعلين (يغشى و تجلى) بالرغم من أن السورة واحدة. فقد استعمل سبحانه و تعالى الفعل المضارع مع الليل (والليل إذا يغشى) ، و استعمل الفعل الماضي مع النهار (والنهار إذا تجلى) و ذلك لقصد و غرض حدده السامرائي بقوله"...ذلك لأن الليل يغشى شيئا بعد شيء و أما النهار فإذا طلعت الشمس ظهر و تجلى وهلة واحدة ،ولهذا قال في سورة الشمس (والشمس و ضحاها) (والنهار إذا جلاها و الليل إذا يغشاها)"[2] فكان الماضي للانتهاء دفعة واحدة و المضارع للحدوث و التدرج و الاستمرار.وفي سورة الليل دائما قال تعالى " فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى"[3]وقال في الأنبياء" قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ"[4]

لقد قارن السامرائي بين هذين النصين وتساءل عن سبب استعمال الفعل الماضي في سورة

الليل (فأنذرتكم) بدلا من (فأنذركم) كما هو الحال في سورة الأنبياء (إنما أنذركم)، و فسر

1-الليل : 1-2

2-السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 124

3-الليل : 14

4-الأنبياء : 45

السامرائي هذا الاختلاف بمناسبة زمن كل فعل لسياقه و معناه إذ رأى أن سورة الليل قد تم فيها الإنذار عن شيء واحد (النار) و انتهى الأمر. أما سورة الأنبياء ففيها إنذار مستمر عن شيء مستمر (الوحي) "ذلك لأنه أنذرهم بأمر واحد أخبرهم به وهي النار ، أما قوله "أنذركم بالوحي" فلأن الوحي مستمر و الإنذار لم ينتهي ما دام الوحي يتنزل فجاء به مضارعا"[1]

من ذلك أيضا قوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ "[2] في هذه الآية لوحدها استعمل سبحانه و تعالى الفعل المضارع (نكتب)، و استعمل الفعل الماضي (أحصيناه) هذا التباين له غرضه الدلالي عند السامرائي

إذ استعمل الفعل المضارع في مكانه المناسب وهو (الكتابة)، و يقصد بها كتابة ما يفعله المكلفون في حياتهم، و استعمل الماضي مع الإحصاء و يقصد به كتابة الله تعالى في اللوح. فاستعمل الماضي مع الإحصاء الذي هو سابق للكتابة التي ستأتي فيما بعد و تبقى مستمرة ما استمرت حياة الإنسان"وقال (نكتب) بالمضارع و (أحصيناه) بالماضي لأن الإحصاء في الإمام المبين سابق على الكتابة. فإن الكتابة تكون لما يفعله المكلفون و هي متأخرة عما كتبه الله في اللوح فقد جف القلم بما هو كائن إلى يزم الدين ..."[3]

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 143

2-يس : 12

3-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 46

وقال تعالى في سورة يس أيضا" وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ"[1] فجاء بالفعل المضارع (تأتيهم) و لم يأت بالماضي فبين السامرائي ضرورة و مناسبة الفعل المضارع الدال على الاستمرار لا الانقطاع بقوله" جاء بالفعل المضارع فقال(ما تأتيهم) لأنه يريد أن يبين أن هذا شأنهم و دينهم و ليدل على الاستمرار. و لم يقل (أتتهم) بصيغة الماضي لأنه لا يريد أن يبين حالة ماضية فإن الماضي يفيد الانقطاع لا الاستمرار " [2] ومثل هذا قوله تعالى " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى"[3] فقال تعالى (وما ينطق) و لم يقل (وما نطق) فجاء بالمضارع بدل الماضي، لحكمة و قصد رآها السامرائي في دلالة هذا الفعل على نفي الغواية و الهوى في الماضي و في الحاضر، وهذا النفي يبقى مستمرا عكس الفعل الماضي الذي ينفي النطق في الماضي فقط.. و هذا ما وضحه في قوله "...فلو قال(ما نطق عن الهوى) لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط، و لم ينفه عنه فيما يستقبل من نطقه فقد نفى تعالى عن رسول الله الضلال و الغواية في الماضي كله، و نفى عنه الهوى في النطق في الحاضر و المستقبل ..."[4]

وغيرها من التعابير القرآنية الكثيرة التي بين من خلالها السامرائي مقصدية استعمال الفعل الماضي والمضارع، فاتضح من خلال تفسيراته هذه أن الماضي استعمله القرآن لما مضى وانتهى من الأحداث، أما المضارع فاستعمله لما هو واقع مستمر.

1-يس:46

2-السامرائي، على طريق التفسير البياني.ج2:ص 164

3-النجم:03

4-السامرائي، لمسات بيانية: ص 34.

أ-2-الفعل الماضي و الاستقبال:

استعمل الفعل الماضي من أجل التعبير عن الانتهاء، و المضي، لكن القرآن يستعمله أحيانا للتعبير عن الاستقبال، وذلك من أجل جعل الأحداث المستقبلية متحققة الوقوع"و التعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال ..."[1] هذا التعليل رأيناه في قول أحمد عبد الستار الجواري "...وقد يكون الماضي صالحا للدلالة على معنى الحال أو قريبا من الحال إذا أريد بذلك معنى التحقيق" [2] فهذا الانزياح في الاستعال للفعل الماضي في القرآن الكريم، بحثه السامرائي وحاول إيجاد التفسيرات والتعليلات التي تبين الحكمة و المقصدية من هذا الاستعمال، كما سنبين في بعض النماذج القرآنية: كقوله تعالى " إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ"[3] فقال تعالى " اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ" مستعملا الفعل الماضي بدل المضارع، فكان هذا ممكنا في نظر السامرائي، لأنه يمكن التعبير عن الاستقبال بالماضي لغرض تحقيق الوقوع، فقال "إن الفعل الماضي قد يعبر به عن المستقبل كقوله تعالى " وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"[4] أي تخرج"[5] وقال "وجاء في (روح المعاني) أن (اتبع) بمعنى (يتبع)، و التعبير بالماضي

1-نفسه: ص 124.

2-احمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل: ص 30.

3-يس:11

4-البقرة:150

5-السامرائي، على طريق التفسير البياني،ج2: ص 30.

لتحقيق الوقوع..."[1] ، مثل هذا القول و هذا التفسير نجده في قوله تعالى " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ"[2] فالحدث حدث مستقبل إلا أننا نرى استعمال الفعل الماضي (نفخ) ،و تفسير ذلك عند الباحث هو التعبير عن حدث محقق الوقوع بالفعل الماضي الذي يفي بهذا الغرض "لقد قال " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" من الأحداث"[3]

أ-3-الفعل المضارع أرحب و أشمل الأزمنة:

من المعروف عندنا أن الفعل المضارع دال على الحال و الاستقبال إلا أن هذا الفعل أشمل و أرحب مما نظن "ولعل أوسع الأفعال في الدلالة على معنى الزمن الفعل المضارع فإنه صالح للتعبير عن معنى الأزمنة الثلاثة قريبها و بعيدها و أوسطها..."[4] ،فقد ذكر السامرائي أنه كما استعمل القرآن الكريم الفعل الماضي للدلالة على الاستقبال من أجل تحقيق الوقوع، فكذلك استعمل القرآن الكريم المضارع للدلالة على أحداث قد مضت من أجل إضفاء الحركة و الحيوية عليهما و التأثير في القارئ.

من ذلك قوله تعالى " قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ"[5] "حكاية الحال الفعل الماضي تضفي عليه الحركة و الحيوية، و تجعله معاصرا خاصة في الأمور المهمة"[6] و من ذلك أيضا

1-نفسه: ص 31.

2-يس: 51.

3-السامرائي، على طريق التفسير البياني.ج2: ص 180.

4-أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل: ص 33.

5-البقرة : 144

6-السامرائي، لمسات بيانية : ص 148

قوله تعالى " فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ "[1] فلم يقل (قتلتم) بالماضي وذلك لغرض التشنيع وجعل الصورة معاصرة حية مؤثرة، كما وضح السامرائي في قوله"لم يقل قتلتم و هذا من باب التشنيع على الفعل فعندما تكون الأمور مهمة تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة لأن الانسان يتفاعل مع الصور الحية معه القريبة منه و هي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه..."[2]

كما بين السامرائي أن الفعل المضارع صالح لأن يعبر في التعبير القرآني عن الأزمنة كلها ماضيها و حاضرها و مستقبلها كقوله تعالى " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[3] (فترحمون) جاءت في المضارع، و قد رآها السامرائي مناسبة جدا للأمر الذي سبقها " اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ" فالأمر جاء شاملا، لذلك جاء بالمضارع حتى تكون الرحمة شاملة كذلك "...فقد أمرهم باتقاء ما تقدم و ما هو حاضر و ما هو آت فكان الأمر عاما شاملا للأزمنة كلها حاضرها و مستقبلها. فجاء بالفعل المضارع مجردا من (أن) ليشمل ذلك كله،و لو قال (عسى أن ترحموا) لكان خاصا بالمستقبل فناسب العام العام ..."[4]

أ-4-الفعل الماضي و المضارع و الشرط:

لقد ذكر السامرائي أن الشرط يجعل الماضي يدل على الاستقبال كالمضارع، نحو

1-البقرة : 91

2-السامرائي، لمسات بيانية: ص 142.

3-يس : 45,

4-السامرائي، على طريق التفسير البياني،ج2: ص 161

قوله " إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ"[1] ، أما الفرق بين استعمال التعبير القرآني للماضي مع الشرط، واستعمال المضارع مع الشرط فقد ذهب السامرائي إلى أن الشرط مع الفعل المضارع يدل على تكرار الحدث مرات عديدة، وأن الشرط مع الماضي لا يدل على التكرار بل يكون الحدث مرة واحدة"و الذي يترجح عندنا أن الفعل المضارع مع الشرط كثيرا ما يفيد افتراض تكرار الحدث بخلاف الفعل الماضي فإنه كثيرا ما يفيد افتراض وقوع الحدث

مرة"[2] ، ومن ذلك قوله تعالى" وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"[3] وقال " وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ"[4] فجاء بالفعل المضارع مع القتل المتعمد، و جاء بالفعل الماضي مع القتل الخطأ، ففسر ذلك السامرائي بعدم تكرار وحدوث القتل الخطأ لذلك ناسبه الفعل الماضي مع الشرط، وبإمكانية تكرر القتل المتعمد من طرف القاتل "فعندما ذكر القتل الخطأ جاء بالفعل الماضي، لأن هذا خطأ غير متعمد، إذن هو لا يتكرر، و عندما جاء بالقتل العمد جاء بالفعل المضارع (ومن يقتل)، لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن، فكلما سنحت له الفرصة فعل، فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار"[5] ،و نحو ذلك قوله تعالى " قُلْ فَمَنْ

1-الزمر : 38

2- السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج2: ص 76.

3-النساء : 93

4-النساء : 92

5-السامرائي، لمسات بيانية : ص 63,

يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا"[1] فقال (إن أراد) بالفعل الماضي، و لم يأت بالفعل المضارع، و ذلك راجع في نظر السامرائي إلى أن هذه الإرادة تأتي مرة واحدة ولا تتكرر، لذلك كان الماضي أنسب، و أدق "فجاء بعل الإرادة ماضيا (إن أراد) لأن هذه الإرادة تكون مرة واحدة، ولا تتكرر فإنه إذا أهلكه فقد انتهى الأمر"[2] ،و مثله قوله تعالى " فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا"[3] وقوله " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا"[4] وقوله " وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا"[5] أما قوله تعالى " وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ"[6] فقد جاء فعل الإرادة مضارعا (ومن يرد) ولم يأت به ماضيا كسابقيه . فأرجع السامرائي ذلك إلى تكرار إرادة الثواب سواء ثواب الدنيا أو ثواب الآخرة، فالفعل متكرر ما دامت هناك حياة.

أ-5-فعل الأمر:

فعل الأمر هو ثالث أنواع الفعل في العربية بعد الماضي و المضارع ذكره سيبويه في قوله

1-المائدة : 17
2-السامرائي، على طريق التفسير البياني. ج2 : ص 75.
3-البقرة :233
4-الإسراء : 16
5-الإسراء: 19
6-آل عمران : 145

"...و أما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرا: اذهب، و اضرب..."[1] وللأمر صيغة (افعل) و ما يتفرع منها مبنيا آخره على السكون أو على ما يجزم به"[2] ،و الأمر ما يطلب به حصول الشيء من المخاطب بعد زمن التكلم "ولعل ذلك يدل على أن صيغة افعل في الأمر صيغة مستقلة بالمخاطب، شائعة فيه لا يعدل عنها إلى (لتفعل) إلا إذا أريد معنى التلطف، و بدل النصيحة و نحو ذلك من المعاني"[3] ، و من خلال دراستنا هذه لاحظنا وقوف السامرائي عند الفعل الماضي و المضارع وقوفا مفصلا و معمقا، أما فعل الأمر فلم يذكره إلا ناذرا نحو قوله تعالى " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"[4]

ففعل الأمر (قل) له دوره ، و دلالته، إذ ذهب السامرائي إلى أنه لو حذف الفعل (قل) لاختل المعنى، وضاع القصد المنشود، ففعل الأمر يدل على علو القائل و قوته و ضعف المخاطب و احتياجه إلى الآمر "...أمر الله الرسول بأن يقول (قل) و الأمر بالقول له أهمية كبيرة هنا، و لو حذف الفعل لاختل المعنى المقصود (قل) للإفصاح عن ضعفه و التجائه إلى ربه..."[5] بهذا بين السامرائي مناسبة فعل الأمر لسياقه و معناه المقصود.

2-المبني للمجهول و المبني للمعلوم:

من تقسيمات الفعل أيضا في العربية المبني للمعلوم، و المبني للمجهول. فالأول ما

1-سيبويه، الكتاب . ج1 : ص 40.
2-أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل : ص 56.
3-نفسه : ص 59.
4-الناس: 01
5-خديجة لحديثي،أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ص 430.

عرف فاعله نحو حفظ محمد الدرس، و الثاني ما جهل فاعله و أنيب عنه غيره نحو : حفظ الدرس، وفي البناء للمجهول تغير صورة و صيغة الفعل لذلك اعتبر سيبويه المبني للمجهول فرعا من المبني للمعلوم "ومن هذا يتضح أن سيبويه يجعل لهذه الأفعال أصلا، و إن لم يكن مستعملا"[1] و القاعدة العامة في بناء الماضي للمجهول هي ضم أوله و كسر ما قبل آخره نحو : (سأل-سئل)، (لعب-لعب) ...أما المضارع فيبنى للمجهول بضم أوله و فتح ما قبل آخره إن لم يكن مفتوحا نحو: (يكتب-يكتب)،(يدرس-يدرس)...

ومن خلال بحثنا هذا وجدنا السامرائي يقف عند المبني للمجهول و المبني للمعلوم ويجعل منهما منطقا و قاعدة معتمدة في تفسيراته القرآنية، كما وجدناه قد ذكر أغراضا لحذف الفاعل أو بناء الفعل للمجهول.

"قد يترك الفاعل و يؤتى بما ينوب عنه لأغراض متعددة.."[1]هذه الأغراض أحصاها السامرائي في كتابه (معاني النحو ،الجزء الثاني) نجمعها في النقاط التالية:

1-غرض لفظي كالسجع،2-غرض معنوي:كأن يحذف للجهل به(سرق المتاع)3-أو يكون معلوما لذا المخاطب فلا تذكره له،4-و قد يحذف الفاعل لأنه لا يتعلق غرض بذكره.5-وقد يحذف للخوف منه.6- و قد يحذف قصد إبهامه فلا يريد المتكلم إظهار الفاعل بقصد التواضع أو التحقير أو للتعظيم.

1-السامرائي، معاني النحو .ج2: ص 62

وقد توصل السامرائي من خلال تفسيره البياني للقرآن الكريم إلى قاعدة أو ظاهرة وجدها تتكرر في كل القرآن الكريم، ذكرها في معاني النحو قائلا"فهناك خط واضح وظاهرة بينة في التعبير القرآني، و هي أن الله سبحانه و تعالى يذكر نفسه و يظهر ذاته و تفضله في الخير العام بخلاف الشر و السوء، فإنه لا يذكر فيه نفسه، تنزيها لها عن فعل الشر و إرادة السوء"[1] هذه النتيجة و نتائج أخرى ستظهرها النماذج القرآنية التي سنختارها في هذا المقام: مثل قوله تعالى " قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ"[2] ذهب السامرائي إلى أن السياق هو سياق اختصار و طي أحداث كثيرة، إذ طوى القرآن ذكر كل ما حصل بعد قولته التي قالها، و ما فعل به قومه و ذهب مباشرة إلى ذكر جزاء الآخرة (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) ، و لأن المقام مقام اختصار بني الفعل للمجهول فقال (قيل) و لم يذكر القائل، لأنه لا يتعلق غرض من ذكر القائل هم الملائكة..."[3] و بهذا بين السامرائي القصد من استعمال المبني للمجهول، و كيف ناسب سياقه الذي يركز على فحوى القول لا على القائل "و هكذا يطوي ما حصل له بعد قوله، و يطوي الفاعل فيبني الفعل للمجهول ويطوي المقول له و لا يذكر إلا قوله (ادْخُلِ الْجَنَّةَ)[4]"

1-نفسه: ص 63

2-يس :26-27

3-السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج2: ص 89.

4-نفسه : ص 89-90

ومنه قوله تعالى " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[1] لقد رأى السامرائي مناسبة بناء الفعل (قيل) للمجهول في هذه الآية وذلك لأكثر من سبب :

1-أن القائل معلوم وهم المؤمنون

2-لا يتعلق غرض بذكر القائل، فإنه لا يتغير الحكم لتغير القائل فإن المقصود هو المقول و ليس القائل.

3-ثم إنه لو ذكر القائل لظن أن هذا الموقف من الكفرة، بسبب القائل، و لو كان القائل شخصا آخر لتغير الموقف.

هناك قصد آخر من بناء الفعل للمجهول حدده السامرائي في تفسيره وهو عدم إسناد الفعل للإنسان و بنائه للمجهول لأن الفاعل معروف و هو الله الخالق القادر المنجي...كما يتضح في قوله تعالى " وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى"[2] وضح السامرائي سبب بناء الفعل (سَيُجَنَّبُهَا) للمجهول بأن الآية فيها تحذير للناس من النار، وأن تجنبها لا يتحقق إلا بإرادة الله ،و لا طاقة للإنسان في ذلك، لهذا لم تستعمل (يتجنبها) (الإنسان) "الأمر يعود إلى خالق الخلق و خالق النار فالله تعالى هو الذي يجنب عبادة النار و لا أحد يستطيع أن يتجنبها بنفسه أبدا"[3]

وكما بين السامرائي أن البناء للمجهول يكون لقصد و غرض معنوي، بين كذلك أن البناء

1-يس : 47

2-الليل: 17

3- لمسات بيانية : ص 168.

للمعلوم يكون لقصد و غاية و مناسبة للسياق الذي يرد فيه مثل قوله تعالى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ"[1] لقد جاء الفعل (خلقنا) مبنيا للمعلوم نسبه سبحانه وتعالى لنفسه و لم ينسبه للمجهول ، و ذلك مناسب جدا في نظر السامرائي للسياق الذي فيه تبيان لتفضل الله و نعمه على خلقه "ثم لأنه لو بناه للمجهول لم يدل على أن الخالق هو الله سبحانه، و لا يتناسب ذلك مع السياق الذي وردت فيه الآية، و الذي أراد الله فيه أن يظهر آياته و نعمه على خلقه، ليعبدوه و يوحدوه فتكون الجهة مجهولة"[2] مثل هذا القول كثير الذي ينسب فيه سبحانه التفضل والخير و العطاء إلى ذاته العظيمة نحو قوله تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"[3] "فإنه أسند الخلق إلى نفسه و لم يبنه للمجهول و ذلك أنه موطن بيان عظيم قدرته و حسن فعله و بديع صنعه فأسند ذلك على نفسه و هذا في القرآن خط واضح..."[4] ومثله قوله " وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[5]

3-الفعل المجرد و المزيد:

ينقسم الفعل إلى مجرد و مزيد، أما المجرد فهو ما كانت جميع حروفه أصلية خالي من حروف الزيادة " لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة "[6] ، أما المزيد

1-يس: 71-73

2- على طريق التفسير البياني. ج2 : ص 248.

3-التين : 04

4- لمسات بيانية : ص 168

5-الأعراف : 181.

6-أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف: ص 61.

فهو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية. وقد وجدنا من خلال بحثنا هذا في تفسير السامرائي البياني أنه اعتمد على بعض أبنية المجرد و المزيد و الفرق بينهما في استنباط المعاني و الدلالات المناسبة لسياقاتها.

1 -فعل - افتعل:

لقد وقف السامرائي عند قوله تعالى " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا"[1] فذهب إلى أن الفعل (نبتليه) ليس هو (نبلوه) لأن الأول مزيد من الفعل (ابتلى) الذي يدل على المبالغة و الزيادة في الفعل، و الثاني مجرد، فالسامرائي يبين في هذا المقام أن الزيادة في صيغة الفعل تكون للزيادة في الفعل و المبالغة فيه، مقارنة بالفعل المجرد نحو قوله تعالى " وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ"[2] وقوله تعالى " هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا"[3] فحسب تفسير السامرائي هناك فرق بين استعمال القرآن للفعل المجرد و الفعل المزيد "الفعل المجرد بلى يبلو، أما الفعل ابتلى يبتلي ففيه مبالغة أكثر من فعل بلى مثل صبر واصطبر، لأن صيغة افتعل فيها مبالغة مثل كسب و اكتسب، إذن قال تعالى(نبتليه) وليس (نبلوه) دلالة على المبالغة في الاختبار"[4] ، ومثل (نبتلي و نبلو) (نقتبس و نقبس) في قوله

1-الإنسان: 02
2-آل عمران : 154
3-الأحزاب : 11
4- لمسات بيانية: ص 91

تعالى" يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ"[1] فرأى السامرائي أن (نقتبس) هي المناسبة في هذا السياق للدلالة على المبالغة "وقالوا (نقتبس) ولم يقولوا (نقبس) لأن الاقتباس أبلغ من القبس، وذلك دليل على عظم نور المؤمنين و هو لا ينقص بالاقتباس"[2]

2-فعل-فعّل :

من ذلك (فجر و فجّر) في قوله تعالى " وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ"[3] وجاء الفعل (فجّرنا) مشدد و مضعف، و لم يقل (فجرنا)بالتخفيف فكان هذا عند السامرائي مناسبا جدا للكثرة و المبالغة، إذ قال في تفسيره لهذه الآية" "وفجّرنا فيها" بتضعيف العين للدلالة على الكثرة فإن (فعّل) المضعف العين يفيد التكثير و المبالغة أما الفعل الثلاثي

فلا يفيد التكثير" [4] ودليل السامرائي على هذا الذي ذهب إليه قوله تعالى " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا"[5] " فقال (تفجر) بالتخفيف لأنه ينبوع واحد في حين قال (فتفجر الأنهار) بالتضعيف لأنه ذكر أنهارا لا ينبوعا"[6]

1-الحديد: 13
2- على طريق التفسير البياني ،ج1:, ص258
3-يس : 34
4- على طريق التفسير البياني ، ج2: ص 127.
5-الإسراء : 90-91
6- على طريق التفسير البياني ج2: ص 127.

3-وكما قارن السامرائي بين الفعل المجرد و الفعل المزيد وبين مناسبة كل واحد منهما لسياقه، قارن أيضا بين أفعال مزيدة نظنها نحن شيئا واحدا . و بين الفرق بينها و مناسبتها لسياقاتها التي ترد فيها نذكر منها:

-فعّل و أفعل :

كثيرا ما ترد أفعال في التعبير القرآني مرة تكون على ون فعل ومرة على وزن أفعل قد تبدوا لنا أنها متشابهة و تعني شيئا واحدا، إلا أن السامرائي جعل الفرق بين الصيغتين موضوع بحثه و قاعدة لغوية فسر بها العديد من التعابير القرآنية، فقد أفرد لذلك عنوانا في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" قال "قد يرد في القرآن الكريم فعّل و أفعل بمعنى واحد مثل : نجّى و أنجى و نبّأ وأنبأ، و نحن نلتمس الفرق بينهما في الاستعمال القرآني"[1] لقد ذهب السامرائي إلى أن (فعل) تفيد التكثير و المبالغة و تفيد معاني أخرى كالتعدية و النسبة إلى أصل الفعل ... و هذا ما وجدناه في كتب الصرف...أن (فعّل) فيها استغراق وقت أطول من (فعل و أفعل) " و من مقتضيات التكثير و المبالغة في الحديث استغراق وقت أطول وأنه يفيد تلبثا، أو مكثا (فقطّع) يفيد استغراق وقت أطول من (قطع) ...وفي (علّم) من التلبث و طول الوقت في التعلم ما ليس في (أعلم) ،تقول(أعلمت محمدا خالدا مسافرا) وتقول(علمته الحساب) و لا تقول (أعلمته الحساب) ..."[2] ، و نماذج

1-السامرائي، بلاغة الكلمة: ص 58

2-بلاغة الكلمة : ص 58

السامرائي على هذا القول كثيرة نذكر منها (كرّم و أكرم) : فمن خلال ورود (كرّم) في العديد من الآيات القرآنية استنتج السامرائي أن (كرّم) يستعملها القرآن لما هو أبلغ و أدوم نحو قوله تعالى " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ"[1] وقوله " قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ"[2] أي فضلته علي في حين قال " كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ"[3] وقال" فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ"[4] وهو يقصد إكرامه بالمال. بهذا بين السامرائي أن القرآن يستعمل (كرّم) لما هو أدوم و أعم وأبلغ بخلاف (أكرم) . و مثله استعمال(وصّى و أوصى) : فمن خلال مقارنة السامرائي للنصوص القرآنية، و موازنته لها ذهب إلى أن التعبير القرآني يستعمل (وصّى) لما هو أهم كالأمور المعنوية و أمور الدين، ويستعمل (أوصى) للأمور المادية مستشهدا بقوله تعالى

"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ"[5] وقوله " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ"[6] في حين قال في النساء"يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ"[7] وقد ذكر السامرائي أن القرآن الكريم لم يستعمل (أوصى) مع أمور الدين إلا في آية واحدة هي قوله تعالى"وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا "[8] وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة.

1-الإسراء: 70
2-الإسراء:62
3-الفجر:17
4-الفجر : 15
5-العنكبوت:07
6-البقرة:132
7-النساء :11
8-مريم : 31

ثانيا-التغييرات التي تطرأ على البنية ودلالاتها:

1-الذكر و الحدف:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها كل اللغات البشرية حيث يميل الناطقون بها إلى حذف بعض العناصر من كلامهم، و الحذف في العربية مس كل عناصرها"قد حذفت العرب الجملة، و المفرد والحرف و الحركة و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه..." [1]

لقد أشار سيبويه في كتابه للظاهرة"أعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصلهم في الكلام غير ذلك فلم يك، و لا أدر و أشباه ذلك"[2] وإن كان النحاة و علماء اللغة القدامى قد تعرضوا للحذف فإنهم اكتفوا في الكثير من المواضع بوصف الظاهرة، و ذكر النماذج و الأمثلة دون تعليلها، غير أن سيبويه قد علل للظاهرة في كتابه بكثرة الاستعمال إذ يقول"وغيروا هذا لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله: ألا ترى أنك تقول لم أك ولا تقل لم أق ، و نقول.... لا أدر كما نقول...هذا قاض..."[3] فقد علل سيبويه الحذف بكثرة الاستعمال في نماذج أخرى و تبعه في ذلك العديد من النحاة و اللغويين أمثال: ابن جني والفراء الكوفي و السيوطي-إذ جعل هذا الأخير سبب الحذف هو التخفيف-لكثرة دورانه في الكلام.

أماالباحث السامرائي فقد وقف عند ظاهرة الحذف، في الكلمة، ثم في التركيب كما

1-الخصائص ،ابن جني ،ج2 :ص360

2-ظاهرة الحذف ، طاهر سليمان، الدار الجامعية، الأسكندرية، 1998 :ص03

3-الكتاب ، سيبويه ،ج1 : ص257

سنرى في الباب الثاني. تنبه السامرائي إلى وجود كلمات مذكورة في القرآن الكريم مرة بالحذف و مرة أخرى بالذكر، بل أكثر من ذلك فكثيرا ما تكون الآيتان متشابهتين ومتطابقتين في التركيب إلا أن إحداهما ترد فيها الكلمة بالحذف وترد في الأخرى بالذكر، كل هذا السحر و البيان أثار تساؤل الباحث و أثار فضوله في البحث عن الأسباب و العلل و محاولة الوصول إلى الفروق الدقيقة بين معاني الاستعمالات و التعابير القرآنية.

إن ظاهرة الحذف في الكلمة القرآنية عند الباحث مقصودة ولها دورها في مؤازرة الدلالة المرجوة "و لا شك أن كل مفردة وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب و إن الحذف من المفردة مقصود كما أن الذكر مقصود..."[1] ، تحدث السامرائي عن الحذف في الكلمة خاصة في "بلاغة الكلمة في القرآن الكريم" كما تحدث عنه في كتابي "التعبير القرآني" و "معاني النحو" متناولا الحذف من الفعل، وحذف ياء المتكلم ،وذكر وحذف ألف المد وذكر و حذف النون مع ياء المتكلم وضمير المتكلمين.

أ-الحذف من الفعل:

يذهب السامرائي إلى أن الحذف في الفعل لا يكون اعتباطا بل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، و أن زمنه أقصر، ويحذف منه في الإيجاز و الاختصار، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، و إذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع

1-بلاغة الكلمة ، السامرائي : ص 04

من الفعل. و هذا ما ستثبته النماذج القرآنية الآتية:

يقول تعالى" فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً"[1] لقد استعمل التعبير القرآني لفظة (استطاعوا) بتركيبتين مختلفتين في أية واحدة –فجاءت الأولى بالحذف(اسطاعوا) والثانية بالذكر(استطاعوا) ففسر السامرائي الحذف بسهولة الفعل الأول، وهو الصعود على السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد و النحاس المذاب(فما اسطاعوا أن يظهروه) أما ورود نفس اللفظة في نفس الاية بالذكر (استطاعوا) فأرجعه الباحث إلى طول الفعل ومشقته، فأعطاه أطول صيغة " وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً" " ثم إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه، حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق والزمن الذي يتطلبه كل حدث"[2] . فأظهر السامرائي من خلال هذا النموذج القرآني أن الحذف مقصود وله دلالة خاصة. و أن الذكر مقصود و له دلالته هو أيضا، فربط بذلك بين بنية الكلمة الواردة و بين المعاني المقصودة.

ونجد مثل هذا التفسير في تعليق الباحث على كلمتي(تتنزل) و(تنزل) في الآيات الكريمة:

يقول تعالى " تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ"[3] ويقول تعالى" هَلْ أُنَبِّئُكُمْ

1-الكهف:97

2-بلاغة الكلمة، السامرائي : ص 10

3-القدر:04

عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ"[1] ويقول تعالى" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"[2] فجاءت كلمة(تتنزل) بحذف إحدى التائين في آيتي القدر والشعراء وجاءت (تتنزل) في آية فصلت من دون حذف. فعلل السامرائي الذكر في فصلت بكثرة التنزل "ذلك أن المقصود بها أن الملائكة تتنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة، وهذا يحدث على مدار السنة، في كل لحظة، ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل عليه الملائكة لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته، و لم يحذف منه شيئا"[3] أما تعليله للحذف (تنزل) فيعود في رأيه إلى قلة تنزل الشياطين، فهي لا تتنزل على كل الكفرة إنما الكهنة أو قسم منهم فهم قلة، فاقتطع من الحدث فقال "تَنَزَّلُ "بحذف إحدى التائين. أما الحذف في سورة القدر فهو كذلك لقلة تنزل الملائكة في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر"فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت فاقتطع من الحدث"[4] "فأنت ترى أنه اقتطع من الفعل إحدى التاءين في آيتي الشعراء و أية القدر لأن التنزل أقل

1-الشعراء:221-223

2-فصلت:30

3- بلاغة الكلمة : ص10

4- نفسه: ص11

ولم يحذف من آية فصلت لأنه أكثر و الله أعلم"[1] ففسر السامرائي الحذف في الكلمة بالقلة والذكر بالكثرة ليظهر مقصدية ودقة التعبير القرأني في إصابة معانيه.

كما هو الشأن في قوله تعالى" لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ" [2] وقوله " وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً"[3] فجاءت كلمة (تبدل) في آية الأحزاب بالحذف وفي آية النساء بالذكر، فلم يكن ذلك اعتباطيا، بل مقصودا في نظر السامرائي حتى و إن كان الفرق بين الكلمتين هو حرف واحد.فرأى أن وجود الحذف مرده إلى أن آية الأحزاب حكمها مقصور على الرسول (ص)فهو منهى على أن يتبدل بأزواجه أزواجا. أما وجود الكلمة بدون حذف في آية النساء فعلته هي توجيه حكم عام للمسلمين على مر العصور"فقال في الحكم المحدد و الحدث المقصور على شخص واحد(تبدل) بالحذف من الفعل ، وقال في الحكم العام الممتد على مر العصور (تتبدلوا) فجاء بالصيغة القصيرة للحدث القصير و الصيغة الطويلة للحدث الطويل الممتد"[4] . هذه بعض النماذج للتعابير القرآنية التي ذكرها السامرائي في حديثه عن الحذف و الذكر في الكلمة القرآنية، بين من خلال تحليله و تفسيره البياني لها روعة و دقة اللغة القرآنية في اختيارها الألفاظ في مكانها المناسب و سياقها الملائم بحيث وردت الكلمة

1-بلاغة الكلمة: ص11

2-النساء:52

3-النساء:02

4- بلاغة الكلمة : ص 12

بالحذف استجابة للمعنى و ملائمة للسياق، ووردت بالذكر استجابة لمعنى آخر و ملائمة لسياق آخر.

ب-حذف ياء المتكلم واجتزاء عنها بالكسرة:

ذهب السامرائي إلى أن حذف ياء المتكلم في المفردات القرآنية وذكرها في مواضع أخرى لا يكون إلا لغرض مقصود:فإنه قد تذكر الياء في مقام الإطالة و التفصيل ، وتحذف ويجتزأ منها بالكسرة في مقام الإيجاز و الاختصار ،وقد تحذف لغرض آخر يقتضيه المقام كأن يكون المقام يقتضي إظهار النفس أكثر من مقام آخر، كل هذه التعليلات فسربها السامرائي نماذج قرآنية عديدة نذكرمنها:قوله تعال"فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ"[1] بذكر الياء،أما في سورة المائدة فقال تعالى فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ"[2]وقال أيضا"فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْن"[3]بحذف الياء.أرجع السامرائي ذكر الياء في سورة البقرة إلى مقام الإطالة والتفصيل الذي يقتضيه تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وهو قد بدأ بقوله" سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[4] فتحويل القبلة أثار فتنة وملاحاة و أرجافا من المشركين و اليهود حتى ارتد قسم من ضعفاء الإيمان، كل هذا يقتضي بل يتطلب التوضيح و التفصيل و الإطالة وذكر الياء

1-البقرة :150

2-المائدة :03

3-المائدة: 45

4-البقرة:142-150

وذكر الياء لإثبات الذات الإلهية من أجل التخويف"فاقتضى المقام في آية البقرة ذكر نفسه لخشيته أكثر من المقامين الآخرين"[1] ونبه السامرائي إلى وجود توكيدات في سورة البقرة تناسب ذكر الياء و إضمارها كقوله تعالى" وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" [2] وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.."[3] وفي " الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ"[4] ...إلخ

أما الآية من سورة المائدة فلم تذكر فيها الياء، فهي آية واحدة عن الأطعمة المحرمة" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[5] وكذلك الاية الأخرى فهي في سياق الكلام عن التوراة " إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ

1-بلاغة الكلمة:ص23

2-البقرة:143

3-البقرة:144

4-البقرة:147

5-المائدة:03

بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ" [1] إن آية الأطعمة ليس فيها أمر فتنة و لا إرجافا ثم هي بعد انتصار المسلمين وعزة الإسلام، وكذلك آية التوراة ليس فيها إثارة و لاخصومة ،فاقتضى هذا كله إظهار الياء في مقام الإطالة و الفتنة، و حذفها في الآيتين الآخريتين التي لا تحتاج إلى تفصيل، و لا إلى إظهار الذات الإلهية(اخشون) و لقد تكرر ذكر الياء في مواضع كثيرة وحذفها في مواضع أخرى. فكانت محط تساؤل الباحث ولمسة فنية تحتاج منه إلى تعليل وتفسير نحو قوله تعالى" لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ"[2] فذكر الياء في كلمة (أخرتني). وحذفها في قوله تعالى على لسان إبليس" لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً"[3] فالفرق بين المقامين واضح في نظر الباحث؟ فهو يرى أن طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه و لا هو محتاج إليه، و إنما يريده ليضل ذرية ادم "ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بالنفع و لا يدفع عنه ضرا، و ليس له مصلحة فيه بل العكس هو الصحيح"[4] أما طلب الإنسان المتوفي، فهو طلب شخصي يحتاج إليه ليدفع الضر عن نفسه "فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقا وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه و لا يعود عليها بالنفع حذف منه

1-المائدة:44-55

2-المنافقون:10

3-الإسراء:62

4-بلاغة الكلمة :ص 24

الضمير و اجتز بالكسرة"[1] كما أضاف السامرائي لمسة بيانية أخرى، و هي أن كلام إبليس ليس طلبا، و إنما هو شرط دخل عليه القسم، فهو طلب ضمني، أما قول المتوفي فهو طلب صريح"ففرق تبعا لذلك بين التعبيرين، فصرح بالضمير و أظهر نفسه في الطلب الصريح وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح، وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، و في الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير"[2] وبهذا بين السامرائي الفروق الدلالية الدقيقة التي يحدثها حذف الياء أو ذكرها، إذ فرق التعبير القرآني بين طلب الإنسان لنفسه و ذاته فذكر الياء، وطلب إبليس الذي يريده من أجل غيره فحذف الياء.

لقد أشار السامرائي كذلك إلى أن ذكر الياء يكون في السياق الأوسع و الأشمل وحذفها يكون في السياق الأضيق، و الأقل، وذلك نحو ما ورد من ذكر ياء المتكلم وحذفها في كلمة (عباد) و(عبادي)، وردت كلمة (عبادي) بثبوت الياء في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" [3] إن العباد هنا قاعدة عريضة واسعة، فالذين أسرفوا على أنفسهم هم الأكثرون. وبهذه النماذج القرآنية يظهر لنا جليا كيف يربط السامرائي بين ذكر الياء و حذفها وبين الفروق الدلالية للتعابير القرآنية و سياقاتها العامة.

1-بلاغة الكلمة :ص24

2- نفسه: ص 25

3-الزمر: 53

ج-ذكر حرف المد وحذفه:

ذكر السامرائي أن حرف المد يذكر في مواطن و يحذف في أخرى وذلك بحسب ما يقتضيه المقام: ففي قوله تعالى" يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ "[1] مد (الرسول) و (السبيل) مع أن القياس لا يقتضي المد مع أن كلمة سبيل ذكرت في أول السورة دون مد " والله يقول الحق و هو يهدي السبيل" وضح السامرائي الفرق بين التعبيرين ، فالمد ناسب صراخ أهل النار وبكائهم "فالمقام هنا مقام صراخ و مد الصوت فناسب المد..."[2] أما عدم مد الألف في الآية الأخرى فناسب هو كذلك التقرير، و الإيضاح"وإنما هي قول الله مقررا حقيقة عقلية معلومة"[3]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى" إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً"[1] فالملاحظ هو مد الظنونا و تفسير ذلك عند السامرائي هو كثرة الظنون التي ظنها هؤلاء بالله

1-الأحزاب:22

2- بلاغة الكلمة : ص 34

3-نفسه : ص 34

4-الأحزاب:10-11

فحجمها مطلق، و ليس مقيد "فمد (الظنون) و أطلقها في الصوت مناسبة لتعددها و إطلاقها و لوقال الظنون لوقف على ساكن و الساكن مقيد فناسب إطلاق الألف إطلاق الظنون، هذا علاوة على رعاية الفاصلة"[1].

د-ذكر النون مع ضمير المتكلم و المتكلمين وحذفها :

جاء في آيات من القرءآن (إني) و (إنني) و (إنا) و (إننا) بذكر النون و حذفه،ا فكان هذا محط تساؤل الباحث: " هناك من غرض لغوي أو بلاغي في ذكر النون أو حذفها؟"[2]

فبالرغم من أن النحاة جوزوا الذكر و الحذف معا، و لم يعللوا لذلك ذهب السامرائي إلى أن حذف النون أو ذكرها يكون لسبب و قصد بلاغي أو لغوي، لأنه يدرك يقينا أن هذا التعبير صادر من بليغ معجز ، " و أنا لا أظن أن البليغ يرجح استعمالا على استعمال بلا سبب بل لابد لذلك من سبب"[3] الأسباب التي تذكر أو تحذف من أجلها النون في رأي السامرائي هي :

-للزيادة في التوكيد: يرى السامرائي أن زيادة النون و ذكرها قد تكون لزيادة توكيد المعنى "والذي يبدوا أن ذكر النون إنما يكون لغرض الزيادة في التوكيد ف (إنني) أكد من (إني) و(إننا) أكد من (إنا) وذلك إن اجتماع ثلاث نونات يزيد في التأكيد" [4] وضح السامرائي رأيه هذا بمجموعة من التعابير القرآنية نذكر منها: قوله تعالى على لسان

1-السامرائي ، بلاغة الكلمة: ص 34

2—السامرائي : معاني النحو : ص 327

3-نفسه: ص 328

4-نفسه: ص328

إبراهيم عليه السلام" فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"[1] حذف حرف النون في (إني)، أما قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أيضا" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ" [2] فذكرت هنا النون (إنني). فأرجع السامرائي اختلاف الاستعمال القرآني لاختلاف المقامين : فالمقام الأول هو مقام حيرة وبحث وعدم تأكد ثم إعلان البراءة من كل ذلك. أما المقام الثاني فهو مقام نبي مرسل يبلغ عن ربه أعلن الحرب على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه " و كذا جاء بالآية الأولى ب (إني) و في الثانية ب (إنني) لأنه في مقام أكثر توكيدا"[3] ويضيف السامرائي لمسة بيانية أخرى، وهي استعمال المصدر(براء) بدلا من (بريء) فناسب التوكيد بل زاده توكيدا فحصل التوكيد في آية الزخرف من جهتين:"زيادة النون و العدول إلى المصدر بخلاف آية الأنعام"[4]

ونحو ذلك ما جاء في سورة طه قال تعالى" فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي[5] وقال تعالى في آية "إني" وفي آية أخرى "إنني": "و السياق يظهر الفرق بينهما فإن في الثانية زيادة توكيد لأنه في مقام إعلامه بالنبوة، و تكليفه

1-الأنعام:78

2-الزخرف:26-27

3-معاني النحو: ص 328

4-نفسه : ص 328

5-طه: 11-14

بالرسالة...فاقتضى ذلك التفريق بين المقامين"[1]

ومن استعمالات(إنا) و(إننا) ذكر الباحث قوله تعالى" إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" وقوله تعالى" قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى"[2] فقال في الآية الأولى "إنا"، أما في آية طه قال "إننا" فناسب ذكر النون في الآية الثانية المقام، فهو مقام خوف شديد (إننا) و مقام تأكيد للذات الإلهية و المعية " و الفرق بين المقامين ظاهر ففي آية طه كان الخوف شديدا من فرعون فقال (إننا) ولذا أجابهم بالتأكيد نفسه (لا تخافا إنني معكما أسمع و أرى) بإثبات النون لتأكيد المعية ربطا للقلب ودفعا للخوف"[3]

-الإطالة و التفصيل:

يرى السامرائي أن إضافة النون قد تكون مراعاة لمقام الإطالة و التفصيل، و من ذلك قوله تعالى" قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ"[4] وقال في سورة إبراهيم " أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ

1-معاني النحو، ج1: ص 328-329
2-طه:45-46
3-معاني النحو، ج1: ص 329
4-هود:62

وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ"[1] فقد قال تعالى في هود "إننا" و في ابراهيم (إنا) الاختلاف في رأي السامرائي راجع إلى اختلاف السياق، فآيات هود تذكر تفاصيل الأقوام البائدة و تقص قصصهم واحدة واحدة فالمقام مقام إطالة و تفصيل.

بخلاف آية ابراهيم فإنها تظهر موقف الأمم من الرسل عموما على وجه الاجمال و الإيجاز لا على وجه التفصيل" فأطال في مقام التفصيل وأوجز في مقام الإيجاز..."[2]

2-الإبدال:

تتميز اللغة العربية بظواهر لغوية عديدة جعلت منها لغة جميلة مرنة تتناسب مع كل الأحوال و المقامات: نذكر منها ظاهرة الإبدال التي تعتري بناء الكلمة العربية فتغيره و "هو وضع حرف مكان حرف دون اشتراط أن يكون حرف علة" [3] لقد أشار السامرائي إلى استعمال التعبير القرآني لهذه الظاهرة كيف لا وهو أعلى مرتبة للبلاغة و الفصاحة و اللفتات البيانية"قد يستعمل القرآن الكريم المفردة أحيانا مبدلة و أحيانا غير مبدلة وذلك نحو (يتذكر) و (يذكر) (يتدبر) و (يدبر) و نحو (مكة) و (بكة) ، و (بسطة) و (بصطة) فهل لهذا الإبدال غرض؟"[4]

1-إبراهيم:09

2-معاني النحو، ج1: ص 329

3-زين كامل الخويسكي، قواعد النحو و الصرف،دار الوفاء، الاسكندرية،2002 : ص 242

4-بلاغة الكلمة: ص 36

إن هذا التساؤل الأخير الذي كان يشغل الباحث جعله يفتش عن التعليلات و التفاسير منطلقا من قناعته و تسليمه بفكرة أن كل تغير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى خاصة إن كان هذا البناء قرآني "إننا نرى كل تغيير من دون سبب و سنذكر أمثلة توضح هذا" [1] إن التعبير القرآني المعجز لا يستعمل مفردة استعمالا اعتباطيا و لا يبدل حرفا مكان حرف كيف جاء و اتفق، إنما هو تعبير دقيق مقصود لذلك رأى الباحث أنه من الواجب البحث عن الأسباب و التعليلات لهذه التعابير المختلفة "أما ما يدور في الذهن من سؤال عن الفرق بينهما فإن القرآن دقيق في غاية الدقة في الاستعمال-فهو لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد تماما و إن كانت مترادفتين أو مبدلتين"[2]

أ-الإبدال و الإدغام:

وقف السامرائي عند هذا النوع من الإبدال المستعمل بكثرة في القرآني الكريم، وهو إبدال(تاء) الافتعال بحرف آخر ثم إدغامها والإتيان بهمزة الوصل مثل (تذكر) تصبح (اذكر)و(تظاهر) تصبح (اظهر)."إن أصل هذا الإبدال هو الفك بالتاء ف (أدبر) أصله (تدبر) فأبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال فسكنت الدال الأولى، و جيء بهمزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن..."[3] و المضارع مثل الماضي(فيتذكر) تصبح (يذكر) و (يتظهر) تصبح (يظهر)

1-بلاغة الكلمة : ص 36

2-نفسه : ص 37

3-نفسه : ص 37

بين السامرائي اختلاف الصيغتين في البناء على النحو التالي:

-أن بناء (يتفعّل) أطول من بناء (يفّعل) في النطق فيتذكّر مكونة من خمسة مقاطع (ي+ت+ذ+ك+ر) ويذكّر مكونة من أربعة مقاطع (ي+ذ+ك+ر)

-أن بناء (يفّعّل) فيه تضعيف زائد على (يتفعّل) يفّعّل فيه تضعيفان، يتفعّل فيه تضعيف واحد.

إن هاتين الحقيقتين المتعلقتين ببناء الصيغتين مثلتا قاعدتين أساسيتين انطلق منهما السامرائي في تفسيره "وهاتان الحقيقتان اللغويتان لهما شأنهما في تفسير ما نحن بصدده"[1] فبناء يتفعّل في رأي السامرائي يؤتى بها في اللغة للدلالة على التدرج أي الحدوث شيئا فشيئا نحو : تخطى-تمشى-تجسس...الخ، كما قد يؤتى بهذا الوزن للدلالة على التكلف وبدل الجهد نحو : تصبر و تعلم ... الخ ، وفي كلا المعنيين (1-2) دلالة على طول الوقت والتمهل في الحديث.أما بناء يفّعّل فيؤتى به فيما يحتاج إلى المبالغة ، وذلك أن التضعيف كثيرا ما يؤتى به للمبالغة نحو : قطّع و كسّر ...و قد جمع السامرائي هذا كله في قول مختصر جعل منه قاعدة و منطلقا لتفسير ظاهرة الإبدال و الإدغام "يستعمل بناء يتفعّل لما هو أطول زمنا، وقد يستعمله في مقام الإطالة و التفصيل، و يستعمل يفّعّل للمبالغة في الحديث و الإكثار منه"[2] لقد جاء السامرائي بنماذج قرآنية كثيرة تثبت هذا

1-بلاغة الكلمة : ص 37

2-بلاغة الكلمة : ص 39

الذي ذهب إليه في تفسيره نذكر بعضها على سبيل التمثيل :و من ذلك قوله تعالى " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ"[1]. وقوله " وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ " [2] فجاءت في آية الأنعام (يتضرعون) على وزن (يتفعلون) و في الأعراف (يضرعون) على وزن (يفعلون). فتفسير هذا الاختلاف في الصيغتين راجع في نظر السامرائي إلى اختلاف السياق و المقام : فالإرسال في آية الأنعام إلى الأمم عبر ممر التاريخ، أما آية الأعراف فالإرسال موجه إلى قرية واحدة فقال في الأولى " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ "وفي الثانية " وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ" فناسب طول الصيغة طول الإرسال كما ناسب قصر الصيغة قصر الإرسال."والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلما طال الحدث و استمر جاء بما هو أطول بناء فقال (ستضرعون) و لما كان الإرسال في الأعراف إلى القرية (يضرعون) فجاء بما هو أقصر من البناء" [3]

تفسير بياني آخر أضافه في هذا المقام يسند و يثبت التفسير الأول، و هو أن الله سبحانه وتعالى قال في الأنعام (أرسل إلى) وفي الأعراف قال (أرسل في) و الإرسال إلى يقتضي التبليغ و لا يقتضي المكث، أما الإرسال (في) التي تفيد الظرفية، فينبغي المكث الطويل

1-الأنعام:42

2-الأعراف: 94

3-بلاغة الكلمة : ص 39

في القرية أوالمدينة مما يؤدي بأهلها إلى زيادة التضرع، والمبالغة فيه لذلك استعمل (يتضرعون) في الأنعام و (يضرعون) في الأعراف الأكثر تضعيفا ومبالغة " و لا شك أن هذا يدعوا إلى زيادة التضرع و المبالغة فيه، فجاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث و الإكثار منه فقال (لعلهم يضرعون) فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها"[1]

ومثل هذا التفسير في قوله تعالى " وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ " [2] وقوله تعالى " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" [3] وقوله تعالى " إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ" [4] إن الفرق في استعمال الصيغتين واضح في هذه التعابير القرآنية فقال في آية يوسف "المتصدقين" وقال في آية الأحزاب "المتصدقين و المتصدقات"أما آية الحديد قال" إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ " بالإبدال و الإدغام وهذه الاستعمالات حسب السامرائي جاءت كل منها مناسبة لسياقها "و قد ناسب

1-بلاغة الكلمة :ص 39

2-يوسف: 88

3-الأحزاب :35

4-الحديد:18

كل تعبير موطنه" [1] فالأسباب التي جعلت كلمة (متصدقين) مناسبة لآية يوسف أجملها السامرائي في النقاط التالية:

أ-كلمة (متصدقين) مناسبة لقوله (و تصدق علينا) بالفك .

ب-أنهم طلبوا الصدقة و لم يطلبوا أن يبالغ لهم فيها وذلك من حسن أدبهم.

ج-أنه لو قال "إن الله يجزي المصدقين" لأفاد ذلك أن الجزاء للمبالغين في الصدقة فقط.

أما مناسبة كلمة (متصدقين) لأية الأحزاب راجع لمقام التفصيل في الصفات و تعدادها والإطالة في ذكرها. وقد ناسب ذكر كلمة (مصدقين) في آية الحديد بالإبدال و الإدغام لأن المقام مقام ذكر المبالغين في الصدقات وذكر أنه يضاعف لهم-كما أنه تكرر ذكر الإنفاق و النهي عن البخل في سورة الحديد "فناسب ذكر المبالغة في الصدقة " [2] فقال تعالى قبل هذه الآية " وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ " [3] وقال " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ

1-بلاغة الكلمة :ص 40

2-نفسه: ص 41

3-الحديد : 07

تُرْجَعُونَ" [1] وغيرها من الشواهد القرآنية التي ذكرها السامرائي في الحث على الإنفاق ومضاعفته و مضاعفة أجره."في حين لم يرد ذكر الإنفاق و الصدقات في سورة الأحزاب على طولها و هي ثلاث وسبعون آية عدا ما ورد في هذه الآية التي جمعت عددا من صفات أهل الإيمان"[2] وبهذا كله يرى السامرائي أن ذكر كلمة (مصدقين) مضعفة قد ناسب سورة الحديد التي تحث على المبالغة في الإنفاق دون غيرها من السور.

شبيه بهذا تفسير السامرائي لقوله تعالى "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " [3] وقوله تعالى "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" [4]

فجاءت كلمة (المتطهرين) بالفك في الأولى، وجاءت في الثانية بالإبدال و الإدغام (المطهرين). وتفسير ذلك عند الباحث هو أن الآية الأولى جاءت في الطهر الجسدي

1-الحديد: 11

2-بلاغة الكلمة: ص 41

3-البقرة:222

4-التوبة : 107

المتكرر في العمر سواء للنساء (من المحيض)، أو الرجال و هو التعفف و اعتزال النساء في المحيض فجاء بصيغة الفك لأنها أطول (المتطهرين).أما الآية الثانية فجاءت في التطهر القلبي لأنها نزلت في المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا، و كفرا و تفريقا بين المؤمنين، فأمر سبحانه رسوله بترك هذا المسجد، ثم ذكر رجالا آخرين أصحاب القلوب الطاهرة المنيبة إلى ربها ، فهؤلاء يبالغون و يضاعفون تطهير قلوبهم "فاستعمل التطهير في الآية الأولى-أعني البقرة-للبدني- و استعمله في الآية الثانية للقلب وهو أبلغ" [1] ومعنى هذا الكلام "أن الآية الأولى في عموم المؤمنين و المؤمنات إلى يوم الدين، و أن الثانية في صحابة رسول الله، فاستعمل الأبلغ للصحابة. لأنهم أكمل الناس طهارة ظاهرا و باطنا، واستعمل الصيغة الطويلة في المدة المتطاولة ..."[2]

ب-إبدال حرف مكان حرف

قد يستعمل القرءان الكريم الكلمة في الموطن بحرف معين و يستعملها في موطن آخر بحرف مبدل و ذلك نحو " مكة، بكة" و "بصطة ، بسطة" ...فكما أشار السامرائي إلى وجود النوع الأول من الإبدال (الإبدال و الإدغام) أشار أيضا إلى النوع الثاني ممثلا له بمجموعة من التعابير القرآنية كقوله تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

1-بلاغة الكلمة : ص 46

2-نفسه: ص 46

لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " [1]وقال " وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا " [2]

فوردت كلمة (بكة) بالباء في آية آل عمران ، ووردت (مكة) بالميم في آية الفتح . وتفسير هذا الاختلاف في الاستعمال هو أن آية آل عمران سياقها سياق حج و ازدحام شديد" فجاء بالاسم (بكة) من(لفظ البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضا.." [3] أما آية الفتح فليس السياق سياق ازدحام و حج فجاء بالاسم المشهور بالميم (مكة).

و من هذا القبيل قوله تعالى" مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ" [4] وقال " وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " [5]

1-آل عمران : 96-97

2-الفتح:24

3-بلاغة الكلمة: ص 52

4-الأحزاب : 04

5-الطلاق :04

في حين قال"وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" [1]

فجاءت كلمة (اللائي) في الآيتين الأولتين ، وجاءت كلمة (اللاتي) في النساء في مواطن أخرى عديدة. وقد أشار السامرائي إلى أن كلمة (اللائي) بالهمزة لم ترد في القرآن إلا في حالتي (الظاهر و الطلاق)، و لم يستعملها القرآن في غيرها، فرأى أن (اللائي) تشمل على الهمزة و الهمزة ثقيلة، فكذلك حالة الظهار و الطلاق فبناء ونطق هذه الكلمة يناسب هذه المعاني لأن فيها ابطاء و احتباس وجهد و مشقة و شدة ، "والمظاهر و المطلق محتبس من امرأته مبطئ عنها، و في ذلك ما فيه من الجهد و المشقة و الشدة للطرفين فانظر حسن المناسبة في اللفظ و المعنى و الاستعمال"[2]

ومن هذا أيضا إبدال الواو ياء و الضمة كسرة كما هو في قوله تعالى " ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا "[3] وقال " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا "[4] فقد قال في آية مريم (عتيا) و قال في الفرقان (عُتُوًّا) ، فرأى السامرائي أن اختيار الواو والضمة الثقيلتين مقارنة بالياء و الكسرة أنسب لثقل وقوة (عتو) المذكورين في الفرقان وذلك لأنهم :

1-النساء:15

2-بلاغة الكلمة :53

3-مريم : 69

4-الفرقان :21

1-هم لا يرجون لقاء الله 2 -طالبوا ب'نزال الملائكة كلهم لا ملك واحد 3 -طالبوا برؤية الله عز و جل 4-أنهم استكبروا في أنفسهم 5-ذكر أنهم عتو عتوا كبيرا. فأكد الفعل بالمصدر ووصفه بالكبر-في حين لم يفعل ذلك في (مريم). 6-ذكر في مريم أن العتو على الرحمن فخصه بذلك. أما في الفرقان لم يقيد العتو بشيء فهم عتاة على الرحمن وعلى خلقه "ولذلك جعل أخف العتويين ما كان خاصا و أثقلهما ما كان عاما ..."[1]

و الملاحظ في هذا المقام اعتماد السامرائي الجانب الصوتي ، فربط بين طبيعة الصوت وبين الدلالة ، إلا أننا لمسنا عدم تعمقه في المستوى الصوتي(كصفات الأصوات كاملة وخارجها و مصطلحات هذا العلم.

1-بلاغة الكلمة: ص 57

الفصل الثاني:

التفسير الدلالي

تمهيد:

1- الكلمة مبنى و معنى:

الكلمة هي اللبنة الأساسية في اللغة، فبها تبنى الجمل فالنصوص فالمصنفات"..وتعني بالتالي المادة التي ينسج منها النص، وهي تشتمل حسب تقسيم النحاة على الاسم و الفعل و الحرف ..." [1] . وقد تناولنا في الفصل السابق هيئة هذه الكلمة وبنيتها فرأينا كيف بين السامرائي أهمية البنية و دورها الخطير في التفسير البياني، ومقصدية اختيار أبنية دون غيرها، أما هذا الفصل فسننتقل إلى الجانب الداخلي أو المعنوي للكلمة القرآنية محاولين استكشاف طريقة و منهج السامرائي في تعامله مع معاني الكلمات.

إن الكلمة هي وحدة لغوية لها مبنى و لها معنى تتميز به عن باقي الكلمات " ويمكن القول إن المفردة هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى ، وهي الجزء الأول في بناء النظم والوحدة المكونة لها فلا يغني أحدهما عن الاخر ..." [2]، لذلك يجب على الناظم وضع هذه اللبنة و ضعا صحيحا دقيقا، حتى يستوي له النظم و السبك " والكلمة أصل الدقة في التعبير و الوضوح في المعنى و الصدق في الدلالة، لأن الكلمة إذا تمكنت في موضعها الأصل دلت على المعنى كله، فإذا حشرت حشرا أو فسرت فسرا دلت على بعض المعنى أوألجأت إلى غيره " [3]

1-أحمد ياسوف ،جماليات المفردة القرآنية، إشراف و تقديم نور الدين عتر(رسالة مقدمة لنيل الماجيستير) دار المكتبي ط2 سوريا، 1999: ص 19.

2-نفسه :ص 20.

3-فضل عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان، ط1 ، عمان،199: ص 166، 167.

"وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع، و الكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة ، و النظام المطلوب تحركت الآلة و إلا ضلت جادة "[1]

ولقد أدرك العربي منذ القدم قيمة الكلمة ومالها من تأثير على النفس، لذلك كان حريصا كل الحرص على اختيار الكلمة المناسبة في السياق و المقام المناسب لإصابة المعنى بكل دقة و روعة، حتى بلغ أعلى مراتب البلاغة و الفصاحة ف " لاعجب إذن أن نجد العرب في عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم في اختيار هذه الكلمات و البحث عنها وانتقائها مجندين لما منحوه من طاقات العقل و دفقات الشعور، و جميل الأحاسيس فلقد كانوا في جاهليتهم يدركون ما للكلمة من شأن أو ما تحدثه من أثر ..." [2]

2-معنى الكلمة و الترادف

إن البحث في مدلول الكلمة بحث قديم حديث حضي باهتمام اللغويين و الدارسين أكثر مما حضي به البحث في الأبنية، و عليه عول الكثير في تفسير القرآن " وهو لا يقل شأنا وخطرا عن سابقه فمدلول اللفظ حري به أن يوجه إليه العلماء هممهم ذلك أن الألفاظ إنما هي قوالب للمعاني " [3] إن توجه العلماء هذا صوب البحث عن مدلول الكلمة قد جعلهم يختلفون حول عدة مسائل أشهرها مسألة الترادف التي لم يتفقوا حولها لا في القديم و لا في الحديث .

1-فضل عباس، إعجاز القرآن: ص 167.
2-نفسه : ص 503.
3-نفسه : ص 505.

و الترادف عند مثبتيه ظاهرة لغوية تعني وجود معنى واحد لكلمتين أو عدة كلمات ومن المثبتين للترادف: سيبويه، و الأصمعي ، و أبو الحسن الرماني ، وابن خلويه ، وابن جني والجرجاني هو الآخر لا يعترف بالفروق بين الكلمات، و لا يفاضل بينها، أما المحدثون فقد وجدنا علي الجارم، وإبراهيم أنيس، و صبحي صالح.

وقد أنكر نفر من العلماء و اللغويين ظاهرة الترادف ونفوا وجودها في اللغة العربية وفي القرآن الكريم بوجه خاص نذكر منهم: ثعلب، وابن درستويه، وابن فارس، و أبوعلي الفارسي، و أبوهلال العسكري الذي كان عنوان كتابه رفضا صارخا لهذه الظاهرة و الذي سماه ب" الفروق اللغوية" ،والجاحظ كذلك كان من الرافضين للترادف في اللغة، فكان نصه الذي أورده في "البيان و التبيين"دليلا على رفضه وشاهدا يتداوله المنكرون للترادف إذ يقول فيه " وقد يستخف الناس ألفاظا و يستعملونها و غيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك و تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، و الناس لا يدركون السبب ويدركون الجوع في القدرة و السلامة،وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام و العامة... و الجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ماهو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال..."[1] في هذا القول دعوة صريحة من الجاحظ إلى ضرورة تحديد الفروق الدقيقة بين الكلمات وضرورة حسن استعمالها في المقام الذي يليق بها.

1-الجاحظ ،البيان و التبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي ، ط 7 ، القاهرة،1998: ص20

هذا الرأي نفسه وجدناه عند الباقلاني في "إعجاز القرءان" إذ يقول عن القرآن الكريم "... وهو أدق من السحر ، وأهول من البحر،وأعجب من الشعر ، كيف لا يكون كذلك و أنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام، إلا أن يكون شعرا أو سجعا ؟ وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع و تزل عن مكان لاتزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها ، و تراها في مضانها، و تجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، و تجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار و مرمى شراد، و نابية عن الاستقرار " [1] وغيرها من الأقوال و الآراء القديمة الرافضة لوجود الترادف و الداعية إلى تحديد الفروق الدقيقة بين الكلمات التي تبدو لنا مترادفات.

أما إذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث فإننا نجد عدد الباحثين المنكرين للترادف يفوق بكثير عدد المثبتين، إن لم نقل أن هؤلاء المثبتون يشكلون استثناء؛ إذ توجه العديد من الباحثين اللغويين إلى التفسير البياني للقرآن الكريم، فأدركوا من خلاله استحالة قبول فكرة الترادف في اللغة و في القرآن الكريم خصوصا، نذكر منهم فضل عباس الذي أنكر الترادف بقوله " و الذي نخلص إليه أن الذين أنكروا الترادف في العربية بعامة والقرآن بخاصة يقيمون من الأدلة ما يقنع العقل، و نحن على يقين من أن وجود الترادف في كتاب الله تعالى أمر غير منسجم مع قدسية القرآن وأحكامه و روعة بيانه ..."[2] .

1-الباقلاني ، إعجاز القرآن : ص 184

2-فضل عباس ، (الكلمة القرآنية و أثرها في الدراسات اللغوية) ، مجلة مركز بحوث السنة و السيرة ، الأردن،العدد الرابع، 1989 : ص 545

وقد ذهب فضل عباس إلى أن التمسك بفكرة الترادف و عدم التحديد الدقيق لمعاني الكلمات القرآنية إجحاف في حق القرآن الكريم، و إجحاف في حق المسلمين، إذ حرمهم من الفهم الدقيق للآيات " و لابد أن نقرر هنا عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية قد حرم الناس من فوائد كثيرة، وحال بينهم و بين إدراك متكامل لمدلول الكلمة القرآنية، و سد أمامهم أبواب الوعي الدقيق لكثير من الآيات الكريمة، و نعترف أن من كتب التفسير و المعاجم اللغوية كانت سببا في ذلك كله، حيث التقت هذه الكتب و المعاجم على أن تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية، فتشتبه المعاني بعضها ببعض" [1] ، ونظرا لخطورة خلط المعاني وخطورة هذا الخلط على فهم كتاب الله عز و جل أوجب فضل عباس على دارس القرآن الكريم الدقة و التفريق بين المعاني حتى لا يقع في الزلل إذ يقول " وحري بالدارس لكتاب الله تعالى أن تكون له هذه النظرة ذات الدقة والشمول حتى لا يطغى بعض المعاني على بعض و لا يخرج الكلمة من حيزها الذي ينبغي لها أن لا تتعداه " [2]

ونختم رأي فضل عباس في الترادف بما خلص إليه في "إعجاز القرآن" " و الذي نطمئن إليه، وقد اطمأن إليه كثيرون قبلنا أن لا ترادف في كتاب الله تبارك و تعالى والكلمات التي ظنها بعض الناس مترادفة عندما نمعن النظر فيها نجد أن لكل معناها الدقيق ..." [3]

1-فضل عباس،(الكلمة القرآنية و أثرها في الدراسات اللغوية) : ص 544

2-نفسه : ص 549

3-نفسه : ص 175

وقد اهتمت الباحثة عائشة عبد الرحمن بالتفسير البياني للقرآن الكريم، فظهر من خلال تفسيرها أنها لا تقبل بفكرة الترادف في اللغة و في القرآن الكريم خصوصا ، نذكر رأيها في هذا الموضوع من خلال قولها "...فإن القضية الكبرى في هذا التفسير وكل تفسير هي أنه لا يعني بحال ما تقديم كلمة يمكن أن تقوم مقام الكلمة القرآنية في سياقها على وجه المماثلة و الترادف فهيهات لبشر أن يأتي بآية من مثل هذا القرآن " [1]

وقد بين الباحث حفني محمد شرف دقة الكلمات القرآنية في تأديتها لمعانيها وانسجامها وانصهارها معها إذ يقول في المقدمة " ومن هنا فقد كان القرآن الكريم جامعا لفنون البلاغة ...محكما في نظمه حتى أنك تحسب ألفاظه لجمالها و روعتها منقادة لمعانيه، فإذا ما تغلغلت فيه وجدت معانيه منقادة لألفاظه فإذا رجعت البصر مرة ومرة، فإنك ستظل مترددا بين انقياد معانيه بألفاظه و انقياد ألفاظه لمعانيه حتى تؤمن أخيرا بأنك تقرأ كلاما ليس من كلام البشر"[2] .

وبعد ذلك تحدث عن دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه ووضعها في الأماكن المناسبة لها دون غيرها من الكلمات المماثلة مبعدا بذلك الترادف عن هذا النص الذي تناقد فيه الألفاظ للمعاني و المعاني للألفاظ " بعد التعليق على هذه الآية في إعجاز الألفاظ القرآنية ،اختيارها ووضعها في الأماكن اللائقة بها، بحيث تكون مستقرة في مكانها مطمئنة في قرارها

1-عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2 ، دار المعارف: المقدمة
2-حفني محمد شرف،إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق ، الكتاب الرابع،1970:المقدمة

لأن أسلوب القرآن يتألق في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها يستخدم كل حيث تؤدي معناها في دقة فائقة...فكل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيها ترادفا ..."[1] .

وبحث محمد ياسر خضر الدوري في "دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني" فأشار إلى الأهمية القصوى التي تميز بها، البحث في دقائق المعاني و الفروق اللغوية مفندا بذلك هو الآخر القول بالترادف –يقول " وأهمية البحث في المعاني الدقيقة تكمن في رد ما يشيره عدد من الباحثين من تعميم القول بالترادف ليشمل القرآن الكريم...فنجد في الترادف تعارضا مع معنى القصد المتأتي من ألفاظ القرآن : إذ الترادف يجعل الألفاظ تتبادل المواضع دون أيما تمييز، وهذا لا يتفق وسمة التعبير التي يراعى فيها الظلال، والإيحاءات المخبأة في طي الألفاظ و لا يجلوها إلا البحث في المعاني الدقيقة لتلك الألفاظ".[2] فتكمن أهمية البحث في الفروق الدقيقة عند خضر الدوري في إثبات استحالة إحلال لفظ مكان لفظ آخر حتى وإن كان يقاربه في المعنى، و بالتالي لا وجود للترادف عند هذا الباحث" ونخلص مما تقدم من ظاهرة الترادف إلى أن الكلمة المرادفة هي التي تتقارب مع غيرها في المعنى العام ، لكن لها من الخصوصيات الدلالية ما لا نكتشفه إلا في سياقها الذي ترد فيه، أما تمام الاتحاد

1-حفني محمد شرف ، إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق : ص 222

2-محمد ياسر خضر الدوري ، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، إشراف خليل بنيان الحسوني (رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه)جامعة بغداد ،2005: المقدمة

والتطابق في المعنى فقد منعه كثير من اللغويين العارفين بدقة الاستعمال ..." [1] وقد نبه خضر الدوري إلى خطورة التسليم بالترادف في اللغة لما فيه من ضياع المعاني الدقيقة وأورد نصا للجنة الأصول في المجمع اللغوي في القاهرة أوصت فيه " أن يعنى كل العناية بتباين الفروق الدلالية بين الكلمات ما أمكن بحيث يتحدد المعنى الخاص الدقيق لكل كلمة، و بذلك تضيق دائرة المترادفات"[2]

وبهذا الاستقراء السريع و المختصر نستنتج أن جل الدارسين و اللغويين المحدثين الذين توجهوا إلى التفسير البياني للقرآن الكريم قد أولوا المفردة القرآنية اهتماما بالغا فبحثوا في دقائق معانيها، و بينوا حسن استعمال القرآن لها و دقة تموضعها في السياق، فلا تغن صاحبتها عنها ،و لا تنوب عليها ، إذ السياق و المقام يستدعيها و يطلبها هي دون مثيلاتها فمن أجل ذلك "فقد شغل الدارسون المحدثون ببيان المفردة القرآنية من النظم المعجز والسعي للوصول إلى سر ذلك الإعجاز...فكانت الفروق اللغوية معينا ثرا يستقي منها الدارسون لبيان عدم تساوي المفردات في التعبير، فأدرك هؤلاء القوم سر الجمال في إثار المفردة على الأخرى مع اتفاق المعنى، فعرفوا حينذاك أن سر الإعجاز يكمن في دقة اختيار المفردة من النظم القرآني ..." [3]

1-محمد ياسر خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني :ص 34

2-نفسه: ص 20 نقلا عن شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة ، ط1. دار بروت .2000م: ص 75

3-نفسه : المقدمة

3-منهج السامرائي في البحث عن مدلول الكلمة :

لم يخرج السامرائي عن دائرة الباحثين البيانيين واتبع المنهج ذاته في تفسيره البياني للقرآن الكريم، إلا أنه كان أكثر تخصصا وتوسعا من معاصريه ، فتحدث عن دقائق المعاني في كتابه "بلاغة الكلمة" تحت عنوان"تعاور المفردات" فقال "قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني فتستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به ، بل في القصة الواحدة تستعمل مفردة في موضع و تستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة الواحدة والموقف واحد..." [1].وتحدث عنها كذلك في كتابه " التعبير القرآني" ضمن موضوع "التشابه و الاختلاف" فقال " في القرءان الكريم آيات و تعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة أو في نحو ذلك " [2]

إن هذا التباين في استعمال الكلمة القرآنية هو في نظر السامرائي مقصود في كل جزئية من جزئياته، فيه دقة متناهية، تستعمل فيه الألفاظ المناسبة في سياقاتها الملائمة التي تبدو لنا متشابهة، إلا أن فروقا موجودة بينها، يقول السامرائي "لقد تبين مما مر أن القرآن يختار الألفاظ اختيارا فيضعها وضعا فنيا عجيبا،وأن التشابه والاختلاف في قسم من التعبيرات إنما يقتضيه المعنى و المقام،و أنه لم يترك وجها من وجوه الاقتضاء إلا راعاه.." [3]

1-السامرائي ، بلاغة الكلمة : ص 109

2-السامرائي ، التعبير القرآني : ص 173

3-نفسه : ص216

أما في كتبه التفسيرية فلا تجد السامرائي يشرح الكلمة بالكلمة الأخرى (المرادفة) كما عهدنا ذلك في كتب التفسير، إنما وجدناه يبحث في المعنى الدقيق للكلمة في سياقها الذي وردت فيه مبينا أحقيتها في الاستعمال لإصابتها المعنى الدقيق، ومناسبتها للسياق دون غيرها من الكلمات، و إن كانت قريباتها في المعنى، معتمدا على طريقة الموازنة بين النصوص القرآنية ليثبت في الأخير أن كل كلمة وضعت وضعا دقيقا مقصودا في مكانها، فلا تغن صاحبتها عنها.إن هذه النظرة الفاحصة للكلمة القرآنية جعلتها تخرج من حيز الترادف، ونفت وجوده في النص القرآني الذي حسب فيه لكل جزئية من جزئياته حسابها الدقيق ، كما أن السامرائي صرح تصريحا مباشرا في حصة "لمسات بيانية" على شاشة الشارقة الفضائية بعدم وجود الترادف في اللغة، وذهب إلى وجود اسم واحد لشيء ، أما البقية فهي صفات، وذهب كذلك إلى أن الترادف يوجد بتداخل لغة مع لغة أخرى فيكون بذلك لفظين بمعنى واحد ، لا في اللغة الواحدة...وقد رأينا مثل هذا الرأي عند فضل عباس عند رده على إبراهيم أنيس الذي يثبت الترادف حين قال "...فحديثنا عن الترادف ووجوده في البيئة الواحدة و ليس في بيئات متعددة و ذلك كالشك و الريب ، و القعود و الجلوس فهذه كلمات مستعملة في لغة قريش" [1]

لقد اهتم السامرائي بالكلمة القرآنية اهتماما يلفت النظر إيمانا منه بدور الكلمة في النظم

1-فضل عباس ، (الكلمة القرآنية و أثرها في الدراسات اللغوية) : ص 551

النظم القرآني و روعة اختيار القرءان لكلماته، فبين مقصدية كل جزئية من جزئيات هذا النسق المحكم لما فيه من أسماء و أفعال و حتى الحروف لم يستثنيها من ذلك لهذا سنخصص لكل نوع من أنواع الكلمة محطة خاصة بها:

أولا-دلالة الأسماء :

أ-اختيار الاسم المناسب في السياق الملائم دون غيره:

اسم الربّ: ورد اسم (الربّ) في الآيات القرآنية كثيرا ، فكان السامرائي يقف عنده في كل مرة ليبين مقصدية استعمال هذا الاسم في سياقات معنية دون غيره من الأسماء الحسنى الكثيرة، و سنأتي ببعض النماذج القرآنية لنستظهر ما وصل إليه هذا المفسر البياني.

"قل أعود برب الفلق" [1] أشار السامرائي إلى مناسبة ذكر (الرب) مع الاستعادة في هذه الآية قائلا "واختيار لفظ (الرب) و إضافته إلى الفلق أنسب شيء هاهنا فالرب معناه المالك والمربي و السيد و القيم و المعلم و المرشد، فالاستعادة برب المخلوقات و مالكها و القائم على أمرها من شرور ما يصدر عنها، أنسب شيء في إعادة المستعيد به فهو وحده القادر على كفها و كف شرورها فإنه يأمرها فتطيع أمره..." [2] ، فبين بذلك دقة استعمال القرآن الكريم لهذه الكلمة، فهي اسم من أسماء الله عز و جل إلا أنها ناسبت هذا السياق لما تحمله من معنى خاص و دلالة دقيقة.

1-الفلق:01

2-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1 : ص 32

" ولذا كثر لفظ (الرب) مع الاستعادة لما فيه من معنى التربية و الحفظ و القيام بالأمر " [1] و قوله تعالى " والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك و ما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى " [2] فاستعمال (الرب) في هذه الآيات هو أنسب و أحق اسم بالاستعمال، لما فيه من دلالة التربية و الملك و التدبير و الإنعام و الإصلاح ... ولمناسبة هذه المعاني لسياق السورة كله، فهذه الكلمة مرتبطة في رأي السامرائي بكل ما سيأتي من معاني، "ألم يجدك يتيما فأوى " فاليتيم به حاجة إلى من يقوم عليه ويدبر أمره ويربيه و يصلحه وهذه معاني الرب، و مرتبط بقوله " ووجدك عائلا فأغنى" فإن العائل به حاجة إلى من يدبر أمره ويقوم عليه و ينعم عليه بالرزق و يصلح شأنه و هذا من معاني الرب"[3]

و قوله " قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون" [4] ذهب السامرائي إلى أن استعمال الرسالة لا يرد معها إلا لفظ الرب . وذلك لأن الرسالة معناها الهداية، و الهداية و التربية من اختصاص "الرب" سبحانه و تعالى " و اختيار (الرب) مع الرسالة أنسب شيء فإن الرب هو المربي والهادي، و الهداية هي المقصودة من الرسالة، و لذلك ما يقترن الإرسال إلا بالرب " [5]

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 38.
2-الضحى : 05
3-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 117.
4-يس : 16
5-السامرائي ، على طريق التفسير البياني ،ج2 : ص 58

و من الشواهد التي أوردها السامرائي ليثبت صحة رأيه نذكر قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى" [1] وقوله " رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا" [2] وقوله تعالى " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ " [3] .....الخ

و قوله تعالى" إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ" [4] فذكر السامرائي أن مجيء اسم "الرب" في هذه الآية له أكثر من مناسبة، فقوله تعالى " الذي مر على لسان الرسل " قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُون" قد ناسبه القول " إني آمنت بربكم" (ربنا = ربكم) وقوله كذلك " إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" و الرب هو وحده الذي يهدي من الضلال " ... و الهداية من أبرز صفات الرب ولذلك كثيرا ما تقترن الهداية باسم الرب وذلك نحو " قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" [4] وقوله " قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [5] فناسب ذلك ذكر الرب " [6] ، و مثله قوله تعالى" بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ "[7] "واختيار لفظ الرب ههنا (غفر لي ربي) مناسب لقوله "إني آمنت بربكم" و إضافته إلى نفسه فيه الرعاية و اللطف ما لا يخفى " [8]

1-طه :134
2-القصص: 47
3-الأعراف :79
4-طه:49
5-الأنعام :161
6-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج2: ص 87
7-يس :27
8-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج2: ص 93

و قوله تعالى " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ " [1] ، كذلك استعمال كلمة (الرب) في هذه الآية هو الأنسب في رأي السامرائي إذ يتجه الكل بعد النفخ في الصور إلى الرب، سواء كان القسم الذي أطاع الرب و السيد في الدنيا "فهو أرحم به الآن وأكرم و هو يلتجئ إليه كما يلتجئ العبد إلى سيده و الضعيف إلى متولي أمره..."[2]. أو كان القسم الذي عصى ربه في الدنيا فهو كذلك يعود إلى ربه و سيده "... فهي شر إعادة وأسوء رجعة فكان ذكر الرب أنسب شيء ههنا." [3]

بهذه التعابير القرآنية و غيرها كثير في القرآن الكريم بين السامرائي دقة اختيار القرآن لكلمة (الرب) فكانت هي الأنسب لسياقات : الرعاية ، والتربية ،و الهداية ، الإصلاح، و تدبير الأمور، لما تحمله من معاني دقيقة تميزها عن بقية الأسماء أو الصفات.

اسم الرّحمن :

في قوله تعالى " قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا"[4] فهنا استعمال اسم (الرحمن) له مناسبته عند السامرائي فهو ملائم لسياق الآية، و لجو السورة كلها ففي هذا القول طلب للرحمة و الحماية من الله من هذا العار، و هذه الفضيحة ، كما أن السورة كلها تسبح في

1-يس :51
2-السامرائي ، طريق التفسير البياني، ج2 : ص 180
3-نفسه: ص 180
4-مريم : 18

جو الرحمة و العطف " ثم انظر أنها استعادت من الرحمن أن يرحمها و يحميها...وفيها أيضا استثارة لعاطفة الرحمة في قلب الشخص الواقف أمامها ليرحمها ويتركها و شأنها فكان أنسب شيء أن تستعيد بالرحمن ، هذا إضافة إلى أن جو السورة تشيع فيه الرحمة من أولها إلى أخرها ..."[1]

وفي قوله تعالى " أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ"[2] ، لقد رأينا سابقا في دلالة الفعل المضارع الذي يقع مع الشرط أنه يفيد تكرار الفعل وتطاوله، لذلك وجد السامرائي في استعمال "الرحمن" في هذه الآية مقصدية وملائمة مع الفعل (إن يردني) الدال على التكرار فكان طالب الرحمة و العطف من الرحمن أولى بخلاف آية الزمر التي يقول فيها تعالى " إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ"[3] ، فهي لا تعني تكرار الحدث والضرر باستعمال الماضي (أرادني)، "فنقول إن القائل في سورة يس يتوقع وقوع الضرر عليه وتطاوله، كما ذكرنا سابقا فذكر اسم الرحمن كأنه يلود به و يعتصم، وهو بمثابة سؤاله الرحمة، بخلاف ما في الزمر فإنه ليس الأمر كذلك و لا يتوقع نحو هذا"[4] كما أشار إلى حسن ذكر (الرحمن) مع الشفاعة في سورة يس.

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 27
2-يس : 23
3-الزمر: 38
4-السامرائي،على طريق التفسير البياني ،ج2: ص 77

اسم "أحد" :

في قوله تعالى " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "[1] ، بدأ السامرائي في تفسيره لهذه الآية بتبيان الفرق بين كلمتي (أحد) و (واحد) فذهب إلى أن (أحد) خاصة بمن يعقل ومن يصح خطابه على العموم، و لا تستعمل لغير العاقل ، أما (واحد) فتستعمل للعاقل و غيره. لذلك يرى أن استعمال (أحد) في هذه الآية هو الأدق و الأنسب لحاله، فهو حي عالم وواحد، كما أنها جاءت منسجمة مع ما سيأتي من آيات "فاستعمل هنا (أحد) و لم يستعمل (واحد) للدلالة على أنه (حي عالم واحد) فجمعت كلمة أحد هذه المعاني كلها، و استعمالها هنا أنسب من كلمة (واحد) ذلك أن بعدها (الله) أي المقصود في الحوائج، و لابد أن يكون المقصود في الحوائج عالم بمن يقصده ،ثم قال بعده (لم يلد و لم يولد) و هذه من خواص الأحياء، فكلمة (أحد) أنسب ههنا من كل وجه"[2] ، أما عن استعمال كلمة (واحد) لله تعالى فيجيب السامرائي أنها هي كذلك قد استعملت في مكانها و سياقها أدق استعمال، إذ تجيء مقابل الاثنين والثلاثة " ... نعم استعملها لما يقابل الاثنين و الثلاثة وعموم العدد فقال " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ "[3]، فكان استعمال كل لفظة في مكانها

5-الإخلاص:01

2-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1 : ص 61

3-المائدة : 73

أنسب" [1]

اسمي (العزيز الرحيم):

في قوله تعالى " تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" [2] لقد اختار الله سبحانه و تعالى هذين الاسمين في هذه الآية وفي هذه السورة، و لم يستعمل غيرهما، و في هذا الاستعمال أكثر من دلالة عند السامرائي، فالعزيز هو الغالب وفي ذكره ترهيب العباد، و الرحيم هو المتصف بالرحمة على وجه الثبات، و في ذكره ترغيب لهم، وقد طبعت السورة بطابع هذين الاسمين فكانا مناسبين جدا لجو العزة و الرحمة، وقد بين السامرائي هذا التناسب بما يلي:

-فقد تظهر العزة و الرحمة بنصر أوليائه و محق أعدائه " إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ " [3]

-وقد ذكر أن آلهتهم لا تغن شيئا " إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ"[4]

-وقد ذكر أنه إن يشأ أغرقهم فلا معين لهم " وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ " [5]

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1: ص 66
2-يس : 05
3-يس : 29
4-يس : 23
5-يس : 43

وآيات أخرى كثيرة في سورة يس تحمل معاني العزة الإلهية ، أما جو الرحمة يشع في السورة كذلك : فقد تردد ذكر الرحمة و الرحمن في السورة أكثر من مرة وذلك نحو : (تنزيل الرحمن الرحيم) (وخشي الرحمن بالغيب) (وما أنزل الرحمن من شيء)(إن يردن الرحمن)(ولاهم ينقدون إلا رحمة منا...)

ثم ذكر عددا من مظاهر رحمته سبحانه منها :

-ماجعل في الأرض من جنات و أنهار و ما أخرج لهم من حب

-وأنه حمل ذريتهم في الفلك المشحون وخلق لهم من مثله ما يركبون...فبهذا بين السامرائي مقصدية اختيار اسم العزة مقترنا باسم الرحمة، فكانت السورة متناغمة منسجمة من بدايتها إلى نهايتها.

اسم "الفلق" : في قوله تعالى " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" [1] ذكر السامرائي معاني الفلق وهي : الفجر، و قيل هو الصبح، وقيل هو الخلق كله، إلا أنه يذهب إلى أن المعنى الدقيق للفلق هو الشق، لذلك يجد السامرائي أن اسم الفلق بمعناه الدقيق هو الأنسب في هذه الآية من الصبح أو غيره لأنه يعني التغيير و الحركة و انشقاق الضوء عن الظلمة يقول "واختيار لفظ (الفلق) على الصبح لأكثر من سبب ذلك أن لفظ الفلق مشعر بالتغيير و الحركة لأن معناه انشقاق ضوء الصبح عن ظلمة الليل...ومنه (فالق الإصباح) بخلاف كلمة (الصبح) فإنها

1-الفلق : 1

لا تفيد ذلك، وإنما تفيد تعيين الوقت، فتشعر كلمة الفلق بتغيير الأحوال...وزوال الهموم والسعة بعد الضيق، و لا تفيد كلمة الصبح هذا التغيير و التبدل" [1]

اسم جند :

في قوله تعالى " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ" [2] إن اختيار اسم "جند" في منظور السامرائي اختيار دقيق و مناسب في هذه الآية، عكس اختيار اسم "ملك" فالمقام مقام عقوبة، و محاربة فالجند أنسب من ملك "واختار كلمة (جند) على (ملك) لأنه في مقام العقوبة و المحاربة فكان اختيار لفظ الجند أنسب فإن قومه حاربوا الله ورسوله فحاربهم الله سبحانه من غير جند ..."[3]

اسم الخمود :

في قوله تعالى " إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ "[4] فقال تعالى (خامدون) ولم يقل (هامدون)، فبين السامرائي المعنى الدقيق لكل كلمة، ومن ثم سبب اختيار القرآن الكريم لخامدون، فالخمود مأخود من النار، و هو سكون لهيبها مع عدم انطفاء جمرها نهائيا، أما الهمود فهو انطفاء جمرها البتة، و عدم بقاء أثر منها، فاختيار الخمود ههنا، و في هذا السياق أنسب عند السامرائي من عدة نواح:

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 32
2-يس :28
3-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1: ص98
4-يس : 29

-أن في ذلك إشارة إلى سرعة سكونهم وانقطاع حركتهم فإن الخمود أسرع من الهمود.

-بيان أن حركتهم و أصواتهم خمدت فلا تسمع لهم حسا و ذلك بعد التوعد والضجيج الذي ملأ القرية.

-اختيار الخمود مناسب ل" إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً " ذلك أن الضجيج و الصخب لا يسكته إلا الصيحة العالية.

-إن اختيار الخمود على الهمود إشارة للبعث بعد الموت،فإن الخمود لا يعني الفناء. فكان ذلك إشارة إلى مفارقة الأرواح للحياة و ليس فناءها.

-اختيار الخمود فيه صورة فنية وهي صورة الجمر الذي يغطيه الرماد، وهي شبيهة بحالة الجنة التي يعلوها تراب القبر وفيها إشارة إلى أنهم يحترقون بالنار في داخلها و إن كان لا يظهر ذلك للناظرين.

-ومن معاني الخمود الموت كالهمود فأعطى الخمود معنى الهمود مع معاني اخرى لا تستطيع كلمة الهمود أن تؤديها "فكان اختيار الخمود أولى و الله أعلم"[1]

اسمي "الرسول" و "النبي":

فقد قال تعالى " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " [2] فاستعمل اسم (رسول) في هذه الآية واستعمل اسم (نبي) في سورة الزخرف فقال " وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 104

2-يس : 30

فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " [1] . فوجد السامرائي أن كل اسم ورد في سياقه المناسب ، فناسب ذكر النبي مع كم الدالة على الكثرة، بخلاف الرسول الذي لم تسبقه كم و الأنبياء كثر مقارنة بالرسل "فنقول إن كل لفظة ناسبت الموطن الذي وردت فيه ...فقوله كم أرسلنا يفيد التكثير فإن "كم" هذه خبرية وهي تفيد التكثير ، والأنبياء أكثر من الرسل فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فناسبت كلمة (نبي) كم الخبرية..." [2]

اسم "الصريخ":

في قوله تعالى " وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ " [3] ففي هذه الآية تهديد من الله تعالى بالإغراق فلا يوجد لهؤلاء القوم صريخ وعرف الصريخ بالمغيث.إلا أنه بحث في سبب استعمال لفظ "الصريخ" بدل من المغيث في هذه الآية ، فتوصل إلى وجود فروق بين هاتين اللفظتين رغم تقاربهما، فالصريخ يجمع عدة معان كلها مطلوبة في هذا السياق وضحها في النقاط التالية :

-الصريخ هو صوت المستصرخ. و بهذا فإن هؤلاء لا يمكنهم الصراخ لطلب العون لأن الماء يلجم أفواههم ... فيغرقون في صمت رهيب ووحدة مرعبة.

1-الزخرف: 6-7

2-السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج2 :ص 107

3-يس : 43

-اختيار الصريخ على المغيث لأن الصريخ من الصراخ و الصرخة هي الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة ...فلا يكون صريخ إلا إذا كان صراخ، أما المغيث فهو لمن يطلب الغوث سواء بالصراخ أو بذكر الحاجة الشديدة و ليس شرطا أن يرفع صوته عاليا.

-والصريخ يجمع بين المغيث و المستغيث و صوت المستغيث. لذلك يرى السامرائي أن كلمة (صريخ) أنسب من (مستغيث) فهي تجمع عدة معاني منها معنى المغيث.

الصيحة:

في قوله تعالى " مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ " [1] إن لفظة "الصيحة" جاءت في مكانها المناسب، ولوجئنا بلفظة أخرى ما أدت المعنى الذي أدته "الصيحة"، فبين السامرائي أن المقام مقام ضجيج و صخب و اختصام، فما يقطع كل هذا إلا صيحة واحدة قوية تسكت الجميع "واختيار الصيحة هو المناسب في هذا المقام إذ هي التي تقطع الاختصام و القيل و القال فيما هم يختصمون في معاملاتهم، وهم في صخب الدنيا، تأتي الصيحة فتقطع ذلك كله ...وذكر الصيحة الواحدة ذلك لأنهم لا يحتاجون إلى أخرى فإن الصيحة الواحدة تأخذهم جميعا فلا حاجة إلى ثانية ..." [2]

1-يس :49

2-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج2 :ص 175.

اسمي " الويل" و "الويلة":

يقول تعالى " قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" [1] جاء السامرائي بمعنى الويل : فهو الحزن و العذاب و الهلاك. وهو مناسب لسياق هذه الاية "ومعنى (ياويلنا) أنهم ينادون هلاكهم، و عذابهم أي أحضر يا عذابنا و ياهلاكنا..."[2] أما لفظة (الويلة) فهي غير مناسبة لهذا السياق (ياويلتنا) لأنها بمعنى الفضيحة، و هي مناسبة لسياقات أخرى غير هذه الآية، ذكر منها السامرائي قوله تعالى " وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" [3] فقالوا(يا ويلتنا) ولم يقولوا (ياويلنا) لأن المقام مقام فضيحة نشر الأعمال، فأظهر السامرائي بهذا دقة اختيار كل كلمة في موطنها الخاص بها.

اسمي "الأولى" و "الدنيا" :

ففي قوله تعالى" إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى" [4] استعملت لفظة (الأولى) بدلا من الدنيا، وقد أشار السامرائي إلى أن القرءان الكريم لا يستعمل لفظ الدنيا مع الاخرة و إنما يأتي بلفظ الأولى وذلك للفرق الموجود بين اللفظتين و مناسبة كل واحدة منها لسياقها الذي

1-يس :52
2-السامرائي ، لمسات بيانية : ص 182
3-الكهف : 49
4-الليل : 12-13

ترد فيه فوضح كل هذا في النقاط التالية:

-الأولى أعم من الدنيا و القرآن يستعمل الدنيا لما يحيا فيه الإنسان و يعيش فيه "ربنا أتنا في الدنيا حسنة" ...أما الأولى فتأتي عامة لما يعمله الإنسان، أو لما يعمله من أمر السموات و الأرض فكلها الأولى.

-ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكر سعة الملك في سورة الليل ناسب أن يأت بالكلمة الأعم و الأوسع (الأولى).

-كلمة "الدنيا" هي مؤنث الأدنى و هو الأقرب و الأخص و الدون و الأقل كما هو في قوله تعالى " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ" [1] ، و سورة الليل هي في سعة ملكه وعظمته فليس مناسبا ذكر كلمة الدنيا التي عرفنا معانيها "إذا كلمة الدنيا لا تناسب هنا من حيث الدلالة اللغوية واشتقاقها و من حيث السياق أيضا"[2]

النجد:

في قوله تعالى " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" [3] ذهب السامرائي في مستهل تفسيره لهذه الآية إلى أن كلمة "النجد" لا توجد إلا في هذه السورة، فقد وردت في مواطن قرآنية أخرى كلمات قريبة من النجد نحو : السبيل و الصراط، و النجد هو المناسب لهذه السورة فمعناه الصلابة في الأرض في ارتفاع مثل الجبل ففي سلوكه مكابدة و صعوبة وسياق السورة كله مكابدة

1-البقرة:61

2-السامرائي ، لمسات بيانية : ص 137.

3-البلد :10

و مشقة " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ"[1] " فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" [2]" أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ" [3] "واختيار كلمة النجد مناسب تماما لجو السورة فلم يقل "هديناه السبيل" لأن السبيل هو الطريق السهل الميسر الواضح التي يكثر السير فيها، أما سلوك النجد ففيه مشقة و صعوبة ومناسب لجو السورة و ما فيها من مشقة و مناسب للمكابدة... وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدة وصعوبة و مناسب للكبد في السورة، إذن فالنجدين تتواءم مع السورة من حيث القوة و المشقة و المكابدة ..." [4]

المسغبة :

في قوله تعالى " أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ" [5] أشار السامرائي في تفسيره لهذه الآية إلى سبب اختيار القرآن لكلمة (مسغبة) في هذه السورة وهذا السياق بالذات، بدلا من كلمتي "الجوع" أو 'السغب" أو "المخمصة""فمسغبة هي الجوع العام و الجماعي، و هي الجوع مع التعب و الإرهاق، أما المخمصة فهي الجوع الذي يرافقه ضمور البطن، لهذا رأى السامرائي في استعمال (مسغبة) دقة وتخصيصا للمعنى فهي تتلاءم و صورة المجتمع الجائع بأكمله المرهق و المتعب "وهذه عقبة من عقبات المجتمع إنه في يوم مجاعة مع التعب و الإرهاق

1-البلد:04

2-البلد:11

3-البلد14

4-لمسات بيانية: ص 146-147

5-البلد:14

وهو اليوم الذي فيه الطعام عزيز غير مبذول، وهو دلالة شدة الضيق و الكرب..."[1]

الصدور:

في قوله تعالى " الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ"[2] فالصدور هي أوسع من القلوب، فوسوسة الشيطان تكون منتشرة في الصدر كله، ثم تنفد إلى القلب، لذلك يرى السامرائي أن الصدور في هذه الآية أنسب من القلوب "ذكر في الآية مكان الوسوسة وهو الصدر، و لم ترد القلوب لأن الصدر أوسع وهي كالمداخل للقلب، و الشيطان يملأ الصدر بالوسوسة و منه تدخل إلى القلب دون أن تترك خلفها ممرا نظيفا..." [3]

الطمس :

في قوله تعالى" وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ" [4] شرح السامرائي معنى الطمس في اللغة، وبين أنه إذهاب الشيء و أثره جملة، حتى كأنه لم يوجد و طمس العين تغطية شق العين حتى تعود ممسوحة فلا يبين لها شق و لا جفن، فرأى السامرائي أن معنى الطمس هذا هو المقصود في الآية، و هو الملائم للسياق، لذلك لا تعني كلمة "أعميناهم" و لا تسد مسد كلمة "طمسناهم" "ولم يقل(و لو شئنا لأعميناهم) وذلك ليشمل العمى و زيادة وهو ذهاب العين و إزالتها، و هذا هو المناسب لقوله " وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

1-لمسات بيانية :ص 150

2-الناس:05

3-لمسات بيانية : ص 184-185

2-يس :66

عَلَى مَكَانَتِهِمْ " فهذا مسخ عام وذاك مسخ جزئي" [1]

الجبل :

في قوله تعالى " وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ " [2] فلفظ الجبل هو الخلق الكثير، و الأمة العظيمة، و ذهب السامرائي إلى أن استعمال الجبل في هذه الآية يعني الخلق الكثير،ووصفه بالكثير دل على تعاظم الجموع "فدل ذلك على المبالغة في الكثرة، وكذا لا يسد قولنا (خلقا كثيرا) مسد (جبلا كثيرا)..."[3] إضافة إلى هذه الدلالة (الكثرة الكاثرة) فإن هناك معان أخرى تحملها هذه اللفظة، إن مادة (جبل) التي أخذ منها لفظ الجبل تجمع ثلاثة معان:

-الكثرة التي ذكرها السامرائي بداية.

-الغلظة و الشدة

-القبح : يقال أنت جبل و جبل أي قبيح.

فجاءت هذه اللفظة بمعانيها هذه مناسبة لسياقها، مصورة للدلالات المقصودة يقول السامرائي "ولعله اختار هذه اللفظة دون 'الخلق" ليجمع هذه المعاني كلها"[4] ،فإن ذلك يدل

1-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج2 :ص 227

2-يس:62

3-على طريق التفسير البياني ،ج2 : ص 216

4-نفسه : 217

على الكثرة كما ذكرنا، ويدل على أن هؤلاء الذين أضلهم الشيطان إنما هم عتاة ظلمة غلاظ

الطباع...ومما يدل على ما ذكرناه ما فعله أصحاب القرية بالرسل، وبمن امن بهم مما ذكره في السورة فاختيار لفظ (الجبل) مناسب لما ورد في السورة أيضا" [1]

الحمد :

قال تعالى " الحمد لله رب العالمين" [2] لقد فرق السامرائي بين معنى الحمد و المدح، فقال إن معنى الحمد الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة و الإجلال، و لا يكون الحمد إلا للحي العاقل، و هذا أضهر فرق بين الحمد و المدح، فقد تمدح جمادا و لكن لاتحمده، و المدح قد يكون قبل الإحسان و بعده، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان ومن هذا كله برهن السامرائي على أولوية الحمد على المدح في هذه الآية و دقة اختيار هذه الكلمة في هذا السياق، فهي مجاورة لاسم الله الحي و المعطي و المنعم ، و لا تعطي كلمة المدح ما أعطته "وبدا علمنا من قوله"الحمد لله" أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل، فحمدناه على صفاته وعلى فعله و أنعامه، و لو قال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح"[3]

1-على طريق التفسير البياني،ج2 : ص 117

2-الفاتحة : 02

3- لمسات بيانية: ص 05

اسم "عبد" :

في قوله تعالى " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [1] لم يقل (برسوله) و لا (بمحمد عليه الصلاة و السلام)، وإنما قال (بعبده) فلهذا الاختيار جملة من المعاني عند السامرائي:

-أن الإنسان مهما عظم لا يعدوا أن يكون عبدا لله تعالى " ...فاختيار كلمة عبد حتى لا يدعى له مقام غير مقام العبودية، فمقام العبودية لله هو أعلى مقام للخلق" [2]

-إن العبودية نوعان قسرية و اختيارية، فالقسرية تتحقق شاء الإنسان أم أبى، وذلك أن الله تعالى لما ذكر موسى عليه السلام ذكره باسمه، و لم يقل عبدنا " خر موسى صعقا" أما الرسول عليه الصلاة و السلام لما ذكره في هذه الآية ذكره بصفة العبودية ولم يذكر اسمه ولا (الرسول)، ثم أعقبها بذكر أنه أعرج به إلى السماء و إلى سدرة المنتهى... فلذا كان استعمال كلمة (بعبده) دلالة على زيادة التشريف له.

اسم "صاحبكم":

قال تعالى " مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى" [3] بين السامرائي في تفسيره لهذه الآية أن كلمة"صاحبكم" أصابت المعنى المقصود أفضل و أحسن من أن يذكر اسم الرسول صلى

1-الإسراء:01

2-لمسات بيانية: ص 29

3-النجم :02

الله عليه و سلم، لأنه متهم بالضلال والغواية. فكيف يتهمه قومه، وهو مصاحب لهم يعاشرهم فهم يعرفونه جيدا لذلك فإن كلمة صاحبكم ملائمة جدا لسياقها "وقد وردت صاحبكم في ثلاث مواضع (ما بصاحبكم من جنة، وما صاحبكم بمجنون ، ما ضل صاحبكم) وهذا لأن فيها معنى الصحبة ..."[1]

اسم "الوالدين" :

في قوله تعالى " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" [2] فقال تعالى (والديه) ولم يقل (أبويه) وفي ذلك مناسبة للسياق الذي ذكرت فيه الأم لا الأب، فذكر الحمل و الفطام وبينهما الولادة، وفي ذلك قصد دلالات بينها السامرائي:

-عندما ذكر الحمل و الفطام ناسب ذكر الولادة (الوالدان)

-إشارة إلى ضرورة الإحسان للأم أكثر من الأب.

-ذكره بالولادة وهو عاجز ضعيف ..."...ولذلك لا تجد في القرآن الكريم البر أو الدعاء أوالتوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين"[3]

1-لمسات بيانية :ص 34

2-لقمان:14

3-لمسات بيانية : ص 70

بهذه النماذج و الشواهد القرآنية حاولنا أن نبين كيف اتخذ السامرائي من مدلول الكلمة قاعدة و ركيزة ينطلق منها نحو التفسير البياني، معتمدا على المعنى الدقيق و الخاص بكل كلمة والذي ينسجم و يتواءم مع السياق، ومعتمدا كذلك على الموازنة أو المقارنة بين الكلمة وما يقاربها في المعنى من كلمات (المرادفات) ليظهر الفروق الدقيقة التي تفصلها عن بعضها البعض، و ليظهر في الوقت ذاته أولوية اختيار هذه الكلمة في هذا السياق و هذا التعبير القرآني الفني المقصود، و لعل هذا المنهج أو هذا الإجراء هو "مبدأ الاستعاضة" الذي ذكره الباحث محمد ياسر خضر الدوري ضمن مقاييس الاستعمال عند اللغويين المحدثين. [1] وهو ذاته ما جاءت به النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي.

ب-اختلاف الاسمين مع تشابه التعبيرين:

لقد تحدث السامرائي إضافة إلى حديثه السابق عن المعنى الدقيق للكلمة في سياقها الخاص بها، عن استعمال التعبير القرآني لكلمتين مختلفتين في تعبيرين متشابهين. إن لم يكونا متطابقين وبين أن هذا التشابه و الاختلاف (أطلق عليه تعاور المفردات أيضا) هو مقصود وله أسبابه يقول "وإذا تأملت هذا التشابه و الاختلاف وجدته أمرا مقصودا في كل جزئية من جزئياته قائما على أعلى درجات الفن و البلاغة و الإعجاز، وكلما تأملت في ذلك ازددت عجبا و انكشف لك سر مستور، أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم" [2] .

1-ينظر خضر الدوري ، دقائق الفروق اللغوية في بيان القرآن : ص 59

2-السامرائي ، التعبير القرآني: ص 173.

فبالرغم من أن التعبيرين متشابهين على الأقل بالنسبة للقارئ العادي، إلا أن هناك اختلاف بينهما في استعمال كلمتين محددتين، هذا الاختلاف هو عند السامرائي بعيد كل البعد عن التناقض لأن كل كلمة صحيحة و مناسبة لسياقها الذي وردت فيه، يقول في دفع شبهة التناقض " إن الذي نريد أن نوضحه هنا أن ذلك ليس تناقضا، و لا اختلافا بل إن ما ذكره في الموضعين حق حتى لو اختلف معنى المفردتين، ذلك أن المذكور قد يكون عاما في موطن و خاصا في موطن آخر، و قد تكون له حالتان فيذكر حالة في موطن و يذكر حالة أخرى في موطن آخر..." [1]

هذه المقاصد و هذه الأسباب بحثها السامرائي في مجموعة من التعابير القرآنية نذكر بعضها و نذكر معها تفسيره البياني لها قال تعالى في آية النساء " إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا " [2] و قال في الأحزاب " إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[3] فبالرغم من تشابه التعبيرين إلا أنه قال في النساء"خيرا" و قال في الأحزاب "شيئا" . هذا التشابه و الاختلاف في اختيار الكلمتين له مقصديته، و له أسبابه في منظور السامرائي فكلمة "خير" جاءت ملائمة و منسجمة لما سبقها من قول " لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا"[4] فالله لا يحب الجهر بالسوء

1-السامرائي ، بلاغة الكلمة القرآنية : ص 109
2-النساء:149
3-الأحزاب :54
4-النساء:148

بخلاف الجهر بالخير "إن تبدو خيرا" أما كلمة "شيء" فجاءت هي كذلك ملائمة ،و منسجمة مع سياقها الذي يتعلق بعلم الله بالأشياء الخافية و الظاهرة فقد قال فيها " وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ"[1] وقال " وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا"[2] فختم الآية بقوله " فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [3] ومعنى الآية إنه يستوي عنده السر و الجهر، فناسب أن يقول "إن تبدوا شيئا أو تخفوه" إلى أن يقول " إن تبدوا خيرا"..."[4] ، إضافة إلى هذا التناسب و التناغم الدلالي بين كل كلمة و سياقها الذي وردت فيه، ذكر السامرائي أن كلمة (خير) ترددت في سورة النساء اثني عشرة مرة، ولم ترد في سورة الأحزاب إلا مرتين، أما كلمة (شيء) فترددت في سورة النساء اثني عشرة مرة وترددت في سورة الأحزاب ست مرات "فاقتضى التدبير اختيار كل لفظة من جهتين : جهة المعنى و السياق، و جهة اللفظ"[5]

و من ذلك أيضا قوله تعالى في البقرة " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ"[6] وقوله في نفس السورة " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ"[7] فقال في الأولى "أشد" وقال في الثانية "أكبر" و هذا التباين

1-الأحزاب:51
2-الأحزاب :52
3-الأحزاب:54
4-التعبير القرآني : ص 174
5-نفسه :ص 175
6-البقرة:191
7-البقرة:217

الواضح بين الكلمتين فسره السامرائي باختلاف السياقين، فجاءت كل كلمة في موضعها الخاص بها، لأن الآية الأولى هي في سياق الشدة على الكافرين " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" " وهذه شدة ظاهرة فناسب ذكر (أشد) فيه بخلاف الآية الثانية"[1] لأن سياق هذه الآية الثانية هو سياق كبيرات الأمور " قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ " وقوله " وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ " فناسب ذكر أكبر فيها " [2]

ومن ذلك أيضا قوله" وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" [3] فجاءت حسب تفسير السامرائي كل كلمة متناغمة ومنسجمة مع ما ذكر قبلها، فالآية الأولى قال فيها "عليما حكيما" وهذا متصل بما ذكر قبله من إنزال السكينة وازدياد المؤمنين إيمانا " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "[4] فهذا موضع علم و حكمة "[5] أما الآية التانية فقد قال فيها "عزيزا حكيما" وهي أيضا متصلة و مناسبة لمعنى العذاب و العقوبات " وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"[6]فهذا موضع عز و وغلبة و حكم..."[7]

1-التعبير القرآني : ص 176
2-نفسه: ص 175
3-الفتح:04
4-الفتح:07
5-التعبير القرآني : ص 178
6-الفتح:06
7-التعبير القرآني: ص 178

ومنها أيضا لفظتي (هامدة و خاشعة) وردت في تعبيرين متشابهين فقال في الأول " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[1]وقال في الموضع الثاني " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[2] فكذلك (خاشعة) و(هامدة) جاءت كل واحدة منهما متناسقة مع سياقها، رغم تشابه التعبيرين، فالسياق الأول هو سياق بعث و إحياء و إخراج مما ناسبه تصوير الأرض (هامدة) ثم تهتز و تربوا وتنبت من كل زوج. أما السياق الثاني فهو سياق عبادة وخشوع مما ناسبه جدا تصوير الأرض (خاشعة) والتي تهتز و تربوا دون أن يذكر الإنبات و الإخراج، فالمقام مقام عبادة و سجود و مقامه هناك (في الآية الأولى).

1-الحج:05

2-فصلت :39

ثانيا **-دلالة الأفعال:**

أ-اختيار الفعل المناسب في السياق الملائم دون غيره:

فعل "تكتب" :

في قوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ"[1] وقف السامرائي عند استعمال فعل (نكتب) في هذا السياق، و كشف عن مقصدية استعماله بدلا من (نعلم)، فالفعل (نكتب) يدل على توثيق الأعمال الذي يمكن صاحبها من الاطلاع عليها، و هو مناسب جدا لهذه الآية أحسن من (نعلم) التي لا تؤدي نفس الدلالة "وقال (نكتب) و لم يقل (نعلم) لغرض الاهتمام بها و توثيقها و اطلاع صاحبها عليها بصغيرها وكثيرها، فإن الإنسان قد يعلم أشياء و لا يكتبها فإذا كانت مهمة دونها"[2]

فعل "جاء":

في قوله تعالى" وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ"[3] كان السامرائي في كل مرة يصادف فيها الفعل (جاء) يفرق بينه و بين الفعل الذي ألفناه مرادفا "أتى" فيثبت مناسبة كل فعل للسياق الذي يرد فيه، فذهب إلى أن المجيء يكون لما فيه مشقة و لما هو أصعب من الإتيان"والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه من صعوبة

1-يس:12

2-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 46

3-يس :13

و مشقة، أو لما هو أصعب و أشق مما تستعمل له(أتى)..."[1] لذلك اختار فعل المجيء في آية يس هذه لوجود المشقة " ويبدو أنه كان في المجيء إلى أهل القرية و تبليغهم مشقة وإيذاء و تهديد فاختار المجيء على الإتيان ..."[2] أما الفعل أتى فقد ضرب له أمثلة ليثبت أن المشقة فيه أقل مما هي عليه في الأولى " وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ"[3] فعلق على إتيان هؤلاء أنه سهل فهم مروا بالقرية و هم في طريقهم.

فعل "أعهد" :

يقول تعالى " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ " [4] ، بدأ السامرائي تفسيره لهذه الآية بقول المفسرين في كلمة "أعهد" الذين جعلوها مرادفة (أوص) إلا أنه يرى ثمة فرق بين العهد و الوصية، فالعهد أقوى عنده " ذلك أن العهد يكون بمعنى الموثق و اليمين يحلف بها الرجل، و الفرق بين الذي يعهد و الذي يوصي أن المعاهد هو صاحب الشأن، أما الموصي فقد لا يكون صاحب الشأن ...و معنى عهد إليه كلفه و حمله الأمر، و جعله مسؤولا عنه، وليس وصي كذلك ...ومن هذا يتضح أن العهد أقوى من الوصية"[5] ومن هذا كله يرى السامرائي أن كلمة (أعهد) في هذه الآية أولى و أدق من (أوصي).

1-لمسات بيانية: ص 50
2-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 51-52
3-الفرقان:40
4-يس:60
5-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 211

-فعل (تعبد) في الآية ذاتها:

(لا تعبدوا) يقول السامرائي أنها لا تطيعوا ولكنه يرى أن هناك مقصد من استعمال التعبير القرآني (لا تعبدوا) بدلا من (لا تطيعوا)؛ لأن العبادة و الطاعة عنده ليستا سواء، أوبالأحرى هناك فروقا دقيقة وخيوطا رقيقة لا يراها إلا المفسر البياني، صاحب النظر الفاحص يقول "وعبر عن ذلك بالعبادة لا بالطاعة لأن العبادة ليست مجرد الطاعة فأنت قد تطيع شخصا و لا تعبده ...ثم إن الطاعة قد تكون عن طريق الإكرام ...وهذه ليست عبادة وإنما العبادة تعني الطاعة مع الخضوع و الاستسلام، والانقياد للأمر و التدلل "...وكل عبادة لغير الله إنما هي عبادة للشيطان..."[1]

الفعل "انحر":

في قوله تعالى" فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ"[2] فقال تعالى "انحر"و لم يقل "ادبح" و ذلك لاختلاف دلالة الفعلين " ...لأن النحر خاص بالإبل، أما الذبح فهو عام يشمل كل ما يذبح من الإبل و البقر و الغنم ...فطلب منه أن ينحر البدن وهي خيار أموال العرب ويتصدق بها على المحتاجين ..."[3]

1-على طريق التفسير البياني ،ج2: ص 212-213
2-الكوثر:02
3-على طريق التفسير البياني، ج1: ص 88

الفعل "حدث":

في قوله تعالى" وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" [1] فاستعمل "حدث" بدلا من أي فعل آخر خاصة الفعل "خبر" ولذلك سببه في تفسير السامرائي ، ففعل "حدث" الأنسب و الأولى في هذه الآية لأن المقصود هو الإخبار المتكرر وإشاعة الحديث وكلمة "حدث" تفي بهذه الدلالة عكس "خبر" ،"وقال"فحدث" ولم يقل "فخبر" ليكرر ذلك و يشيعه فإن التحديث يقتضي التكرار والإشاعة بخلاف التخبير فإنه لا يقتضي ذلك..."[2]

الفعل "يطعمون":

في قوله تعالى" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً" [3] قال "يطعمون" و لم يقل "يتصدقون" فبين السامرائي مناسبة هذا الفعل لهذا السياق، فالمقصود هو تعميم الإطعام لا حصره، لذلك استعمل "يطعمون" "لئلا يخص ذلك الصدقات أو يخص من تجب عليهم الصدقة أولهم، وإنما أراد فعل الخير عموما، سواء كان صدقة أم إكراما، وسواء كان الفاعل غنيا أم فقيرا ممن تجب عليهم الصدقة ام لا"[4]

الفعل"تريد": في قوله تعالى " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً" [5]

1-الضحى:11
2-على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 120
3-الإنسان:08
4-على طريق التفسير البياني، ج 1: ص 169
5-الإنسان:09

يرى السامرائي أن استعمال الفعل(نريد) أبلغ و أدق من استعمال (نطالب)، للفرق الموجود بين الفعلين، فنفي الإرادة يعني نفي الطلب، و نفي الإرادة التي تسبق الطلب "وقال (لا نريد) و لم يقل (لا نطالب) لأن الإنسان قد يريد و لا يطالب فنفي الإرادة أبلغ من نفي الطلب لأنه ينفي الطلب و زيادة"[1]

الفعل " أهلكت":

جاءت في قوله تعالى" أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً" [2] بحث السامرائي عن اللمسة البيانية في استعمال فعل (أهلكت) بدل (أنفقت) فذكر أن هذه الآية الوحيدة التي استعملت فيها كلمة (أهلكت مع المال) فجاء هذا الاستعمال مناسبا لجو السورة كله، فهو مناسب لما يعانيه الرسول و أصحابه في الشدائد التي أهلكت بعضهم، و مناسب للعقبة وليوم ذي مسغبة (المهلك هو كذلك)، و مناسب مع أصحاب المشئمة المهلكين، و مناسب لكل إنفاق بغير وجه مناسب، فهو إهلاك للمال، و ليس إنفاقا وكل السورة مشقة و إهلاك "فكان استخدام كلمة إهلاك أنسب و أفضل كلمة تؤدي المعنى المطلوب الذي يقتضيه جو السورة و سياق الآيات فيها."[3]

1-لمسات بيانية: ص 171
2-البلد :05-06
3-لمسات بيانية: ص 145

الفعل "ترضى":

في قوله تعالى " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" [1] قال (فترضى) و لم يقل شيئا آخر، فرأى السامرائي أن الرضا من أجل النعم على الإنسان فهي الاستقرار و الطمأنينة وراحة البال "...لذا فاختيار الرضى هو اختيار نعمة من أجل النعم و لها دلالتها في الحياة عامة وليست خاصة بالرسول الكريم ..."[2]

الفعل "يعطيك":

الواردة في نفس آية الضحى " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" فقال(يعطيك) ولم يقل (يؤتيك) فرأى السامرائي ثمة فروق بين هذين الفعلين نجملهما فيما يلي:

1-الإيتاء يكون للأمور المادية وغيرها (الملك، الحكمة...)

2-العطاء خاص بالمادة

3-الإيتاء أوسع من العطاء

4-العطاء لا يشمله النزع

5-الإيتاء يشمله النزع

6-الإيتاء قد لا يتصرف فيه الشخص

7-العطاء فيه حرية التصرف بالوهب و المنح.

1-الضحى:05

2-لمسات بيانية ص :159

فكل معاني العطاء التي أوردها السامرائي تجعل من الفعل (يعطيك) في سورة الضحى هو الفعل الأنسب، و الملائم لهذا السياق " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى".

ب-اختلاف الفعلين مع تشابه التعبيرين:

لقد أشار السامرائي إلى أن الفعلين (ألم يهد لهم) و (ألم يروا) قد استعملهما القرآن في تعابير متشابهة، إلا أن لكل فعل دلالته الخاصة به، و سياقة الخاص كذلك، فقد استعمل الرؤية في قوله" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُون" [1] وقال في موضع آخر " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ"[2] واستعمل " ألم يهد" في موطنين هما قوله تعالى" أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ"[3] وقوله تعالى"أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى"[4] فلاحظ السامرائي أن فعل الرؤيا يستعمل في سياق العقوبات الدنيوية المرئية "ولعل ذلك لأن عقوبات الدنيا يمكن أن ترى آثارها"[5] ، أما فعل الهداية فيستعمل في سياق الآخرة "أما في سياق الآخرة و أحوالها وعقابها فيستعمل (ألم يهد لهم) ولعل ذلك و الله أعلم أنه من باب الهداية العقلية و التبصر

1-يس:31

2-الأنعام:06

3-السجدة:26

4-طه:128

5-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 109

الذهني و هو ألصق بالهداية و التبين من الرؤية"[1] .

من هذا القبيل قوله تعالى "لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ"[2] وقوله" نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ"[3]، فما الفرق بين (تدعي) و(تشتهي) ؟ . أجاب السامرائي عن هذا السؤال بتوضيحه معناه كل فعل: (فما تدعي) معناه ما تطالبه بالقول، (وما تشتهي) هو ما تريده النفس سواء طلبته، أم لم تطلبه ،لذلك يرى السامرائي أن فعل (مايدعون) مناسب لسياقات (يس) التي جاءت في عموم أصحاب الجنة أما فعل(ما تشتهون) فقد ناسب هو كذلك سياق آية فصلت التي جاءت في صنف معين من أصحاب الجنة، فهم "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..."[4] فهم أعلى درجة من أولائك "فقد تشتهي النفس شيئا و لا تطلبه لأسباب عدة، فذكر تعالى أن لهؤلاء الأمرين كليهما فإذا اشتهت أنفسهم شيئا كان لهم ذلك وإن لم يطلبوه..."[5] .

وقد وردت في قوله تعالى"وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً..."[6] كلمة (انفجرت) أما في قوله تعالى " وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً"[7] فوردت كلمة

1- على طريق التفسير البياني، ج2: ص 109

2-يس:57

3-فصلت:31

4-فصلت:30

5-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 207

6-البقرة:60

7-الأعراف:160

(انبجست) ،و القصة واحدة و التعبيران متشابهان، إلا أن الانفجار غير الانبجاس. فوضح السامرائي صحة ودقة كل تعبير ، فالانفجار هو الماء الكثير ذكر في سياق التكريم، أما الانبجاس فهو الماء القليل ذكر في سياق العقوبة و الذم، فالماء الذي كان ينفجر أصبح ينبجس بسبب العصيان"فذكر حالة في سياق التكريم وحالة أخرى في سياق الذم و كلاهما واقع، و كلاهما صحيح إلا أنه اختار كل تعبير بحسب السياق الذي ورد فيه و هو ما تقتضيه البلاغة"[1] .

ومن ذلك قوله تعالى" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[2] وقوله" أَوَلَمْ يعلموا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [3] فقال في الروم "أولم يروا" وقال في الزمر "أولم يعلموا" فيرى السامرائي أن الروم كثر فيها استعمال ألفاظ الرؤية و النظر (تكررت سبع مرات)، لذلك ناسبها الفعل(أولم يروا) أما الزمر فقد كثر فيها ألفاظ العلم (إحدى عشر مرة) فناسبها الفعل (أولم يعلموا) "فاستحقت الروم لفظ الرؤية والزمر لفظ العلم"[4] ، كما ذكر السامرائي لمسة فنية أخرى، إذ جاء بفاقدي البصر في سورة الروم "وما أنت بهادي العمي عن ضلالهم"[5] أما فاقدي العلم فجاء بهم في

1-على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 16.
2-الروم:27
3-الزمر:52
4-التعبير القرآني : ص 178
5-الروم:53

سورة الزمر " قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ "[1]

ثالثا-دلالة الحروف:

لقد أثبت السامرائي بتفسيره البياني عناية القرآن الكريم بالكلمة، فبين كيف يضع هذا التعبير كل كلمة في موضعها المناسب، و سياقها الملائم فتبدوا منسجمة ومتناغمة تؤدي الدلالة أحسن و أدق أداء، فرأيناه يقف عند الاسم، و يقف عند الفعل فيما سبق، وقد خص الحرف هو كذلك باهتمام و عناية ظاهرة في تفسيره، إيمانا منه أن الحرف لا يقل أهمية و لا تأثيرا عن الاسم والفعل ، فهو جزء هام من النظم العام خاصة وأن القرآن الكريم قد وظف الحرف توظيفا غاية في الدقةو الروعة "...لذلك كان لهذا الحرف نصيبه الأوفى ، و حظه الأوفر في البيان القرآني، سواء أكان ذلك من حيث حذفه وذكره ، أم من حيث وضع حرف مكان حرف أخر" [2] ، فأظهر السامرائي أن القرآن الكريم يستعمل كل حرف في موضعه الخاص به، و لا يغني حرف آخر عنه، كما بين أن التعبير القرآني يستعمل حرفا معينا في موضع معين ،ثم يعدل عنه إلى حرف آخر في موضع يبدو شبيها به، يقول عن حروف الجر مثلا "ومن ذلك استعمال حروف الجر فقد استعملها استعمالا لطيفا بديعا فقد يعدل من حرف إلى آخر ، أو يستعمل حرفا مرة ثم يستعمل حرفا آخر في موضع يبدوا شبيها بالأول وغير ذلك من الفنون التعبيرية لسبب يدعوا إلى وضع كل حرف الموضع الذي وضعه"[3]

1-الزمر:64

2-فضل عباس، إعجاز القرآن : ص 193

3-التعبير القرآني : ص 203

وبهذا المنطلق وهذا المنهج الذي تعامل به السامرائي مع الحروف القرآنية ينفي و يدحض فكرة تناوب الحروف بعضها مكان بعض و التي نجدها عند بعض اللغويين و المفسرين وهي"قصدية غير مسلمة أو مستساغة في كتاب الله تعالى، فكل حرف له مدلوله الخاص به..."[1] .

أ-اختيار الحرف المناسب في السياق الملائم دون غيره:

ما:

وردت في العديد من التعابير القرآنية منها قوله تعالى " لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ"[2] فذكر السامرائي أن (ما) تفيد ذوات غير العاقل، وصفات العقلاء لذلك استعملها القرآن بدلا من (من)لإفادة الشمول "إذن لما قال (له ما) جمع العقلاء و غيرهم ولو قال (من) لخص العقلاء، (ما) أشمل وعلى سبيل الإحاطة، قال (و مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) أولا يقصد الإحاطة والشمول"[3] ، مثل هذا القول قوله تعالى " وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ "[4] فالمقصود في هذه الآية هو لعموم و الشمول أيضا، لذلك أكد السامرائي على دقة استعمال(ما) في هذه الآية عوض (من) التي تفيد التخصيص "لهذا التعبير عدة دلالات : قسم قال المقصود به الإنسان(آدم وذريته)، وقسم قال أن المقصود كل والد و ما ولد من الأناس و البهائم، لذا لم

1-فضل عباس ،إعجاز القرآن: ص 193

2-البقرة:255

3-لمسات بيانية :ص 24

4-البلد:03

يقل (ومن ولد) وإنما قال (وما ولد) المقصود به العموم وليس الخصوص ومن جملته آدم وذريته ..."[1] إضافة إلى دلالة (ما) على الشمول والعموم فقد تأتي نافية كقوله تعالى "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ"[2] فالسياق هو سياق نفي بل تأكيد للنفي لذلك فاستعمال (ما) للنفي بدلا من (لم) هو الأنسب حسب رأي السامرائي، لأن (ما) في النفي أقوى من (لم) ، وما زاد التعبير تأكيدا على النفي هو استعمال (ما) مع (من) الاستغراقية يقول "واختار (ما) في النفي على (لم) فلم يقل (ولم ننزل) وذلك لأن (ما) أقوى في النفي من (لم)، وقد أكد النفي أيضا بذكر (من) الاستغراقية المؤكدة ...وهناك أمر آخر حسن ذكر (ما) دون (لم) وهو ذكر (من) الاستغراقية، فإن القرآن لم يأت البثة ب (من) الاستغراقية مع (لم) بخلاف (ما) "[3] و بهذا كله أثبت السامرائي أولوية و أحقية (ما) بالاستعمال في هذا السياق و تلاؤمها وانسجامها مع جاراتها في النسق القرآني.

ومثله قوله تعالى" لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ"[4] فنفي هنا كذلك ب(ما) القوية في النفي "والظاهر أم (ما) نافية...فإن عدم الانذار هو سبب غفلتهم المستحكمة، فإن هؤلاء القوم لم يأتهم من نذير..."[5] ،وذكر السامرائي أن التعبير القرآني كثيرا ما يستعمل (ما) النافية بدل من(لا) النافية ليشمل الأزمنة لا زمن الاستقبال فقط"..ذلك أن (لا) الداخلة على

1-لمسات بيانية: ص 24

2-يس:28

3-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 99

4-يس:06

5-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 15

الفعل المضارع أكثر ما تكون للاستقبال بل ذهب النحاة إلى أنها خاصة بالاستقبال..."[1]

وهذا مثل قوله تعالى " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ" [2]

"...فلا يناسب ههنا النفي ب (لا) لئلا يفهم أن هذا النفي خاص بالاستقبال لا ما هو عليه الآن"[3] وقد تأتي ما حاملة للمعنيين في آن واحد، كما وضح السامرائي في كتابه "معاني النحو" نحو أن تأتي موصولة ومصدرية في قوله تعالى "بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ"[4] (فما) تحتمل في تفسير السامرائي المعنيين: الأول أنها مصدرية أي يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي وجعلي من المكرمين، و الثاني أنها موصولة أي يا ليت قومي يعلمون بالذي غفر لي به ربي وجعلني من المكرمين "فقال (بما) ولم يقل (بالذي) ليشمل المصدرية و الموصولة أي بالمغفرة و الإكرام وبسبب ذلك فيجمع المعنيين و لو قال (بالذي) لم يدل إلا على معنى واحد، ولم يأت بالمصدر الصريح...لدل على معنى واحد وهو المصدرية دون المعنى الأخر"[5] ففي رأي السامرائي أن كلا المعنيين مقصودين في هذه الآية لذلك جاء التعبير ب (ما) دون غيرها.

مثل هذا التعبير كثير ومثل هذا التفسير كذلك كثير في كتب السامرائي نحو قوله تعالى"هذا

1-على طريق التفسير البياني، ج2: ص 239
2-يس:69
3-على طريق التفسير البياني ،ج2: ص 240
4-يس:27
5-على طريق التفسير البياني ،ج2 : ص 97

ما وعد الرحمن..."[1] فكذلك (ما) هنا تحتمل أن تكون اسما موصولا أي هذا الذي وعده الرحمن، و تحتمل أن تكون مصدرية أي هذا وعد الرحمن "وقوله(ماوعد الرحمن) إجابة عن المصدر وعن الذات فإن كانت (ما) اسما موصولا فهي بمعنى الذات، وإن كانت (ما) مصدرية فقد أجاب بالمصدر المؤولن، وهو إجابة عن المصدر الذي هو الوعد فجاء ب(ما) ولم يأت ب (الذي) ليشمل المعنيين معا"[2]

من ذلك أيضا قوله تعالى"مما عملت أيدينا أنعاما" فما هنا جاءت بالمعنيين و كلاهما مقصود في منظور السامرائي ، فتحتمل أن تكون مصدرية فيكون المعنى (خلقناكم من عمل أيدينا) وتحتمل أن تكون موصولة فيكون المعنى (خلقنا لهم من الذي عملته أيدينا) أي من الأشياء التي عملتها أيدينا"ولو عبر عن ذلك ب (الذي) فقال(من الذي عملته أيدينا) لكان نصا في الموصولية الاسمية ولم يحتمل المصدرية"[3] "وكلاهما مراد ولكل منهما دلالة"[3]

ومثل هذا قوله تعالى"فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ"[4] "إن (ما) في قوله (ما يسرون و ما يعلنون) تحتمل أن تكون اسما موصولا، أي نعلم الذي يسرونه والذي يعلنونه، وتحتمل أن تكون مصدرية أي نعلم أسرارهم و إعلانهم، وهو يعلم ذلك كله إسرارهم و ما يسرون وإعلانهم و ما يعلنونه..."[5]

1-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص188-189
2-نفسه : ص 253
3-نفسه: ص 253
4-يس:76
5-على طريق التفسير البياني :ج2 : ص 264

وقد تحتمل (ما) النفي و الموصولية نحو قوله تعالى" وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ "[1] إن (ما) في هذه الآية جاءت لتحمل معنيين بينهما السامرائي في تفسيره، فالأول هو النفي أي أن الثمر لم تعمله أيديهم، وإنما هو من فعل الله، و الثاني معنى الموصولية (اسما موصولا) أي ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم...إلا أنه يرجح معنى النفي في هذا المقام، كلها معاني تحتملها (ما) والتي تميزها عن باقي الحروف.

لا:

وردت (لا) في تعابير قرآنية كثيرة حاملة معنى النفي، فبحث السامرائي في مواضع كثيرة عن سبب استعمالها هي بالذات في سياقات معينة، بدلا من أدوات نفي أخرى، كمجيئها في قوله تعالى" أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ"[2] علق عليها السامرائي بأنها الأنسب في هذا المقام لأن استعمالها ينفي الرجوع إلى الدنيا نفيا تاما (الماضي و الحاضر و المستقبل)، عكس (لم) التي لا تؤدي هذا المعنى "ونفي ب (لا) دون (لم) لدلالة على أن (الرجوع) إلى الدنيا مرة ثانية، لا يكون أصلا لا في زمن المخاطبين ولا في المستقبل، ولو نفاه ب(لم) لكان نفي الرجوع في الماضي دون المستقبل"[3] فكان اختيار (لا) أحسن اختيارا في هذا السياق و المقام

1-يس:35

2-يس:31

3-على طريق التفسير البياني، ج2: ص117.

ومثلها قوله تعالى " فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "[1] فاختيار (لا) على (لم) هو الأنسب لهذا السياق و هذا المعنى في رأي السامرائي، وذلك لأن (لا) تدل على أن هؤلاء لم يؤمنوا وسيبقون على كفرهم حتى يموتون، خلاف لو قال (لم) "...ليدل على أنهم سيموتون على الكفر، و أنهم لا يؤمنون في مستقبل حياتهم، ولو قال (فهم لم يؤمنوا) لكان إخبارا عن أمر قد مضى"[2]

واستعمال (غير) كذلك غير مناسبة في رأيه لأنها تدل على حالتهم الآتية"وكذلك لو قال (فهم غير مؤمنين) لاحتمل أنه يخبر عن حالتهم التي هم عليها، وقد تزول الآية و قد يتغير ذلك في المستقبل...فكان قوله الذي قال أمثل شيء و أنسبه"[3]

ووردت أيضا في قوله تعالى" وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"[4] فكانت مناسبة جدا في نظر السامرائي للدلالة على الإطلاق "أي لا يثقله و لا يجهده وجاء ب(لا) للدلالة على الإطلاق،(لا) تدل على الزمن المطلق وإن كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل لكن الأرجح أنها تفيد الاطلاق (لا يمكن أن يحصل) ..."[5]

الفاء:

جاءت في قوله تعالى " أَفَلَا يَعْقِلُونَ "[6] فاختار الفاء من بين الحروف الأخرى لغاية التقريع

1-يس :07
2-على طريق التفسير البياني ،ج2 ص 19
3-نفسه ص 19
4-البقرة:255
5-لمسات بيانية: ص 26
6-يس:68

"...أي أفلا يكون ذلك سببا لأن يعقلوا و يتفكروا وفيه تقريع لمن لا يعقل ويتفكر"[1]

وجاءت أيضا لغرض السببية في قوله تعالى " فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [2] فذكر السامرائي في تفسيره أن تنزيه الإله بعد ذكر نعمه وعظيم خلقه، قد استدعى ذكر الفاء الدالة على السببية في هذا السياق "...وجاء بالفاء في قوله (فسبحان) للدلالة على السبب، فإنه بعد ما ذكر ما أولاه من النعم على خلقه وعظيم خلقه في السموات و الأرض، وقدرته التي لا تحد استدعى ذلك تنزيه الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء"[3] مثله قوله تعالى "أفلم تكونوا تعقلون"[4] فجاء بالفاء هنا"لإرادة السبب أي أليس ذلك سببا كافيا للبعد عنه و الحذر منه؟"[5] وقد جاءت الفاء لغاية التعقيب، ذكر السامرائي هذه الغاية في تفسير مجموعة من التعابير القرآنية نحو قوله تعالى "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[6] لقد سبقت هذه الآية بذكر خلق الله في الماضي " أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " فجاءت هذه الآية تؤكد أن الله قادر على كل شيء في الماضي و الحاضر و المستقبل، فهو إن أراد شيئا يقول له كن فيكن مباشرة دون تراخي و لا فاصل زمني لذلك، يرى السامرائي أن حرف الفاء هو الأولى بهذه الدلالة وهذا القصد "...وجاء بالفاء فقال (فيكون) ولم يقل (ثم يكون) للدلالة

1-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 237
2-يس:83
3-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص279
4-يس: 62
5-نفسه : ص 218
6-يس:82

على التعقيب و أن يكون ما أراده مباشرة كما أمر وليس في ذلك تراخ أو مهلة "[1]

كما جاءت الفاء في تعابير قرآنية أخرى لغاية التفريع مثل قوله تعالى " فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ "[2]

فجاءت الفاء في هذه الآية لتفرع التدليل المذكور في الآية "والفاء للتفريع فهي فرعت أحكام التذليل إلى ما يركب، وإلى ما يؤكل مع بيان المنافع الأخرى..."[3]

الفاء+إذا :

كثيرا ما جاء هذا التركيب بين الحرفين (فإذا) في التعابير القرآنية و لمجيئه في تفسير السامرائي مقصدية، و غاية ، وهي السرعة و المفاجأة، كما أشار لها السامرائي في قوله تعالى" إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ"[4] بين السامرائي أن هذه الآية تريد أن تصور قوة الصيحة، وخمود هؤلاء السريع و المفاجئ، الذي تلا الصيحة مباشرة، فجاءت ب (فإذا) لتصورها هذه الصورة أدق وأحسن تصويرا "وجاء بالفاء وإذ الفجائية للدلالة على سرعة هلاكهم ، فإن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وإذا تفيد المفاجأة وجاء بهما معا للدلالة على سرعة المفاجأة بحيث لم تكن بين الصيحة وخمودهم مهلة"[5] ، كما أكد السامرائي في هذا المقام أنه لا يؤدي أي حرف من حروف العطف ما أدته الفاء "...فلو جاء بثم فقال (ثم إذا هم خامدون)،ى لدل على أن الخمود إنما حصل بعد مدة من الصيحة...ولو جاء بالواو ولم

1-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 278

2-يس:72

3-على طريق التفسير البياني، ج2: ص 257

4-يس: 29

5-على طريق التفسير البياني، ج2: 102

يدل ذلك على التعقيب أيضا، ولم يدل أن ذلك إنما كان بسبب الصيحة فإن الواو لا يفيد السبب، بل يفيد الإتباع، فجاء بالفاء للدلالة على معنييي السبب و السرعة و لا يؤدي أي حرف مؤداها"[1] .

مثل هذا المعنى وهذا التفسير في قوله تعالى" وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنْ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ"[2] فكذلك رأى السامرائي أن في اختيار(فإذا) مناسبة وملائمة للمعنى المراد تصويره، فبعد النفخ في الصور يخرج الناس مباشرة و فجأة من الأجداث، متجهين إلى ربهم "...ذلك أن الفاء تدل على الترتيب و التعقيب، أي يخرجون فجأة من دون تراخ أو مهلة من الوقت...ولم يأت بثم مع إذا الفجائية...ذلك لأن ثم تفيد التراخي في الزمن فبين أنه في عقب النفخة مباشرة يخرج الموتى من مراقدهم"[3]

شبيه بهذا القول قوله تعالى" إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ"[4] ففي هذه الآية المراد هو تصوير سرعة و مفاجأة الإحضار، ولذلك جاء ب(فإذا) لتؤدي هذا المعنى فيقول السامرائي"وجاء بالفاء وإذا للدلالة على مفاجأة الجمع و الإحضار بعد الموت و البلى وسرعته، فإن (إذا) تفيد المفاجأة ،و الفاء تدل على الحدوث بلا تراخ، واجتماعهما يدل على المفاجأة و السرعة"[5]

1-على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 102
2-يس:51
3-على طريق التفسير البياني، ج1 :ص 180
4-يس:53
5-على طريق التفسير البياني،ج1 :ص 192

الواو:

كثيرة الورود في التعابير القرآنية و تستعمل للعطف و الإتباع، كما قد تدل على معاني أخرى تكون مقصودة، كمعنى التوكيد و التحقيق الذي أشار إليه السامرائي في قوله تعالى "سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ "[1] فذكرت الواو في هذا القول على أنها لم تذكر في"ثلاثة رابعهم كلبهم" وفي قوله"وخمسة سادسهم كلبهم" فذهب السامرائي إلى أن ذكر الواو في هذا الموضع دون الموضعين الآخرين إنما هو توكيد وتحقيق لهذا القول "...الواو تفيد التوكيد و التحقيق كما صرح المفسرون أي كأنها تدل على أن الذين قالوا أن أصحاب الكهف كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب ...الواو إذن هي واو الحال ولكنها أفادت التوكيد و التحقيق بأن هذا القول صحيح..."[2]

أو:

جاءت هي الأخرى في مواضعها المناسبة نحو قوله تعالى "وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً"[3] "لو جاء بالواو لجاز له أن يطيع أحدهما ،إنما استعمال (أو) دلت على الأمر بأن لا يطيع واحدا منهما على سبيل الجمع و الإفراد..."[4]

1-الكهف:21
2-لمسات بيانية : ص 39
3-الانسان: 24
4- لمسات بيانية : ص 117

ثم:

من أشهر معانيها الترتيب و التراخي كما هو موضح في قوله تعالى" ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ"[1] ذكر السامرائي في تفسيره لهذه الآية أنها مرتبطة مع الآية التي سبقتها والتي يقول الله تعالى فيها " لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"[2] وذكر أن هناك وقت فاصل بين مرد الإنسان إلى أسفل سافلين وبين خلقه في أحسن تقويم فمجيء (ثم) هو المناسب لهذا التعبير "...فجاء ب (ثم) التي تفيد الترتيب و التراخي، لأن كونه أسفل سافلين لا يعاقب خلقه بل يتراخى فيه في الزمن ، فهي من حيث الوقت تفيد التراخي، كما أنها من حيث الرتبة تفيد التراخي...فثمة بون بين الرتبتين فأفادت (ثم) هاهنا التراخي الزماني و التراخي في الرتبة"[3]

الباء:

جاء في تفسير السامرائي للآية" إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ"[4] أن الباء تتصل بما هو أهم في القول و السياق "فقد اتصلت الباء ههنا بالضر و بالرحمة ولم تتصل بالضمير...وذلك أن الاهتمام و العناية بالضر و الرحمة، ويدلك ذلك أنه عقب على ذلك بكشف الضر وإمساك الرحمة فقال (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته)"[5]

1-التين:05

2-التين:04

3-لمسات بيانية : ص 169

4-الزمر:38

5-على طريق التفسير البياني، ج2 :ص 82

ومثلها قوله تعالى في سورة يس " أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ"[1] فلم تتصل الباء بالضمير، لأن مدار الاهتمام هو (الضر) حسب تفسير و تقدير السامرائي"...ولم يقل (إن يرد الرحمن بي ضرا) وذلك أن الكلام على الضر و هو مدار الاهتمام، ولذلك عقب بكشف الضر وإزالته فقال " لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ" أي لا يدفعون الضر عني و لا ينقدونني منه"[2]

أما قوله تعالى" قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً"[3] فقد فسر السامرائي ارتباط (الباء) بالضمير بأهمية المخاطبين، فالكلام يدور حولهم لا حول السوء أو الرحمة "فقد اتصلت الباء بضمير المخاطبين (بكم) لا بالسوء، و الكلام يدور حول المخاطبين، و السياق عليهم وذلك من الآية الثانية عشر حتى الآية العشرين"[4]

ومثلها قوله في سورة الفتح "قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً"[5] وقال في الأنبياء" وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمْ الأَخْسَرِينَ"[6] فبعد بسط السامرائي لمجموعة من التعابير القرآنية التي جاءت بها الباء متصلة بإحدى الكلمات

1-يس:23
2-على طريق التفسير البياني، ج2 :ص 84
3-الأحزاب:17
4-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 82
5-الفتح:11
6-الأنبياء:70

خلص إلى النتيجة التالية"فاتضح بذلك أن الباء تتصل بما هو أهم في السياق وعليه الكلام والله أعلم"[1]

على:

وردت مثلا في قوله تعالى" وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ"[2] فرق السامرائي بين الفعلين (طمس) و (طمس على) و إن كانا كلاهما يفيدان ذهاب العين إلا أن وجود (على) في الثاني يضيف معنى الاستعلاء لمعنى الطمس يقول"فمعنى(طمسه) أزاله ومحى أثره، و معنى (طمس عليه) غطاه بما يطمسه فلا يبقى له أثر و لا يبين منه شيء، فيكون الطمس عليه أشد من الطمس...ونظيره في العربية (ختمه) و (ختم عليه) ... وقال ههنا (لطمسنا على أعينهم للدلالة على شدة المسخ و الطمس و هو المناسب للمسخ العام الذي ورد بعده..."[3]

وقد ذهب السامرائي في حديثه عن الفرق بين استعمال (على) و (في) إلا أن (على) تستعمل مع الهداية و البينة فتكرر هذا في مجموعة من التعابير القرآنية نذكر بعضها نحو قوله تعالى " أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ"[4] وقوله "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ

1-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 84
2-يس:66
3-على طريق التفسير البياني،ج2:ص 227-228
4-البقرة: 05

رَبِّي"[1] "فاستعمل (على) في هذا المعنى للدلالة على تمكنهم من الهداية واستعلائهم على الطريق"[2]

في:

رأينا مع الحرف (على) أن السامرائي قد بين أنها تستعمل مع الهداية، في حين ذهب إلى أن (في) تستعمل مع الضلال، وجاء بنماذج قرآنية مثل قوله تعالى " فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ"[3] وقوله تعالى " وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[4] وقوله"فهم في ريبهم يترددون"[5] "أي كأنهم ساقطون في ذلك لا يتبينون ما حولهم و لاهم متمكنون من أنفسهم..."[6] فبالرغم من أن كلا الحرفين هما حرف جر، إلا أن الاستعمال القرآني كان غاية في الدقة، فاستعمل (على) مع الهداية و(في) مع الضلال و فند السامرائي هذا الرأي بقوله تعالى " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[7]

عن:

استعملها القرآن الكريم استعمالا فنيا دقيقا كالآية التي وقف عندها السامرائي، والتي يقول

1-هود:28
2-على طريق التفسير البياني ج2 ص 171
3-المؤمنون:54
4-الأنعام:11
5-التوبة:45
6-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 171
7-سبأ:24

فيها تعالى " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى "[1] فأشار السامرائي إلى أن النطق يكون عادة ب (الباء) إلا القرآن الكريم جاء في هذا السياق ب (عن)، وذلك حسب تفسير السامرائي بغية تزكية الدافع للقول وتنزية هذا الناطق(الرسول) عن الهوى "...فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صادرا عن هوى...وهو بمنزلة تزكية النفس القائلة لأن الإنسان قد ينطق بالحق لكن عن هو ...وهكذا زكى الله تعالى رسوله بتزكية الدافع للقول..."[2] فبين السامرائي بهذا التفسير مقصدية التعبير القرآني ودقته في استعمال (عن) بدلا من (الباء).

من:

جاءت هي الأخرى في الكثير من التعابير القرآنية تحمل دلالات خاصة بها، دون غيرها من الحروف، حدد السامرائي بعضها في تفسيراته ، كدلالة التبعيض في قوله تعالى " فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ "[3] فجاءت (من) هنا حسب تفسير السامرائي لتجعل بعض الأنعام فقط هي التي تركب لا كلها، ونظير هذا القول قوله تعالى " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"[4] فالبقر و الغنم لا تركب في حين ذكر قوله تعالى "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا"[5] الذي حذفت منه (من) التبعيضية، لأنها كلها تركب ، فأظهر بذلك السامرائي دلالة (من)، وأظهر معها دقة القرآن في استعمال الحرف.

3-النجم:03

4-لمسات بيانية: ص 34

3-يس:72

4-غافر:79

5-النحل:08

ابتداء الغاية هي كذلك معنى من معاني (من) التي وردت في القرآن الكريم، و التي بينها السامرائي في مجموعة من التعابير القرآنية، فلا يؤدي أي حرف هذا المؤدى المنوط ب(من) نحو قوله تعالى " وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ"[1] فجاء ب (من) من أجل تبيان إنزال العذاب بعده دون إهمال "وقال (من بعد) ولم يقل (بعده) للدلالة على أنه أنزل العذاب عليهم بعده مباشرة، ولم يمهلهم فإن (من) تفيد ابتداء الغاية ...فجاء ب (من) ليدل على أنه عاجلهم بالعقوبة من دون امهال"[2]

و مثله قوله تعالى" وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ"[3] جاء في تفسير السامرائي لهذه الآية أن السد قد جعل ابتداء من بين أيديهم، ولم يترك بينه وبينهم فراغا ،و هو كذلك من خلفهم لذلك جاءت (من) مناسبة لهذا التصوير "...فإن السد ملتصق بهم من الأمام وكذلك من الخلف...بخلاف ما إذا لم يذكر (من) فإنه يحتمل أن يكون بينهم وبين السد مسافة بعيدة أو قريبة، وذلك نحو قوله تعالى "فلم يروا إلى السماء فوقهم" فإن بينهم و بين السماء مسافة بعيدة ... فجاء ب (من) ليدل على أن الرواسي ملتصقة بالأرض ليس بينهم و بينها فراغ"[4]

1-يس:28

2-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 97

3-يس:09

4-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 24

من:

قال تعالى" قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً"[1] فجاءت (من) في هذه الآية بدلا من (الذين) لقصد بينه السامرائي " ...واختار (من) على (الذين) لكونها أعم فإنها تشمل كل داع إلى الله واحدا كان أو أكثر"[2]

إن:

من خلال تفاسير عديدة لآيات تتضمن (إن) أثبت السامرائي أن التعابير القرآنية تستعمل (إن) لأجل النفي بدلا من (ما) لأجل تقوية هذا النفي وإثباته مثل قوله تعالى " إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى"[3] فجاءت الآية لإثبات مسألة أساسية، لذلك جاء بأقوى ما في النفي (إن) وزاده قوة باستعمال (إلا) لأن المسألة المطروحة غاية في الأهمية وهي مسألة خلافية (الوحي) "...مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان و الكفر، فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات لأن الوحي كان سبب المسألة الخلافية بين الكفار و الرسول...[4] .

ومثله قوله تعالى " إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ" [5] "أي ما كانت العقوبة أوالأخذة إلا صيحة واحدة ... ونفى بأن ولم ينفي بما ، ذلك لأن (إن) أقوى من (ما) ولذلك

1-يس:20-21
2-على طريق التفسير البياني ،ج2 : ص 71
3-النجم: 04
4-لمسات بيانية: ص 35
5-يس:29

كثيرا ما تقترن بإلا لفائدة القصر..."[1] ونفى كذلك ب(إن) لما هو أقوى في قوله تعالى "مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ"[2] "فإثبات الملكية ليوسف يحتاج إلى قوة ولذلك نفى بما أولا ثم نفى و أثبت ب(إن) وإلا لما هو أقوى" [3]

و أثبت السامرائي هذا القصد أيضا في قوله تعالى "قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ"[4] فسر السامرائي استعمال(ما و إلا) في بداية الآية لنفي ما هو غير مختلف فيه، أما(إن و إلا) فقد استعملا لغرض نفي و إثبات مسألة مختلف فيها (الكذب) "ذلك أن (إن) أقوى في النفي من (ما)، فوضع كل حرف في الموضع الذي تقتضيه ذلك أن قولهم (ما أنتم إلا بشر مثلنا) غير منكور و هو معلوم للجميع، أما قولهم (إن انتم إلا تكذبون) فهو موضع النزاع فإنه الوصف الذي يلصقه أهل القرية بهم ويدفعه المرسلون عن أنفسهم...فناسب ذكر أقوى الحرفين فيما فيه قوة إنكار ويحتاج إلى إثبات"[5]

إذا و إن:

كثيرا ما نستعمل (إذا) و (إن) استعمالا يجعلهما سواء أو يؤديان الغرض نفسه –لكن السامرائي من خلال تفسيره للعديد من التعابير القرآنية التي تتضمن الأداتين قد جعل لكل حرف موضعه الخاص به و دلالته التي يضفيها على الكلام. فذهب إلى أن (إذا)

1-على طريق التفسير البياني، ج2: ص 101
2-يوسف:31
3-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 101
4-يس:15
5-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 56، 57

تستعمل:للمقطوع بحصوله وللكثير الحصول "وإِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ "[1] وقوله" فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ "[2] وقوله" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ "[3] فكلها أحداث تحدث لا محالة ، أما كثرة الحصول فضرب لها أمثلة نحو قوله تعالى " إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ "[4] " **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** "[5] .

أما (إن) فذهب السامرائي إلى أنها تستعمل لما قد يقع، و لما هو محتمل أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل و جاء بنماذج قرآنية نحو " قلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[6] وقوله " وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنْ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ"[7] وقوله" انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ"[8]

وقد علل ورود (إذا) في الكثير من التعابير القرآنية بمناسبتها لسياق التحقيق و التيقن نحو قوله " ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنثُوراً" [9] فقال (إذا رأيتهم) لأن الأمر واقع و محقق "وهي ليست من باب الافتراض ولهذا لم يأت ب(إن) أو (لو) لأن

1-البقرة:180
2-التوبة:05
3-الجمعة:10
4-المائدة:06
5-النساء:86
6-القصص:71
7-الطور:44
8-الأعراف:143
9-الإنسان:19

إذا كما قلنا تستخدم لتيقن الحدث أو للدلالة على الحدث الكثير الوقوع ، ولهذا جاءت كل الآيات التي تتحدث عن أحداث يوم القيامة باستخدام (إذا) لأنها محققة الحصول "[1]

وشبيه بهذا القول وهذا التفسير : قوله تعالى "وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا "[2] "...واستعمال (إذا) هنا يدل على أن الله تعالى سيبدل أمثالهم، و يأتي بأناس مؤمنين مكانهم فالمشيئة حاصلة و قد تمت"[3]

لولا-لو:

جاءت (لولا) في قوله تعالى " لَوْلَا أَخَّرْتَنِي"[4] فكانت هي الأولى و الأنسب في تقدير السامرائي من (لو) لأن (لولا) هي الأشد إلحاحا في الطلب، و(لو) تستعمل للطلب برفق، و الآية هذه فيها طلب وإلحاح(لولا أخرتني) ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأن يحاربه، و يأتي بما هو أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات التنديم للنفس على ما فرط ولو جاء ب (لو) لفاد الغرض الخفيف"[5] وأضاف السامرائي أن (لو) للتمني قد يكون ميؤسا، أما صاحب هذه الآية فهو غير متمني بل طالب و ملح على التأخير، لهذا رأى السامرائي مناسبة استعمال (لولا) بدلا من (لو).

1-لمسات بيانية ص 109
2-الإنسان:28
3-لمسات بيانية :ص 121
4-المنافقون:10
5-لمسات بيانية ص 83

ب-اختلاف الحرفين مع تشابه التعبيرين:

بعد أن رأينا تحديد السامرائي لمعاني الحروف الدقيقة و استعمال القرآن الكريم لها استعمالا فنيا مقصودا ، ننتقل في هذا العنصر إلى ظاهرة تشابه التعابير و اختلاف الحروف المستعملة، والتي تبدوا لنا متشابهة، إلا أن هناك فروقا دقيقة و معاني خاصة بكل حرف حاول السامرائي كشفها وإظهار ملاءمتها لسياقها الذي وردت فيه، وقد فصل الحديث في هذا الموضوع في كتابه "التعبير القرآني"، و في كتبه التفسيرية أيضا، متناولا حروف العطف و حروف النفي و حروف الجر.

1-حروف العطف:

من ذلك قوله تعالى" أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى"[1] وقوله" أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ"[2] فقال في بداية آية طه (أفلم)، وقال في بداية آية السجدة (أولم)، فجاء في تفسير السامرائي لهذا الاختلاف أن كل حرف قد استعمل في سياقه الملائم له، فالفاء في طه تفيد التعقيب"لأنه ذكر في سورة طه العقوبات في الدنيا علاوة على عقوبة الآخرة فقال" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى "[3] "[4] ،أما (الواو) فقد جاءت في السجدة لأن السياق ليس سياق تعقيب كما هو

1-طه :128

2-السجدة:26

3-طه: 124

4-التعبير القرآني : ص 198

في طه، و إنما أجل العقاب إلى يوم القيامة "...بخلاف ما في سورة السجدة فإنه أخر الأمر إلى يوم القيامة. وقد قال قبل هذه الآية "عن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون"[1] فجاء بالفاء في طه لأنها تفيد التعقيب وجاء بالواو في السجدة"[2]

ومن هذا التقابل و التشابه و الاختلاف في استعمال حروف العطف ما جاء في سورة هود : فقال تعالى "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ"[3] وقال " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا"[4] في حين قال في سيدنا صالح "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا..."[5] وقال في قصة لوط " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا"[6] ، فالتشابه بين هذه التعابير واضح، وكذلك اختلاف حروف العطف واضح، فقد استعمل حرف (الواو) في قصة سيدنا (هود) وقصة سيدنا شعيب، فكان ذلك حسب تفسير السامرائي مناسبا جدا لتأخير وقت العذاب عن وقت الوعيد "فإن في قصة هود" فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ"[7] وفي قصة شعيب "سَوْفَ تَعْلَمُونَ"[8] والتخويف قارنه التسويف فجاء بالواو المهملة"[9] أما قصة سيدنا صالح وقصة سيدنا لوط فقد جاء بالفاء وذلك لمجيء العقاب

1- السجدة:25
2- التعبير القرآني : ص 198
3- هود:58
4- هود:94
5- هود:66
6- هود:82
7- هود:57
8- هود:93
9- التعبير القرآني: ص 199

عقب الوعيد مباشرة "وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقب الوعيد فإن في قصة صالح " تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ"[1] وفي قصة لوط "أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ"[2] فجاء بالفاء للتعجيل والتعقيب"[3] ومن ذلك قوله تعالى" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا"[4] فقال هنا (فأعرض) و قال في السجدة " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثم أَعْرَضَ عَنْهَا"[5] فجاء ب(ثم) (ثم أعرض) فالاختلاف في هذين التعبيرين له سببه عند السامرائي ، فاستعمال (الفاء) في الكهف لدلالة على أن الإعراض وقع مباشرة عقب التذكير، و السياق يدل على ذلك "...قوله تعالى في آية الكهف " وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ "[6] وقوله" إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً"[7] وهذا الوصف مما يسرع في إعراضهم"[8] أما في السجدة فهناك تراخي "وليس الأمر كذلك في آية السجدة ، فناسب ذلك ذكر الفاء في آية الكهف لدلالتها على الترتيب و التعقيب و(ثم) في آية السجدة لدلالتها على التراخي"[9]

2-حروف النفي:

من ذلك ما ذكره السامرائي من تشابه واختلاف بين آية الجمعة التي يقول فيها تعالى " وَلَا

1-هود:65
2-هود:81
3-التعبير القرآني: ص 199
4-الكهف:57
5-السجدة:22
6-الكهف:57
7-الكهف:57
8-التعبير القرآني : ص 199-200
9- نفسه: ص 200

يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"[1] وآية البقرة " وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "[2] فقال في الأولى (ولا) وقال في الثانية (ولن)، فبين السامرائي مناسبة كل (حرف) لسياقه إذ جاءت (لا) وهي حرف يفيد الإطلاق و العموم في زمن مطلق غير مقيد " قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"[3] وجاءت (لن) هي الأخرى مناسبة لزمن الاستقبال (الآخرة) " قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "[4] "و أنت ترى الفرق واضحا بين السياقين ، فإن الكلام في الاية الثانية على الاخرة (قل إن كانت لكم الدار الاخرة ..." و الدار الاخرة استقبال ، فنفى ب (لن) إذ هو حرف خاص بالاستقبال"[5]

ومن ذلك أيضا ما ذكره السامرائي في باب التوكيد ب (إن و إلا) و (ما و إلا) نحو قوله تعالى "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ....إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[6] وقوله تعالى "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا.... فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[7] فقال في الأولى "إن هذا إلا أساطير الأولين"

1-الجمعة:07
2-البقرة:95
3-الجمعة:06-07
4-البقرة:94-95
5-التعبير القرآني: ص 202
6-الأنعام:25
7-الأحقاف:17

فكانت (إن) حسب تفسير السامرائي ملائمة لقوة وشدة التكذيب الذي يدل عليه السياق، فقد قال فيه: 1-وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه 2-و في آذانهم وقرا -3-وذكر أنهم إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها. أما (ما) فهي مناسبة أيضا لسياق أقل درجة في التكذيب "فأنت ترى أن درجة التكذيب أشد مما في الآية الأخرى، لأن الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والإنكار كانت في المكذبين الأولين أشد و أكثر ، ولذلك أكد النفي فيها ب(إن) بخلاف الثانية"[1] ، ومثله قوله تعالى " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ"[2] وقوله " وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ"[3] فجاءت في الآية الأولى "ماهي إلا حياتنا الدنيا" وجاءت في الثانية "إن هي إلا حياتنا الدنيا" فذهب السامرائي إلى أن التكذيب في الثانية أقوى و أشد من الأولى وهو المناسب لاستعمال (إن) بدلا من (ما) وهو ما ظهر في سياق الآية:

1-التعبير القرآني: ص 149

2-الجاثية:24

3-المؤمنون:33-38

1-إسناد التكذيب إلى الكفرة صراحة، مضيفا عليهم صفات تزيد في تكذيبهم في حين أسند التكذيب في الأولى إلى الضمير :(وقالوا) .

2-المجادلة في صدق الرسل,

3-السخرية من الوعد بالحياة الأخرى.

4-الاستبعاد المؤكد (هيهات هيهات لما توعدون).

5-ثم ختموا تكذيبهم وإنكارهم بقولهم "إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا و ما نحن له بمؤمنين".....

لهذا كله رأى السامرائي أن كل هذا التكذيب و الإنكار ما يناسبه إلا النفي ب (إن)، بخلاف سياق الآية الأخرى التي ناسبها هي كذلك النفي ب (ما) يقول "فكان طبيعيا أن يكون إنكارهم أشد و آكد مما في الآية الأولى، ولذا جاء ب (إن و إلا) وهو المناسب للسياق بخلاف الآية الأخرى ، فإنه جاء ب(ما و إلا) لأنه أقل توكيدا..."[1]

3-حروف الجر:

ومن النماذج التي جاء بها السامرائي في حروف الجر قوله تعالى "قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[2] وقوله" قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا

1-التعبير القرآني : ص 151

2-البقرة:136

أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[1] فقال في البقرة "وما أنزل إلينا " وقال في آل عمران "وما أنزل علينا" فجاء في تفسير السامرائي أن كل حرف متناسقا مع بداية الآية وسياقها، ففي آية البقرة خطاب للمسلمين فجاءت (إلى) لأن الوحي قد نزل إليهم ولم ينزل عليهم "قولوا آمنا بالله" "...فلما كان (قولوا) خاصا لغير الأنبياء وكان لأممهم كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على) "[2] أما أية آل عمران ففيها خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم "قل آمنا بالله و ما أنزل علينا" فجاءت (على) مناسبة جدا للخطاب لأن الوحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم "...كانت (على) أحق بهذا المكان لأن الوحي أنزل عليه..."[3] ومثل هذا التشابه و الاختلاف في استعمال الحرف قوله تعالى " إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا"[4] وقف السامرائي عند قوله "يشربون من كأس" وقوله "عينا يشرب بها" فوجد أن كل حرف قد ورد في سياقه الخاص به فالأول هو في صنف الأبرار، أما الثاني فهو في صنف أعلى درجة وهو "عباد الله" "و ذلك أن قوله "يشرب بها" يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها من قولك "نزلت بالمكان" فهو يدل على القرب و الشرب ، فالتمتع حاصل بلذتي النظر و الشراب، بخلاف الأول"[5]

1-آل عمران:84
2-التعبير القرآني : ص 207
3-نفسه : ص 207
4-الإنسان: 5-6
5-التعبير القرآني: ص 210

فهناك حسب تقدير السامرائي اختلاف في استعمال الحرفين، لاختلاف الصنفين و اختلاف النعيمين، فقد قال في الأبرار "إنهم يشربون من كأس" وذكر أن هذه الكأس ليست خالصة بل ممتزجة. أما "عباد الله" فهم يشربون خالصة من العين ، ولم يقل (يشرب منها) أي يرتوون منها إضافة إلى لذة القرب و التمتع.

ونظير هذا ما جاء في سورة المطففين " إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ"[1] فقال "يسقون من رحيق مختوم" وهو جزاء الأبرار، ثم قال "عينا يشرب بها المقربون" وهو جزاء السابقين المقربين فبين السامرائي مرة أخرى دقة اختيار التعبير القرآني لحرفي الجر (من) و (ب) فجاء كل حرف في موضعه المناسب "فانظر كيف قال في نعيم الأبرار "يسقون من رحيق مختوم...ومزاجه من تسنيم" أي أنهم يسقون من رحيق ممزوج بالتسنيم، و التسنيم أعلى شراب في الجنة وهو يمزج لهم بحسب أعمالهم في حين قال "عينا يشرب بها المقربون" أي إن المقربين يشربون من عين التسنيم خالصة..."[2]

1-المطففين:18-28

2-التعبير القرآني: ص 212

الفصل الثالث:

التفسير التركيبي

تمهيد:

1: عناية الدارسين بالتركيب:

بعدما رأينا في الفصلين السابقين اعتماد السامرائي على الكلمة القرآنية داخل سياقها في تفسيره البياني، سواء من ناحية البنية أو المعنى، سنحاول في هذا الفصل الوقوف على كيفية توظيف السامرائي للتركيب القرآني، و ما يعتريه من تغيرات و إلتواءات في تفسيره ولكن قبل الشروع في هذا العمل التطبيقي، وددنا معرفة مفهوم بعض الدارسين للتركيب ومعرفة مدى استفادة السامرائي من هؤلاء، و الوقوف عند الإضافات إن وجدت في دراساته وتفسيراته.

إذا ما عرجنا على النحويين العرب الأوائل فإننا نجد حديثهم عن التركيب يندرج ضمن حديثهم عن المسند و المسند إليه، فسيبويه تحدث عن علاقة المسند و المسند إليه في كتابه، و أكد على عدم استغناء أحدهما عن الآخر يقول "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، و لا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك، و هذا أخوك، و مثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"[1]

أما حديث البلاغيين عن التركيب فهو حديثهم عن النظم الذي برز خلال بحثهم عن سر إعجاز القرآن الكريم ، و لعل الجاحظ هو أول المتكلمين عن النظم في كتابه المفقود

1-سيبويه، الكتاب ،ج1 ، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة،1988: ص 23.

"نظم القرءان" كما تكلم عنه في البيان و التبيين مثل قوله "و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، و سبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان"[1] ، ويقول أيضا " إذا كان الشعر مستكرها، وكانت البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينهما من التنافر ما بين أولاد علات و إذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة"[2] . وبعد الجاحظ جاءت ثلة من العلماء ذهبوا كلهم إلى أن القرآن الكريم معجز بنظمه، مثمنين أفكار الجاحظ معتمدين في أغلب دراساتهم على مقارنة النظم البشري بالنظم القرآني وهم : الخطابي و الباقلاني و القاضي عبد الجبار، أما عبد القاهر الجرجاني فقد استفاد من كل هؤلاء فصاغ آراءهم في شكل نظرية واضحة المعالم، نقلها من حيز التنظير إلى حيز التطبيق و الإجراء. لقد شبه الجرجاني نظم الألفاظ بالتأليف و الصياغة والبناء و الوشي، و ربطه بترتيب المعاني في النفس "...وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس فهو إذا نظم يعبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، و ليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء و اتفق، و لذلك كان عندهم نظيرا للنسج و التأليف و الصياغة والبناء و الوشي و التحبير، و ما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض..."[3]

1-الجاحظ ،البيان و التبيين، ت عبد السلام محمد هارون ،ج1 ،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط7 ، 1998 : ص 67

2-نفسه : ص 67

3-الجرجاني ، دلائل الإعجاز: ص 54

وقد جعل الجرجاني علم النحو المعول عليه في هذا النظم، وهذا الترتيب بحيث لا يكون النظم صحيحا مقبولا إلا إذا تعلق الكلم بعضه ببعض، و كان أحده سببا للأخر "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل شيئا منها"[1] ، وأشار الجرجاني إلى أن الناظم باعتماده على قوانين النحو و مناهجه له فرصة التعبير بأي وجه من الوجوه شاء، مشيئة تحددها الضرورة ، و الموضع المناسب يقول "وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد"....فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي"[2]

وبهذا و غيرها من النصوص وما أكثرها يكون الجرجاني تناول التركيب بدقة و شمولية من سابقيه ، إن لم نقل و لاحقيه لأن الدراسات التي تلت ما جاء به الجرجاني وحتى الدراسات المعاصرة لا تزال تدور في فلك نظرية الجرجاني.

أما الدراسات الغربية للتركيب فقد تقاطعت في الكثير من النقاط مع ما جاءت به نظرية النظم العربية، فدي سوسير قد أعطى للدلالة أهمية في التركيب، و الذي ينشأ من تعاقب وحدتين أو أكثر، تجمع بينهما علاقات نحوية وصرفية، كما نبه إلى صفة الخطية

1-الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص 86

2-نفسه : ص 66

التي تتميز بها اللفظة، والتي تصبح ذات قيمة إلا إذا وجدت مع عناصر أخرى ،أما تشومسكي فقد اهتم بالتركيب اهتماما خاصا، فاهتم بالبنى التركيبية المختلفة التي تحملها الجملة، و رأى أن وظيفة التركيب هي "تأدية الحساب على البنية الداخلية للجمل، فالكلمات و المرفيمات تتألف في مؤلفات وظيفية ، كموضوع الجملة و المحمول و المفعول"[1] وغيرها من الآراء العربية و الغربية والتي تجمع كلها على أن التركيب هو نسج الكلمات مع بعضها البعض، بطريقة معينة، يختارها الناظم من أجل الإفصاح عن ما يجول بخاطره بدقة. لذلك نجد دراسة التركيب ذات أهمية قصوى عند الدارسين و المهتمين، لما لها من دور في إبراز براعة ورفعة التعبير، و في البحث عن الدلالات و المقاصد المرجوة منه.

ولعل فاضل السامرائي من الباحثين و المهتمين المعاصرين بالتركيب عامة والتركيب القرآني بخاصة، إذ وجدناه من خلال بحثنا قد تناوله تناولا نظريا و تطبيقيا إجرائيا ، معتمدا عليه في تفسيره البياني اعتمادا واضحا ، يقينا منه أن دراسة التركيب و الاهتمام بمسائله ذات قيمة كبيرة، وبها يتم التفاضل بين تركيب و آخر ، و بها تعرف الدلالات و المقاصد وقد بدا السامرائي في تناوله للتركيب متأثرا تأثرا كبيرا بعبد القاهر الجرجاني في الكثير من المسائل.

1-جون سيرل (ثورة تشومسكي في مجال اللغة) ،تر الطاهر قبية، مجلة الجامعة المغاربية العدد 8-9 : ص 126.

1- الجملة القرآنية عند السامرائي:

لقد أولى السامرائي الجملة عناية فائقة، فألف حولها كتاب "الجملة العربية تـــأليفها وأقسامها" وكتاب ثاني عنونه "الجملة العربية و المعنى" إضافة إلى كتاب "معاني النحو" في جزئين كما جعل من الجملة و ما يعتريها من تغيرات قاعدة أو منطلقا يعبر من خلاله إلى الدلالات و المعاني القرآنية في كتبه التفسيرية.

لم يختلف مفهوم الجملة عند السامرائي عن ما جاء في التراث النحوي العربي، إذ يقول "تتألف الجملة من ركنين أساسين هما المسند و المسند إليه و هما عمدتا الكلام، و لا يمكن أن تتألف الجملة من غير مسند و مسند إليه...."[1] ، و يشترط السامرائي في الجملة الإفادة و تأدية معنى ما، و إلا تكون عبثا " فلو قلت"ما خالد منطلقا أبوك" أو "سوف محمد حضر" لم يفد ذلك شيئا ، فلابد إذن أن تؤدي الجملة معنى، و هذا المعنى الذي تؤديه الجملة ينبغي أن يتصف بأمور ليصبح الكلام الذي يؤديه مقبولا ..."[2]

نظر السامرائي إلى علم النحو نظرة جديدة، حيث ألح في العديد من نصوصه على إعادة النظر فيه، إذ يراه قد اهتم بالقواعد النحوية و الظواهر العامة، و أهمل في العديد من المرات المعنى، و عجز في مرات أخرى على إعطاء التفسيرات يقول " و هناك موضوعات

1-السامرائي، الجملة العربية تأليها و أقسامها، دار الفكر ، ط 2، الأردن 2007: ص 13.

2-السامرائي، الجملة العربية و المعنى،دار بن حزم، ط1، بيروت ، 2000 : ص 7.

و مسائل نحوية كثيرة لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة بل قد تفوق كثيرا منها لا تزال دون بحث ، لم يتناولها العلماء بالدرس و يولوها النظر"[1]

لقد جعل السامرائي من المعنى أساس علم النحو، لذلك عزم البحث في هذا المجال والتعمق فيه، لأنه يرى أننا لا نزال نجهل الكثير من لغتنا، بسبب اكتفائنا بالتعليلات النحوية الظاهرة، أما المعنى فهو بعيد عن تناولنا، و فهمنا "قد أبدوا مغاليا في هذا الزعم، ولكن هذا الزعم حقيقة إننا نعجز عن فهم كثير من التعبيرات النحوية ، أو تفسيرها و لا نستطيع التمييز بين معانيها ... ما الفرق في المعنى بين قولك (ليس محمد حاضرا) و (ما محمد حاضرا) و (إن محمد حاضرا) أقول ما الفرق في المعنى و ليس في الإعراب ؟"[2] ، ومن أجل ذلك كله فهو يقترح ضرورة وجود ما أسماه ب"فقة النحو" الذي يهتم بالبحث عن التفسيرات والتعليلات للعديد من التعابير اللغوية، التي تبدوا لنا متشابهة،و الذي يكسب النحو العربي طعما جديدا و ذوقا مخالفا لما كان عليه "و من هنا نحن محتاجون إلى (فقه) النحو يصل إلى درجة الضرورة...إن دراسة النحو على أساس المعنى علاوة على كونها ضرورة فوق كل ضرورة تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، و تكسبه جدة و طرافة بخلاف ما عليه الآن من جفاف وقسوة"[3] .

1-السامرائي، معاني النحو، ج1: ص 5.
2-نفسه: ص 05
3-نفسه: ص 08

وبغية تحقيق هذه الغاية ألف السامرائي كتابه "في معاني النحو"المؤلف من جزئين أمضى فيهما أكثر من عشرة أعوام، يتأمل النصوص ، و يديم النظر فيها، و يوازن بينها ليصل إلى ما تحمله من معاني محتملة ، فكان القرآن الكريم هو منهله، و مصدره الذي لم يبخل عليه بالعطاء المتدفق، يفهرس آياته حسب الحاجة، إضافة إلى كتب النحو و البلاغة و التفسير، فجعل من "فقه النحو" هدفه و مبتغاه في هذين المؤلفين، بل كان الخيط الخفي الذي يسري في كتبه التفسيرية أيضا؛ بحيث لم يكن يكتفي بوصف الظواهر و الفروق اللغوية النحوية، بل كان يبحث عن التعليلات و التفسيرات التي تقوده للمعاني و المقاصد يقول "وأما هذا الموضوع فليس الأمر فيه أمر جمع أحكام نحوية، و لا ذكر قواعد هينة، و إنما هو تفسير للجملة العربية ، وتبين المعاني، و التراكيب المختلفة، مما لا تجد أغلبه في كتب النحو، و قد تفزع إلى كتب البلاغة، و التفسير و غيرها من المظان فلا تجد شيئا مما تريد"[1]

لقد كان منهج السامرائي واضحا مشتركا بين كل مؤلفاته يعمد فيه إلى الموازنة بين الأوجه التعبيرية المتعددة، و التي تبدوا لنا أنها تعابير متشابهة، تؤدي المعنى ذاته إيمانا منه أن كل تعبير يختلف عن غيره مبنى و معنى، و أن كل تغيير في بناء الجملة يؤدي حتما إلى التغيير في المعنى ، و هذا سبب شساعة اللغة العربية و تميزها بين لغات العالم "إن

1-السامرائي، معاني النحو. ج1 : ص 09

الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها كما يتصور بعضهم ... إن كل عدول من تعبير إلى تعبير، لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة"[1] ، هذه الأوجه التعبيرية وقف عندها السامرائي وقوفا واضحا، محللا و معللا، وجاعلا منها أداة من أدوات التفسير البياني الذي تبناه، كما سنبين في هذا الفصل.

أولا- التقديم و التأخير :

الجملة في العربية ركنان أساسيان مسند و مسند إليه، إضافة إلى الفضلة، وقد جعل النحاة لكل ركن رتبة خاصة به ، مما جعل الكلام مرتبا و أصلا، أما إذا ما غيرت في هذه الرتب فقد خرجت من الأصل إلى باب التقديم و التأخير، وهو باب خاض فيه الكثير من النحاة و البلاغيين نحو عبد القاهر الجرجاني الذي أولاه عناية خاصة يقول فيه"هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه و يفضي بك إلى لطيفه و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، و لطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[2]

ذهب الجرجاني إلى ضرورة البحث و الكشف عن أسباب التقديم و التأخير وعدم

1-السامرائي، معاني النحو، ج1 : ص 09

2-الجرجاني. دلائل الإعجاز: ص 94

الاكتفاء بالقول لمجرد العناية و الاهتمام، فعاب على سيبويه قوله في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى المفعول "كأنهم(إنما) يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، و إن كان جميعا يهمانهم و يعنيانهم"[1] ، ودعا إلى تبيان أسباب هذه العناية وهذا الاهتمام ، حتى تتجلى الغاية من التقديم و التأخير "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال أنه قدم للعناية، و لأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ و بما كان أهم؟ ..."[2]

لقد تبنى السامرائي دعوة الجرجاني هذه ، و عمل على تحقيقها فجعل من سبب التقديم و التأخير في التعبير القرآني غايته و هدفه، يقول عن الجملة"و الأصل في الجملة التي مسندها اسم أن يتقدم المسند إليه نحو (أخوك قادم) و لا يتقدم المسند إلا لسبب ...والأصل في الجملة التي مسندها فعل أن يتقدم الفعل نحو (يقدم أخوك)، و لا يتقدم المسند إليه إلا لسبب"[3] ، و يقول أيضا "...فقد دخلت في باب التقديم و التأخير، و لابد أن تكون فعلت ذلك لسبب اقتضاه المقام، ويدخل ذلك في باب العناية و الاهتمام الذي تتعدد أسبابه و أنواعه"[4]

لقد بحث السامرائي عن أسباب التقديم و التأخير في كتبه النحوية و كتبه التفسيرية جاعلا من التعبير القرآني مثله الأعلى و النص الذي لا تنتهي عجائبه، كيف لا و هو الذي

1-سيبويه، الكتاب ،ج1، ط3: ص 34
2-الجرجاني ، دلائل الإعجاز: ص 95
3-السامرائي، الجملة العربية تأليفها و أقسامها : ص 34-35
4-نفسه :ص 35

بلغ مرتبة الإعجاز،وقهر أعناق الجبابرة يقول عن التقديم والتأخير في القرءان الكريم " ولكن هذه هي الحقيقة تراها جلية، و اضحة في أفصح الكلام و أعلاه، أعني في كتاب الله تعالى فقد يأتي بالجملة على أصلها و قد يقدم الكلمة على الكلمة، و يقدمها على الكلمتين أويقدمها على الجملة كلها، و لكل ذلك سبب و قصد و إلا كان ضربا من العبث"[1]

قسم السامرائي أحوال التقديم و التأخير إلى قسمين، قسم يتم فيه تقديم اللفظ على عامله، و قسم ثان يتم فيه تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، لذلك سنعتمد هذا التقسيم من أجل بسط النماذج القرآنية ،و بسط تفسير السامرائي لها.

أ-القسم الأول: تقديم اللفظ على عامله:

هذا النوع من التقديم و التأخير كثير في اللغة العربية، و كثير في التعبير القرآني يتم فيه تقديم اللفظ على عامله، كتقديم المفعول به على فعله، و تقديم الحال على فعله، و تقديم الجار و المجرور على فعلهما، و تقديم الخبر على المبتدأ، و نحو ذلك، أما عن غرضه فقد أوعزه السامرائي إلى الاختصاص في الغالب، و إلى أغراض أخرى كالمدح، و الثناء والتعظيم و التحقير.

و سنأخذ بعض التعابير القرآنية كشواهد على اعتماد السامرائي للتقديم و التأخير في تفسيره البياني، وذلك مثل قوله تعالى " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"[2]

1-السامرائي، الجملة العربية تأليفها و أقسامها: ص 38

2-الفاتحة:06

ففي هذه الآية قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة، وقدمه كذلك على فعل الاستعانة والقصد من ذلك في تفسير السامرائي هو اختصاص الله سبحانه بالعبادة و الاستعانة وحده لا شريك له" و سبب ذلك أن العبادة و الاستعانة مختصتان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به..."[1] ، أما تفسيره لعدم تقديم مفعول الهداية في قوله " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" فلم يقل (إيانا اهد) هو عدم وجود الاختصاص في طلب الهداية "لأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص، إذ لا يصح أن تقول (اللهم اهدني وحدي و لا تهدي أحدا غيري..."[2]

ومثل هذا القول كثير و تفسير السامرائي هذا كثير هو كذلك نحو قوله تعالى " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا"[3] و سبب التقديم و التأخير في هذه الآية عند السامرائي هو وجود الاختصاص وعدمه فقدم الفعل (أمنا) على الجار و المجرور (به)، و أخر (توكلنا)عن الجار و المجرور (عليه) "وذلك أن الإيمان لما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله بل لابد معه من رسله و ملائكته و كتبه و اليوم الأخر ... بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله دون غيره غيره لا يملك ضرا و لا نفعا فيتوكل عليه"[4]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ"[5] فصيرورة الأمور إلى الله وحده

1-السامرائي، التعبير القرآني: ص 49
2-نفسه: ص 50
3-الملك: 29
4-السامرائي، التعبير القرآني: ص 50
5-الشورى :53

دون غيره ، لذلك قدم الجار و المجرور على الفعل (تصير) . وشبيه بهذا قوله تعالى " إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ"[1] فالدعاء و الإياب لا يكون إلا لله تعالى. و من ذلك تقديم الجار والمجرور على اسم الفاعل في قوله تعالى "إلا كانوا عنها معرضين"[2] ، و لم يقل "إلا كانوا معرضين عنها" "ليدل على أن الإعراض خاص بآيات ربهم فهم لا يطيقون سماع آيات ربهم ..."[3]

ومن أمثلة تقديم الخبر على المبتدأ لغرض الاختصاص قوله تعالى "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله"[4] " فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتيح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب، ألا ترى كيف أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال (لا يعلمها إلا الله)"[5]

وقال تعالى في سورة يس " وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[6] "فقدم الجار والمجرور (إليه) على (ترجعون) لقصد الاختصاص، و المعنى أن الرجوع إليه حصرا لا إلى غيره ..."[7] ففسر السامرائي آيات عدة تقدم فيها الجار و المجرور على الفعل بالاختصاص

1-الرعد:32
2-يس:46
3-السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 165
4-الأنعام:59
5-السامرائي، التعبير القرآني: ص51
6-يس:27
7-السامرائي، على طريق التفسير البياني،ج2: ص 71

إلا أنه ذكر غرض العناية و الاهتمام في تفسير بعض الآيات كقوله تعالى " لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ"[1] وقوله " لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا"[2] وقال في سورة (ق) "لهم ما يشاءون فيها و لدينا مزيد"[3] فقدم في الآيتين الأولى والثانية (فيها) على (ما يشاءون)، وقدم في الآية الثالثة (ق) (ما يشاءون) على (فيها) وكل ذلك في تفسير السامرائي قد اقتضاه المقام و الاهتمام بمدار الكلام؛ ففي سورتي النحل والفرقان يدور الكلام حول الجنة إذ قال تعالى في النحل " وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ"[4] وقال في الفرقان " أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا "[5] "فالكلام كما ترى على الجنة في الموطنين فقدم ضمير الجنة (فيها) على (ما يشاءون) "[6] أما في آية (ق) فقد قدم (ما يشاءون) على (فيها) وذلك في تفسير السامرائي لأن الكلام يدور حول من سيدخل الجنة إذ قال تعالى "هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ

1- النحل:31
2- الفرقان:16
3- ق:35
4- النحل:30-31
5- الفرقان:15-16
6- السامرائي، على طريق التفسير البياني،ج2: ص206

يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ"[1] "فالضمير في (يشاءون) كما هو معلوم يعود على من سيدخل الجنة فناسب كل تعبير مكانه"[2]

و من أمثلة تقديم الخبر على المبتدأ لغرض الاختصاص قوله تعالى " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ "[3] "فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتيح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب" ألا ترى كيف أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال (لا يعلمها إلا الله) "[4]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[5] فقدم (بيده) الخبر على المبتدأ (ملكوت كل شيء) لإفادة القصر أو الحصر، كما هو موضح في تفسير السامرائي "فإن ملكوت كل شيء بيده هو حصرا ليس لآخر فيه نصيب و لا بيده شيء، فإن كل يد غير يده صفر"[6] أما قوله تعالى " وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ"[7] ففيه تقديم الخبر (آية) على المبتدأ (الأرض)، وفيه ذهب السامرائي

1-ق:32-35
2-السامرائي، على طريق التفسير البياني،ج2 :ص206
3-الأنعام:59
4-السامرائي، التعبير القرآني: ص 51
5-يس:83
6-السامرائي،على طريق التفسير البياني.ج2 ص 216.
7-يس:33

إلى أن القصد من هذا التقديم هو العناية و الاهتمام بمدار الكلام "وذلك لأن الكلام على العلامات الدالة على قدرته و ليس الكلام على الأرض، و قد ساق الليل و النهار و الشمس و القمر دلائل على قدرته و ليس لذاتها"[1]

وقد ذكر السامرائي أن غرض الاختصاص هو أكثر الأغراض و المقاصد من وراء التقديم والتأخير، إلا أن هذا لا ينفي وجود أغراض أخرى مثل المدح في قوله تعالى " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ"[2] " فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحا و إنما هو من باب المدح و الثناء"[3]

ب- القسم الثاني: تقديم اللفظ و تأخيره على غير عامله:

اهتم السامرائي بظاهرة التقديم و التأخير في القرآن الكريم بجميع أنواعها ، فرأيناه في القسم الأول يقف عند تقديم اللفظ على عامله، باحثا عن الأسباب و المقاصد، كما وقف أيضا عند تقديم الألفاظ بعضها على بعض من غير عامل، مشيرا بذلك إلى دقة اختيار القرآن الكريم في ترتيب ألفاظه بما يتناسب مع المقام وسياق الكلام "إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ و رصفها بجنب بعض، دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم و التأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك ، كل ذلك مراعى فيه

1-السامرائي، على طريق التفسير البياني ،ج2 : ص 121.
2-الأنعام:84
3-السامرائي، التعبير القرآني: ص 51

سياق الكلام و الاتساق العام في التعبير على أكمل وجه و أبهى صورة ..."[1]

ذهب السامرائي إلى أن تقديم الألفاظ له أسبابه ومقاصده التي تحتاج من المفسر البياني والدارس الاهتمام، و البحث ، فقد ذكر في كتابه التعبير القرآني و كتبه التفسيرية جملة من المقاصد نجملها في النقاط التالية:

1-التدرج حسب القدم و الأولوية في الوجود

2-حسب الفضل و الشرف

3-حسب الرتبة

4-حسب الكثرة و القلة

5-وقد يكون التقديم و التأخير لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق، فتراه يقدم لفظة في موضع و يؤخرها في موضع آخر حسب ما يقتضي السياق.

و لتوضيح كل ذلك سنعرض بعض النماذج القرآنية و نعرض معها تفسير السامرائي لهذا النوع من التقديم و التأخير.

1- ذكر السامرائي مجموعة من التعابير القرآنية قدم فيها لفظ على لفظ حسب القدم والأولوية في الوجود " فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا ..."[2] من ذلك قوله تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[3] فقدم الجن على

1- التعبير القرآني: ص53

2-نفسه :ص 53

3-الذاريات:56

الإنس و ذلك لأن خلق الجن قبل الإنس بدليل قوله تعالى " وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ"[1] "فذكر الجن أولا ثم ذكر الإنس بعده "[2]

ونحو قوله تعالى " لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" [3] فبدأ بالسنة ثم النوم "لأن السنة و هي النعاس تسبق النوم..."[4] ومن ذلك أيضا تقديم عاد على ثمود لأن عاد أسبق من ثمود " وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ"[5]

2-مجموعة أخرى من التعابير القرآنية جعل السامرائي الفضل و الشرف غرضا و سببا للتقديم فيها منها قوله تعالى " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا"[6] فذهب السامرائي إلى أن ترتيب هذه الآية بدأ بالله سبحانه و تعالى، ثم الرسول ثم ترتيب السعداء من الخلق بحسب الفضل و الشرف "فقدم الله على الرسول ثم قدم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم فبدأ بالأفضلين وهم النبيون ثم ذكر من بعدهم بحسب تفاضلهم..."[7]

1-الحجر:27

2-التعبير القرآني: ص53

3-البقرة:255

4- التعبير القرآني:ص53

5-العنكبوت:38

6-النساء:69

7- التعبير القرآني: ص 54

ومن ذلك أيضا تقديم السمع على البصر لأنه أفضل منه وذكر عددا من الآيات منها " وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[1] وقوله " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" [2] ومن ذلك ما ذكره في تفسير آية يس " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[3] فرأى السامرائي أن تقديم (إنك لمن المرسلين) على (صراط مستقيم) راجع إلى أن كونه من المرسلين، أفضل من كونه على صراط مستقيم "لأن كونه مرسلا يعني أنه على صراط مستقيم وأنه نبي..."[4] ، ومثل هذا التفسير وجدناه في آية أخرى من سورة يس يقول فيها "وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ"[5] فجعل السامرائي من تفاضل النخيل و العنب سببا في تقديم النخيل على العنب "...فإن فوائد النخلة كثيرة، و لا يخلوا أي جزء منها من فائدة، و لا تقاس شجرة العنب بالنخلة من حيث الفائدة، فشجرة العنب ضئيلة الفائدة بخلاف ثمرها"[6] ، أما عن تقديم العنب على النخيل في سورتي عبس و الرعد، فقد أرجعه السامرائي إلى مناسبة السياق ومدار الحديث.

1-الشورى :11
2-الإنسان:2
3-يس:3-4
4- على طريق التفسير البياني ، ج2 : ص 10
5-يس:35
6- على طريق التفسير البياني، ج2: ص 122

3-التقديم و التأخير بحسب الرتبة أخذ حيزا أوفر في تفسير السامرائي للتعابير القرآنية نحو قوله تعالى " وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ"[1] فترتيب كلمات هذه الآيات حسب تقدير السامرائي خاضع لمبدأ الرتبة في الإيذاء، فتدرج القول من المؤذي إلى الأكثر إيذاء "فبدأ بالهماز و هو الذي يعيب الناس و هذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة، ثم انتقل إلى مرحلة أبعد في الإيذاء و هو أنه يمنع الخير عن الآخرين...ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها في الاعتداء، فإن منع الخير قد لا يصحبه اعتداء أما العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء، ثم ختمها بقوله (أثيم)، و هو وصف جامع لأنواع الشرور..."[2].

و من هذا القبيل ما ذكره في "على طريق التفسير البياني" حول قوله تعالى " بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ"[3] فتقديم الشفاعة على القدرة جعله السامرائي من باب الترتيب الطبيعي "فإن من استعان بشخص على آخر يشفع أولا عنده، فإن لم يجد ذلك نفعا لجأ إلى القوة و ليس العكس "[4] ، و من ذلك تقديم النهي عن عبادة الشيطان على الأمر بعبادة الله في قوله تعالى " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ

1-القلم: 10-12

2- التعبير القرآني : ص 56

3-يس: 23

4- على طريق التفسير البياني، ج2: ص 85

اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"[1] و الذي أرجعه السامرائي إلى الأسباب التالية:

1-أن عبادة الشيطان تفسد عبادة الله

2-أن عبادة الشيطان مع عبادة الله تضر، وعبادة الله مع عبادة الشيطان لا تنفع

3-أن ترك عبادة الشيطان من باب دفع الضرر و أن عبادة الله من باب جلب المنفعة ودفع الضرر إلا أنها لا تنفع إذا لم تترك عبادة الشيطان.

4-أن تنفيذ النواهي أيسر من تنفيذ الأوامر.

5-أنك إذا وجدت إنسانا ضالا على الطريق، فإنك لابد أن توقفه ثم تعيده إلى الطريق المستقيم، و عبادة الشيطان ضلال فلابد من تركها أولا ليخلو القلب إلى الله.

6-ومنها أنه وجد أكثربني آدم يعبدون الشيطان فنهاهم عن ما هم فيه، لتستقيم عبادتهم لله .

ومنها قوله تعالى " فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ"[2] فتقديم السر على الإعلان و هو كذلك راجع لسبب الرتبة و الأسبقية إذ يقول السامرائي "و قد قدم السر على الإعلان، قيل لأن مرتبة السر مقدمة على مرتبة العلن، لأن السر يسبق الإعلان...وقيل إن العلم بالسر يدل على الإحاطة بالمعلومات، فمن كان يعلم السر فهو يعلم العلن من باب أولى"[3] وقد أشار السامرائي إلى أنه قد تقدم الجهر على السر أو الإخفاء في مواضع أخرى

1-يس: 60-61

2-يس:76

3- على طريق التفسير البياني، ج2: ص 265

حسب ما يقتضيه المقام و السياق، كما أشار إلى ملحوظة أخرى تخص تقديم الجهر على الإخفاء أو العكس، مفادها أن ذكر المنافقين أو الكفار يصحبه تقديم الإخفاء على الجهر في حين يصحب ذكر المؤمنين تقديم الإبداء على الإخفاء، ومثل ذلك قوله تعالى " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ"[1] فبدا هذا الترتيب منطقي للسامرائي لأنه بدأ بإثبات (الأحدية)، و هي رأس المسائل الإعتقادية في الإسلام، ثم إثبات (الصمدية) ثانيا "...والتوحيد مقدمة لما بعده فمن آمن بالله وحده، و كفر بما عاداه آمن بأنه الصمد... فبدأ بما هو أولى، و ما تقديمه طليعة الاعتقاد و الترتيب منطقي" [2]

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكوثر " فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ"[3] فقدم الصلاة على النحر، فكان لذلك تفسير عند السامرائي نجمله في النقاط التالية :

1-أن الصلاة أهم من النحر و أكبر عند الله.

2-أن الصلاة أعم من النحر و القيام بها أكثر من النحر.

3-أن الصلاة حق الله وأن النحر حق العباد و حق الله مقدم على حقوق العباد.

وبهذا بين السامرائي أن رتبة الصلاة أعلى و أولى من رتبة النحر لذلك كان تقديمها أحق

1-الإخلاص:1-2

2- على طريق التفسير البياني، ج1: ص 57

3-الكوثر:02

من كل الجوانب. و قال الله تعالى في سورة الإنسان " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا"[1] فعلل السامرائي تقديم المسكين على اليتيم، و تقديم اليتيم على الأسير باختلاف رتبهم "قدم المسكين على اليتيم لأن المسكين محتاج على الدوام، و إطعامه قد يكون على الوجوب، و قد يكون على التطوع، فهو من الأصناف المذكورة في مصاريف الزكاة ، أما اليتيم فقد يكون محتاجا، و قد يكون غنيا بخلاف المسكين، ولذا لم يدخل فيمن تصرف إليهم الزكاة أما الأسير فإنه يكون كافرا"[2] ففسر السامرائي التقديم و التأخير في هذه الآية باختلاف الرتبة من ناحية، و حسب القلة و الكثرة من ناحية أخرى، وحسب القدرة على التصرف من ناحية ثالثة.

4-التدرج من القلة إلى الكثرة أو من الكثرة إلى القلة، سبب أخر من الأسباب التي ذكرها السامرائي التي لتفسير تقديم كلمة على أخرى، مثل ما ورد في قوله تعالى " أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[3] فترتيب هذه الطوائف أو الأصناف من العباد خاضع لمبدأ الترتيب من القلة إلى الكثرة حسب ما ورد في تفسير السامرائي " ...فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة ، و العكوف يكون في المساجد عموما. والعاكفون أقل من الراكعين، لأن الركوع أي: الصلاة تكون في كل أرض طاهرة ، أما

1-الإنسان:08

2- على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 169

3-البقرة:125

العكوف فلا يكون إلا في المساجد، و الراكعون أقل من الساجدين، و ذلك لأن لكل ركعة سجدتين، ثم أن كل راكع لا أن يسجد و قد يكون سجود ليس له ركوع..."[1] ومثل هذا ما ورد في تفسير السامرائي لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[2] فتدرج من الأقل إلى الأكثر، و الأعم من الأعمال "فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود، و هو أكثر، ثم عبادة الرب و هي أعم، ثم فعل الخير"[3]

و كذلك تقدم الكافر على المؤمن في سورة التغابن " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[4] جعله السامرائي من باب تقديم الكثرة على القلة، لأن الكفار أكثر من المؤمنين، و نحوه قوله تعالى"ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"[5] "فقدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين و هم أقل"[6]

أما قوله تعالى في سورة الناس " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ"[7] ففيه تدرج من

1- التعبير القرآني: ص 57
2-الحج:77
3- التعبير القرآني : ص58
4-التغابن:02
5-فاطر:32
6- التعبير القرآني:ص59
7-الناس:1-3

القلة إلى الكثرة، و ضحه السامرائي بقوله "وقد تدرج في مجموعة الناس من القلة إلى الكثرة ذلك أن ناس الملك أكثر من ناس المربي، و ناس الإله أكثر من الملك ،فإن ناس الإله هم كل الناس بخلاف الملك..."[1]

5-لقد ذكر السامرائي هذه الأسباب و المقاصد للتقديم و التأخير، إلا أنه ذهب إلى أن التقديم والتأخير قد يكون لأسباب و ملاحظ أخرى، لا تشكل قاعدة إنما تكون حسبما يقتضيه المقام و السياق "وقد يكون التقديم و التأخير لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق فنراه يقدم لفظة في موضع، و يؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضيه السياق"[2] ، مثل السامرائي لذلك بمجموعة من التعابير القرآنية، نحو ما جاء في تقديم (الضرر) على (النفع) أوالعكس فقد تقدم النفع على الضرر في قوله تعالى " قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ"[3] لتقدم ما يتضمن النفع و تأخر ما يتضمن الضرر " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[4] وقوله " وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ"[5]. أما في سورة يونس فقد تقدم الضرر على النفع، لتقدم ما يناسب الضرر فقال تعالى

1-على طريق التفسير البياني، ج1: ص 49
2- التعبير القرآني : ص 59
3-الأعراف:188
4-الأعراف:178
5-الأعراف:188

" وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ"[1] وقال أيضا " وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ"[2] فتقدم الضرر على النفع، و كان مناسبا لما تلاه في قوله " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ"[3] بين السامرائي مناسبة تقديم الضرر على النفع في هذه السورة "فكان المناسب تقديم الضرر على النفع ههنا"[4] .

ومن ذلك أيضا تقديم الرحمة على العذاب، أو العكس، فقد أشار السامرائي إلى أن القرآن يقدم الرحمة غالبا نحو قوله " يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ"[5] وقوله " إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ"[6] وقوله " غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ"[7] "...ويقدم العذاب أحيانا في مواضع اقتضت الحكمة و السياق ذلك، كتقديم العذاب للترهيب و الزجر نحو ما ورد في سورة المائدة " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[8] فقدم العذاب على المغفرة "لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق و المحاربين و السراق فكان المناسب تقديم ذكر العذاب..."[9]

1-يونس:11
2-يونس: 12
3-يونس:50
4-السامرائي، التعبير القرءاني:ص 60
5-المائدة:18
6-فصلت:43
7-غافر:3
8-المائدة:40
9-السامرائي، التعبير القرءاني:ص 61

ومثل هذا ما ورد في سورة الإخلاص " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ"[1] حيث قدم (لم يلد) على (لم يولد) مع أن العكس هو الذي يتبادر إلى الذهن، وهو الذي يخضع للترتيب المنطقي، إلا أن هذا التعبير مناسب جدا لسياقه و مقامه في تفسير السامرائي"و الحق أن تقديم ما قدم إنما كان لسبب، ذلك أنه رد على ما كان يعتقده مشركوا العرب، و أصحاب الملل الأخرى من أهل الكتاب و غيرهم، من أن الله ولد أبناء أو بنات، و لم يكونوا يقولون إن الله أبا فقدم ما كان أهم"[2].

وشبيه بهذا قوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ"[3] فذهب السامرائي إلى أن تقديم (إحياء الموتى) على (كتابة ما قدموا) لم يخضع لترتيب السبق في الزمان أو غيره، و إنما هو خاضع لملاحظ أخرى أجملها في النقاط التالية :

1-أنه المناسب لما قبله من الإنذار و التبشير فإن ذلك يكون في الحياة بعد الموت.

2-أن كتابة ما قدموا من الأعمال إنما هي لما بعد الموت، و الأقل قيمة للكتابة فقدم الأهم لذلك.

1-الإخلاص: 3

2- على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 67

3-يس:12

3-أنه قدم رتب المذكورات بحسب الأهمية، فإن أهم شيء فيما ذكر هو الإحياء بعد الموت...

4-أنه قدم الأهم من ناحية أخرى، و هو ما لا يستطيع فعله إلا الله، و هو إحياء الموتى ولذا جاء بأسلوب القصر المؤكد، أما الكتابة فإنه يمكن أن يفعلها المخلوقين إن لم تكن بنفس الدرجة من الدقة و الإحاطة...

5-أنه قدم إحياء الموتى لأن السورة مبنية على ذلك، و أن جوها يشيع فيه ذكر الحياة بعد الموت.

ثانيا-الذكر و الحذف:

تعد ظاهرة الحذف من الظواهر اللغوية المشتركة بين جميع اللغات العالمية "حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه، اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت، أو عقلية أو لفظية، كما قد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها مقطع أو أكثر..."[1]

أما الذكر فهو الأصل في الكلام فيكون من ورائه غاية و قصد، و به يتم المعنى ويكون ضروريا "عندما يكون في هذا الذكر تثبيت للمعنى و توطيد له في النفس، و يكون في ذكره فضل عن ذلك معان لا تستفاذ إذا حذف..."[2]

1-طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ص 04

2-أحمد بدوي، من بلاغة القرآن : ص 95

بالرغم من إدراكنا لوجود ظاهرة الحذف في جميع اللغات الإنسانية، إلا أننا على يقين من تميز اللغة العربية بهذه الظاهرة، تميزا واضحا و اتساع نطاقها، هذا الرأي ذهب إليه العديد من الدارسين نذكر منهم الطاهر سليمان حمودة حيث قال "...ونحن نرى أن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات، لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز ..."[1]

إن الحديث عن هذه الظاهرة ليس بالحديث الجديد، و إنما سبقنا إليه علماء اللغة والبلاغة فتناولوه، إلا أن هذا التناول لم يكن تناولا كليا شاملا، و إنما كان مقسما بين أبواب ومواضع عدة، فيذكر حينا ضمن علم الصرف، و حينا في علم النحو، و حينا آخر في علم المعاني "...ولم تحظ الظاهرة بدراسة نظرية مناسبة عند القدماء، باستثناء مواضع قليلة تجدها لدى حذاق النحاة كسيبويه،و ابن جني، وابن هشام كما نجدها في علم المعاني، بيد أنها لا تتسم بالشمول في الموضع الواحد"[2] ، فذكره سيبويه في باب ما يكون في اللفظ من الأعراض في قوله " اعلم أنهم مما يحذفون الكلم و إن كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون و يعوضون ...فما حذف و أصله في الكلام لم يك ، و لم أدر و أشباه ذلك "[3]

1-طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ص 09

2-نفسه: المقدمة

3-سيبويه، الكتاب، ج1 : ص 95

وقد ذكرنا في الفصل السابق الخاص بالذكر و الحذف في الكلمة أن سيبويه علل للحذف بكثرة الاستعمال و تبعه في هذا الرأي الكثير من النحاة و اللغويين وذكر ابن جني أن الحذف قد مس كل عناصر اللغة العربية في قوله "قد حذفت العرب الجملة و المفرد والحرف و الحركة و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه"[1]

وقد أرجع العلوي في "الطراز" سبب وجود الإيجاز إلى الحذف الذي يؤدي في نظره إلى علو الكلام و بلاغته يقول " اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف لأن موضوعه على الاختصار، و ذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى و لا ينقص من البلاغة ، بل أقول: لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام على علو البلاغة و لصار إلى شيء مشترك مستردل ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة و الحسن و الرقة، و لابد من الدلالة على ذلك المحذوف"[2]

أما عبد القاهر الجرجاني فقد تناول ظاهرة الحذف تناولا مميزا عن سابقيه، حيث أعطاه نفسا بلاغيا جديدا، معتبرا إياه استعمال خاص للنسق اللغوي، نابع من ضرورة فنية والذي إذا ما عدل عنه إلى غيره أدى ذلك إلى فساد الغاية و المعنى المقصود يقول "وهو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى الذكر أفصح من

1-ابن جني، الخصائص، ج2 : ص 360.

2-العلوي، الطراز، ج2، ت عبد الحميد هنداوي ، المكتبة المصرية، ط1، بيروت،2002 : ص51

الذكر و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، و التحدث أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]

وقد اهتم السامرائي بظاهرة الذكر و الحذف في اللغة عامة، و في التعبير القرآني بصفة خاصة، فذكره في كتبه النحوية "كمعاني النحو" ذكرا يناسب الباب أو العنصر الذي هو بصدد دراسته نحو حذف المفعول، وحذف الاسم الموصول، و حذف نون كان المجزومة...الخ، وتحدث عنه في "الجملة العربية تأليفها و أقسامها" حديثا مفصلا حيث بينه وبين شروطه و أغراضه...كما أجمل الحديث فيه في كتابيه "أسرار البيان القرآني" و"التعبير القرآني" متطرقا إلى الحذف من أصغر وحدة و هي الحرف، إلى حذف الكلمة والجملة متتبعا مقصديته و المعاني التي تنتج من وراء استعماله، و خص حذف الحرف من الكلمة القرآنية في كتابه "بلاغة الكلمة القرآنية"، أما كتبه التفسيرية فكان يقف فيها عند الظاهرة كلما اقتضى المقام ، و اقتضت السورة التي هو بصدد تفسيرها، معتبرا إياه قاعدة من قواعد التفسير البياني، و منفذا من منافذ التفسير التي يصل من خلالها إلى المقاصد و المعاني الدقيقة.

رأى السامرائي أن الحذف موجود في اللغة العربية بل هي متوسعة فيه توسعا كبيرا وقد مس فيها كل نوع من أنواع الكلام: الحرف ، الفعل، الاسم و الجملة وهو في التعبير

1-الجرجاني، دلائل الإعجاز : ص 120

القرآني أوسع و أوضح و أدق و أجمل بكثير من الكلام البشري، و هذا ما رأيناه يوضحه من خلال كتبه المتنوعة بالشواهد و التحليل و التفسير، ومقارنة النصوص مع بعضها البعض ليبين الفرق بين موطن الذكر، و موطن الحذف، بالرغم من أن الموطنين متشابهين فالذكر حسب رأي السامرائي له قصده و غرضه، كما أن للحذف قصده و غرضه، يقول "قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسب ما يقتضيه السياق...كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن و الجمال..."[1]

و قد اشترط السامرائي لصحة الحذف ما اشترطه النحاة من و جود دليل مقالي أومقامي، و أن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير أما عن أغراض الحذف فقد جعل السامرائي للحذف خمسة عشر غرضا نجملها كالآتي:

1-الإيجاز و الاختصار عند قيام القرائن.

2-الاستخفاف لكثرة دورانه في الكلام.

3-ظهور المعنى.

4-الإبهام.

5-مراعاة الأسجاع و الفواصل.

6-عدم تعلق غرض بذكره.

1-التعبير القرآني: ص 75

7-الاتساع و التجوز.

8-الفراغ بسرعة للوصول إلى المقصود.

9-الاستهجان.

10-الاحتقار.

11-التعظيم و التفخيم و نحوهما من التعجيب و التهويل.

12-التكثير و المبالغة.

13-الإطلاق.

14-التوسع في المعنى.

15- للتوكيد و عدمه.

وقد قسم السامرائي حديثه عن الذكر و الحذف في" التعبير القرآني" إلى قسمين أومحورين كبيرين هما : قسم يدخل فيه كل ما حذف و أصله أن يذكر، كحذف حرف أوفعل أو اسم. وقسم يدخل فيه كل ما ذكر في موطن، و لم يذكر في موطن أخر يبدوا شبيها به لأن الموطن اقتضاه، و سنخص بالذكر الحذف المتعلق بالتركيب في هذا المقام لأن طبيعة الفصل تقتضي ذلك، ولأننا ذكرنا حذف الحرف من الكلمة في فصله الخاص به.

أ-القسم الأول: ما حذف و أصله أن يذكر

ذكر السامرائي أن في التعبير القرآني ما يحذف وأصله أن يذكر، لتحقيق غرض بلاغي غاية في الجمال، و الفن، و ضرب لذلك جملة من الأمثلة و الشواهد القرآنية، سواء في كتابه "التعبير القرآني" ، أو في كتابه "على طريق التفسير البياني" بجزأيه، مبينا مقصدية التعبير القرآني، و دقته في استعمال التعبير المناسب في السياق المناسب له، نذكر بعض هذه النماذج، و نذكر معها تفسير السامرائي لها، معتمدا على الذكر و الحذف.

من ذلك ذكر و حذف (به) في الآيتين التاليتين" فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ"[1] وقوله " فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ"[2] ، فذكر به في آية (يونس) و حذفها في آية (الأعراف) ، كان هذا الاختلاف من بديع الذكر و الحذف عند السامرائي؛ حيث بين أن الحذف في الأعراف جاء مناسبا لسياق الإطلاق، فقد جاء قبل هذه الآية قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[3] وفيه إطلاق للتكذيب فلم يذكر بما كذبوا.

أما ما ذكر في يونس فهو كذلك مناسب لسياق الذكر فقد جاء قبل هذه الآية قوله تعالى "وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ"[4] فناسب ذكر (به) ذكر (بما كذبوا بآياتنا) ، إضافة إلى هذا التناسب ذكر السامرائي تناسبا آخر، و انسجاما آخر في

1-الأعراف:101

2-يونس:74

3-الأعراف :96

4-يونس : 73

الآيتين إذ حذف ذكر هارون مع موسى في الأعراف " ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ"[1] ،وذكر هارون مع موسى في موطن الذكر " ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا"[2] ، فبين السامرائي من خلال هاتين الآيتين المتشابهتين المختلفتين في ذكر (به) وحذفها أن الذكر مقصود، ومناسب لسياقه، وأن الحذف مقصود ومناسب لسياقه "... فذكر في الأعراف أنه بعث موسى، و في يونس أنه بعث موسى وهارون، فزاد ذكر (هارون) ، فانظر كيف لما زاد (به) في الآية لرابعة و السبعين، وزاد (بآياتنا) في الآية الثالثة و السبعين زاد (هارون) ، في السياق فأية دقة هذه ؟ و أي فن هذا أيها الناس ؟ "[3]

إن مثل هذا الاستعمال القرآني كثير و تساؤلات السامرائي حولها كثيرة ، و تفسيراته وتعليلاته كثيرة أيضا ، نذكر منها قوله تعالى " وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ"[4] فقد جاءت الصفة دون الموصوف (النفاثات)، لأن الموصوف محذوف في هذه الآية و تفسير ذلك عند السامرائي هو إرادة العموم، وجعل الصفة غير مقيدة بموصوف واحد " و هو قد جاء بالصفة و لم يأت بالموصوف فلم يقل (النساء النفاثات) أو النفوس أو غير ذلك لإرادة العموم و عدم

1-الأعراف:103
2-يونس:75
3-لتعبير القرآني: ص 92
4-الفلق:04

تقيد ذلك يفيد سواء صدر عن النساء أم عن غيرهم"[1] ومثله قوله تعالى " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"[2] فجاء بالصفة وحذف الموصوف لغرض الإطلاق، و المبالغة ،كما جاء في تفسير السامرائي و تعليله للحذف ههنا "و قد حذف موصوفه ليفيد إطلاق الخبر، و عمومه فلا يقيد شيء فلم يقل (مالا كوثرا) و لا (ماءا كوثرا) و لا (ذرية كوثرا) و لا غير ذلك ، و فيه من المبالغة ما لا يخفى..."[3] ، و نذكر قوله تعالى " مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"[4] ففي هذه الآية قسم من الله تعالى أنه لم يودع سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و لم يبغضه، إلا أنه ذكر المفعول في (ودعك) و لم يذكر المفعول في (قلى) و لم يقل (وما قلاك) و القصد من وراء هذا الذكر و الحذف عند السامرائي راجع إلى ما يلي:

1-أن حذف الكاف الثانية اكتفاء بالكاف الأولى.

2-لأن رؤوس الآيات تقتضي ذلك فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف.

3-أن هذا الحذف يفيد الإطلاق بمعنى أنه ما قلاك و لا قلى أحدا من أصحابك.

1-على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 37

2-الكوثر :01

3-السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1: ص 83

4-الضحى:03

4-أن هذا الحذف من باب التكريم له صلى الله عليه و سلم "فأنت ترى أن ذكر المفعول مع التوديع إكراما له صلى الله عليه و سلم، و حذفه من القلى إكرام له فهو إكرام في الذكر وإكرام في الحذف ، و هذا من ألطف مواطن الذكر و الحذف"[1] .

و مثل هذا الحذف في قوله تعالى " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى"[2] فعلل السامرائي حذف المفعول الثاني للفعل (أعطى) بالإطلاق و عدم التقيد "...فلم يقل ماذا يعطيه بل أطلق العطاء ليشمل كل خير في الدنيا و الآخرة..."[3]

وفي نفس السورة حذف المفاعيل الثلاث من قوله " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى"[4] فلم يقل (فأواك، و هداك، و أغناك) بالذكر لأن الحذف مقصود عند السامرائي و سببه :

1-لظهور المراد و هو المخاطب.

2-ولرعاية رؤوس الآي...

3-ليدل على سعة الكرم"...ذلك أن لو قال (ألم يجدك يتيما فأواك) لكان الإيواء منحصرا به صلى الله عليه و سلم، فحذف المفعول للإطلاق...وكذلك قوله (ووجدك ضالا فهدى) فإنه هداه و هدى به خلقا كثيرا ...و كذلك القول في (فأغنى) فإنه أغناه ، و أغنى به خلقا

1- على طريق التفسير البياني،ج1: ص 112.
2-الضحى:05
3- على طريق التفسير البياني،ج1 : ص 114.
4-الضحى:6-8

كثيرا و أغنى له، أي لأجله ما شاء الله أن يغني"[1] .

وذكر السامرائي في تفسيره حذف جواب الشرط في التعبير القرآني و ذكر معه أسبابه ومقصديته و بلاغة حذفه نحو قوله تعالى " قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"[2] فلم يذكر جواب الشرط وذلك "...لإطلاقة و عدم تقييده بشيء معين (بل أنتم قوم مسرفون) أي مجاوزون الحد في المعاصي، أو في التطير، أو في العدوان، و أطلق الإسراف و لم يقيده بشيء ليشمل كل إسراف في سوء"[3] ، ومثله قوله " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[4] ففي هذه الآية حذف جواب الشرط ، إلا أن تفسير السامرائي لهذا الحذف كان لوجوده فيما بعده " و من الملاحظ أنه لم يذكر جواب الشرط في الآية ذلك لأنه مما بعده، و هو قوله تعالى " وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ"[5] وكان سبب الحذف هو أن الكلام لم يعجبهم فلم يجيبوا "...و هو أنهم إذا قيل لهم ذلك لم يجيبوا لأن الكلام لا يعجبهم و لا يروق لهم فيسكتون على الجواب..."[6] ، أما السبب الثالث عند السامرائي فهو أن الآية بنيت على الإيجاز " يدل على ذلك أنه بني القول

1-على طريق التفسير البياني، ج1: ص118
2-يس:19
3-على طريق التفسير البياني، ج2 : ص 66
4-يس:45
5-الأنعام:04
6- على طريق التفسير البياني.ج2: ص159

للهجهول فلم يذكر القائل، و بني فعل الرحمة للمجهول، لأن الراحم معلوم، وحذف جواب الشرط لأنه مدلول عليه بما بعده كما ذكرنا"[1] ، أما قوله تعالى " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"[2] ففيه ذكر للفعل (جعلنا) مع السد الأول وحذفه مع السد الثاني، فعلل ذلك السامرائي باختلاف منزلة السدين، فالأول الذي هو من بين أيديهم أهم لأنه يمنعهم من السير إلى الأمام و إلى الهدى و الفلاح، و السد الثاني أقل أهمية لأنه من خلفهم، و هو مانع من الرجوع و العودة "و لما لم يكن السدان بمنزلة واحدة من حيث الأهمية لم يجعلهما في التعبير بمنزلة واحدة، فذكر الفعل في المهم و حذفه مما هو أقل أهمية..."[3] وبهذا بين السامرائي أن الذكر مقصود كما أن الحذف مقصود وإن كانا في نفس الآية و نفس الفعل.

و مثل هذا ذكر و حذف (الناس) في الآيتين " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"[4] وقوله " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ"[5] فذهب السامرائي في تفسيره و تعليله لذكر (الناس) وحذفها إلى أن الذكر مناسب لسياقه ، الذي لم يتقدم فيه ذكر الناس بل ذكر الشيطان

1- على طريق التفسير البياني،ج2: ص160

2-يس:09

3-على طريق التفسير البياني،ج2:ص 160

4-لقمان:06

5-الأنعام:144

" وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ "[1] وأن الحذف مناسب كذلك لسياقه، الذي تقدم فيه ذكر الناس أو الإنسان "ومن الناس من يشتري لهو الحديث" "ومن الناس من يجادل في الله" "و إذا مس الإنسان ضر"...

و كما بين السامرائي في أكثر من موضوع و أكثر من تفسير ضرورة الحذف وبلاغته، بين كذلك في مواضع أخرى ضرورة الذكر و بلاغته و مقصديته، إذ به يتم المعنى و بدونه ينقص و ينحرف إلى معاني أخرى ليست مقصودة ، نذكر من ذلك قوله تعالى " لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"[2] فذكر (منكم) جعل منه السامرائي أمرا ضروريا لتحديد المعنى المراد، و هو إرادة الشكر و الجزاء من رب العالمين فقط، و رفضه ممن سواه و بين أن حذف (منكم) يحرف المعنى و يلقي بمعنى آخر "ولم يقل (لا نريد جزاء و لا شكورا) ذلك لأنهم يريدون الجزاء و الشكر من رب العالمين...ولو لم يذكر (منكم) لنفى الإرادة على وجه الإطلاق و هو ليس مراد و لا ينبغي أن يراد"[3]

ومثل ذلك قوله تعالى " لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[4] فعلق السامرائي على قوله (على شيء من فضل الله) بضرورة ذكر (على شيء) لأنها تنفي قدرة البشر على فضل الله نفيا

1-الأنعام:137

2-الإنسان:09

3-على طريق التفسير البياني، ج1 : ص 170

4-الحديد:29

تاما و قاطعا و لولا ذكرها لنتفى هذا المعنى الدقيق "و قال "على شيء من فضل الله" و لم يقل "على فضل الله" ليدل على أنهم لا يقدرون على أي شيء مهما قل"[1]

أما الآية الكريمة " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ"[2] فقد جعل منها السامرائي مثالا حيا يبين من خلاله أن الذكر قد يكون أولى من الحذف، بل أبلغ منه و أدق في إصابة المعنى، فكل جزء من أجزاء هذه الآية مهم و ضروري و أي حذف يسبب خلخلة المعنى، و قد أثبت السامرائي ذلك بما يلي:

1-لو حذف (على قومه) لم يصح المعنى، لأن الله سبحانه أنزل جنودا من السماء و ذلك لنصرة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

2-و لو حذف (من بعده) لم يصح المعنى، لأن القصد هو معاقبة قومه بعد قتله فإذا حذف الظرف لم يفهم أن العقوبة بسبب قتله و المراد بيان ذلك.

3-و لو حذف (من جند) لم يصح المعنى، لأنه يعلم المنفي على وجه التحديد، و لكان النفي عاما و هو لا يصح...فلا يصح الحذف.

4-ولو حذف (من السماء) لا يصح كذلك لأنها المصدر الأعلى.

"فكان أعدل الكلام كلام ربنا سبحانه"[3]

1-السامرائي، على طريق التفسير البياني.ج1: ص 306

2-يس:28

3-ينظر السامرائي، على طريق التفسير البياني. ج2 : ص 100.

ب-القسم الثاني: ما ذكر في موطن و لم يذكر في موطن آخر:

لقد ذكر السامرائي مجموعة من التعابير القرآنية و التي حذف فيها ما أصله أن يذكر، فرأينا كيف بين السامرائي مقصدية الحذف كما رأينا كذلك مقصدية الذكر، أما القسم الثاني فقد خصصه السامرائي لما يذكر في موضع، و لا يذكر في آخر استجابة للمقام والسياق، يقول " و هو أن يذكر في موطن ما لا يذكر في موطن آخر يبدوا شبيها به، و ليس عدم ذكره من باب الحذف، و إنما هو قد يزيد لفظا أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق، أو يستدعيه المقام "[1] ، وجدنا هذا النوع من التعابير مذكورة في كتابه " التعبير القرآني" بالتفصيل ووجدناها في كتابه "على طريق التفسير البياني" بجزأيه حسب ما يقتضيه تفسير السورة التي يكون بصدد تفسيرها.

نذكر من ذلك قوله تعالى " وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ "[2] وقوله " وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ" [3] فذكر (آثارهم) في آية المائدة، و لم يذكرها في آية الحديد ، و كل ذلك في نظر السامرائي مناسب لسياقه، فذكر (على أثارهم) مناسب و ملائم لسياق تقفية الربانيين والأحبار ، و حذفها مناسب و ملائم كذلك لتقفية الرسل "...فالربانيون و الأحبار لم ينقطعوا فقفى على آثارهم بعيسى ابن مريم ، أي ليس بينه و بينهم مدة فاصلة بخلاف ما

1-السامرائي، التعبير القرآني : ص97.

2-الحديد

3-المائدة:46

بينه و بين الرسل، فإن بينه و بينهم مدة ليست بالقليلة"[1] ، و نحو ذلك ذكر (في الناس) في آية الأنعام " وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ في الناس" [2] ، وعدم ذكرها في الحديد " وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ"[3] فجعل السامرائي من السياق سببا للاختلاف بين الآيتين؟ فآية الحديد هي في يوم القيامة "ويوم القيامة لا يكون المشي بالنور في الناس، بل هو نور خاص بكل مؤمن لا يتعدى غيره"[4] كما تقدمها ذكر الرهبانية و الرأفة و الرحمة.

أما آية الأنعام فهي في سياق ذكر الناس و معاملاتهم و افتراءاتهم " ...فهي في سياق الناس و أحوالهم، فناسب ذكرهم في الآية بخلاف آية الحديد، فإنها ليست في مثل هذا السياق..."[5] ، و مثل هذا زيادة كلمة (مقتا) في سورة النساء" وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا"[6] ، بين السامرائي أن زيادة (مقتا) في سياق الزواج بامرأة الأب، لزيادة تشنيع و تخسيس هذا الفعل "...وذلك أن متزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة يمقت فاعلها، و يشنأ و تستخسه الطباع السليمة ، فوصفت فعلته بالمقت وساوت الزنى فيما وراء ذلك"[7]

1-على طريق التفسير البياني، ج1: ص 299
2-الأنعام:
3-الحديد:
4-على طريق التفسير البياني،ج1 : ص 305.
5-نفسه: ص305
6-النساء:22
7-التعبير القرآني: ص107

و من ذلك أيضا قوله تعالى " وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"[1] فزاد قوله (يكفر عنه سيئاته) ولم يذكره في قوله " وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"[2] وسبب هذا الاختلاف بين التعبيرين عند السامرائي هو أن آية التغابن خطاب للكافرين و قد دعاهم إلى الإيمان . أما آية الطلاق فهي خطاب للمؤمنين، و قد دعاهم إلى التقوى "فكان ذكر تكفير السيئات مع الكافرين الذين هم في معصية مستديمة و سيئاتهم غير منقطعة أولى من ذكرها مع المؤمنين"[3] أما آية المائدة التي قال الله تعالى فيها " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[4] فقد زاد فيها (واحذروا) و (اعلموا) في حين لم يذكرها في آية التغابن " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "[5] علل السامرائي هذا الاختلاف باختلاف السياقين، فذكر أن آية المائدة قد سبقت بالنهي عن الخمر، و ما ذكر معها من محرمات، و ما تجره عليهم من شرور فقال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

1- التغابن:09
2- الطلاق:11
3- التعبير القرآني: ص 108
4- المائدة:92
5- التغابن:12

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1] فجاء ذكر الفعلين مناسبا و مؤكدا لما قبله من نهي و تحريم. أما آية التغابن فلم يأتي قبلها ما يستدعي التأكيد بالذكر" مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[2] فجاء حسب تفسير السامرائي كل تعبير مناسب لسياقه "فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم ...لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هنا، فجاء كل على ما يجب و يناسب"[3]

ومن بديع الذكر و الحذف في التعبير القرآني و الذي وقف عنده السامرائي معللا و مفسرا قوله تعالى " وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[4] فلم يذكر (المؤمنون) أما قوله " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[5] ذكر (المؤمنون) فعلل السامرائي هذا الاختلاف بين الآيتين باختلاف الطائفتين المخاطبتين، فعدم ذكر المؤمنين في التوبة مناسب لجماعة المنافقين الذين يظهرون لله و رسوله، و لا يظهرون للمؤمنين. وذكره (المؤمنين) مناسب جدا لمخاطبة جماعة المؤمنين الذين يعرفهم الله و رسوله والمؤمنون فجاءت الزيادة مناسبة لسياقها، كما جاء عدم الذكر منسبا لسياقه كذلك." فزاد في الآية الثانية قوله (و المؤمنون) بخلاف الآية الأولى في المنافقين ، و هم الذين يبطنون

1-المائدة :91
2-التغابن:11
3- التعبير القرآني: ص 110
4-التوبة:94
5-التوبة:105

الكفر و يظهرون الإيمان، و لا يعلم المؤمنون بهم إلا من أطلعه رسول الله عليه، فلم يقل (والمؤمنون) لأن المؤمنين لا يرون أعمالهم، بخلاف الآية الثانية فإنها في طاعات المؤمنين و هي ظاهرة للجميع ففرق بين الجماعتين"[1]

ومن هذا الذكر و عدمه استجابة للسياق و المعنى المراد ذكر (كانوا) في قوله " وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[2] و عدم ذكرها في قوله تعالى " وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[3] "فزاد في الآيتين الأوليتين (كانوا) بخلاف آل عمران، و ذلك أن آيتي البقرة و الأعراف في أقوام قد مضوا وهم بنو إسرائيل ... و أما أية آل عمران فهي ليست في أقوام ماضين، و إنما مثل ضربه الله لكل عصر ... فناسب ذكر (كان) في آيتي البقرة و الأعراف دون آية آل عمران..."[4]

وقد ذهب السامرائي إلى أن الزيادة قد تكون في بعض التعابير القرآنية مناسبة لسياق التفصيل كما هو الحال في قوله تعالى " فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ"[5] "فزاد (منه) في آية المائدة و ذلك أن آية المائدة فيها تفصيل و تبيين لأحكام الوضوء كاملة..."[6] ، بخلاف آية النساء التي لم تذكر فيها أحكام الوضوء تفصيلا، و لم تذكر فيها (منه) " مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ

1- التعبير القرآني: ص 118.
2-البقرة: 57 و الأعراف:160
3-أل عمران: 117
4-التعبير القرآني: ص 121، 122
5-المائدة:06
6-التعبير القرآني: ص112

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا"[1] "فأنت ترى أنهحيث كان السياق مجملا أجمل في الذكر، و حيث كان مفصلا مبينا زاد و بين، فوضع كل تعبير في الموضع الذي هو أوفق له..."[2] و مثل هذا التفسير ما علق به السامرائي على الآيتين " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا"[3] وقوله " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[4] فزيد في الحديد قوله " فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ" و لم يذكر في التغابن؟ إن الزيادة في الحديد في وجدها السامرائي مناسبة لسياق التفصيل في أحوال الدنيا و الآخرة " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"[5] ، أما عدم الزيادة في التغابن، فهو كذلك مناسب لعدم التفصيل " وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[6] "فأنت ترى أنه فصل و ذكر في سورة الحديد ما لم يذكره في التغابن، و لذا زاد في التفصيل في الآية المذكورة موافقة لما قبلها..."[7]

1-النساء:43

2-التعبير القرآني: ص 112.

3-الحديد:22

4-التغابن:11

5-الحديد:20

6-التغابن:10

7- التعبير القرآني: ص 113

كما ذهب السامرائي إلى أن الذكر و الحذف قد يكون لمراعاة واقع الحال، فضرب لذلك أمثلة نذكر منها قوله تعالى " وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ"[1] فقد أشار السامرائي إلى أنه قد ذكر كل نبي أو رسول مع قومه، إلا سيدنا موسى عليه السلام ، و فسر ذلك بأن موسى علية السلام لم يكذب من طرف قومه، و إنما كذبه فرعون فجاء عدم الذكر مطابقا لحال موسى "فإنه قال : (وكذب موسى) و لم يقل (قوم موسى) كما قال في الأقوام الأخرى، وذلك لأن قوم موسى لم يكذبوا، و إنما الذي كذبه فرعون وقومه..."[2] ، ومثله عدم ذكر كلمة (قوم) مع سيدنا عيسى عليه السلام في قوله "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ"[3] بخلاف سيدنا موسى فقد ذكر (قومه) في قوله "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"[4] وسبب هذا الاختلاف بين الآيتين (ذكر-عدم ذكر) في نظر السامرائي هو اختلاف حال النبيين "فإنه لم يقل في عيسى : (و إذ قال عيسى لقومه) كما قال في موسى (و إذ قال موسى لقومه) بل قال

1-الحج:44

2- التعبير القرآني:ص 114.

3-الصف:06

4-الصف:05

(يا بني إسرائيل) و ذلك أن عيسى عليه السلام لم يكن له نسب فيهم فيكونوا قومه إذ لم يكن له فيهم أب، بخلاف موسى"[1]

و غيرها من التعابير القرآنية الشاهدة على تفنن القرآن الكريم في استعمال الذكر و الحذف والشاهدة كذلك على اعتماد السامرائي هذه الظاهرة في تفسيره البياني. نكتفي بها لأننا لا نستطيع أن نذكرها كلها في هذا المقام، و لا نستطيع أن نحصر أسبابها لأنها متعددة تعدد المقامات و المناسبات و الدلالات، و هذا ما اعترف به السامرائي نفسه في قوله " و قد يكون الذكر و الحذف لغير ذلك فهناك أسباب مختلفة تدعوا إلى الذكر و الحذف وكلها ترجع إلى مراعاة المقام و حسن الاختيار و ذكر اللفظة في الوضع الذي يقتضيها و ينادي عليها بأبلغ تعبير و أجمل صورة."[2]

1-السامرائي، التعبير القرآني: ص 114.

2-نفسه: ص 116.

ثالثا- التوكيد:

التوكيد من الأساليب العربية المشهورة ، و المستعملة في التعبير البشري و القرآني وقد ذكره معظم النحاة و اللغويين ضمن التوابع، التي عرفها الزمخشري بقوله "هي الأسماء التي لايمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها، و هي خمسة أضرب:تأكيد و صفة، وبدل و عطف و بيان، و عطف بحرف"[1] ، فبالرغم من اهتمام هؤلاء بموضوع التوكيد إلا أن اهتمامهم هذا لم يكن شاملا مفصلا، بل تشتت مواضيعه بين فصول و أبواب شتى، كما أنهم أهملوا الكثير من أشكاله فلم يدرجوها في التقسيمات المعروفة للتوكيد (لفظي –معنوي) "هذا و لم يكن أسلوب التوكيد أحسن حظا في تبويبه من الأساليب الأخرى، فقد انجر النحاة فيه وراء منهجهم المذكور[2] فوضعوه في باب التوابع، و ذلك بعد تطبيق موضوعه في ما يسمى بالتوكيد اللفظي و المعنوي، مما أفقده سمته الوظيفية، لنجده هو الأخر مشتتا في مباحث مختلفة..."[3]

كما لم يكن الاهتمام بوظيفة التوكيد و دلالته يشغل هؤلاء النحاة، بقدر ما كان همهم هو وصف الظاهرة و تعزيزها بالشواهد و الأمثلة، ضمن قسمين اثنين هما التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، اللذان يعتمدان على التكرار، و إهمال بقية الأشكال (التوكيد بالأدوات)

1-ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ت إميل بديع يعقوب ،ج2، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت ، 2001:ص 218

2-المنهج الشكلي

3-عائشة عبيزة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، إشراف سعيد هادف،(رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه) جامعة الحج لخضر، باتنة ،2008-2009 ص 13

و إن ذكرت تذكر ضمن فكرة التكرار مثل ما و جدناه عند أبي البقاء الكوفي في الكليات، إذ قال "و يتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار و ضعفه، وإذا اجتمعت (إن) و اللام كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، إثنان ل (إن) وواحدة للام، و كذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا و الحقيقة بمنزلة تكريره مرتين..."[1]

ومهما سجلنا من ملاحظات، ومن نقائص في منهج القدماء إلا أننا لا نستطيع أن ننكر عليهم جهدهم، وتطرقهم لهذه الظاهرة اللغوية التي عرفها التركيب اللغوي العربي بل تميز بها، فقد ذكره سيبويه في مواضع عدة و إن كانت متفرقة بين الأبواب، و مختلفة في الاصطلاح "كما فعل سيبويه عند تعرضه للتوكيد حيث أطلق عليه عبارات يبدوا أنه كان لها أثر فيمن جاء بعده من النحاة، فقد سماه (تخصيصا) و (صفة) و (بدلا) و (تكريرا) "[2]، وقد قال مثلا في باب يكرر فيه الاسم في حال الإضافة "وذلك لأنهم قد علموا أنهم لو لم يكرروا الاسم كان الأول نصبا، فلما كرروا الاسم توكيدا تركوا الأول على الذي كان يكون عليه لو لم يكرروا"[3]

أما عبد القاهر الجرجاني فقد جعل من التوكيد ضربا من التقييد، و هذا ما ذكره في باب (اللفظ و النظم) في قوله "وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد فإن

1-أبو البقاء الكوفي، الكليات ، ت عدنان درويش و محمد المصري ،ط2، بيروت، 1998: ص 269.
2-عائشة عبيزة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرءان الكريم: ص 15
3-سيبويه، الكتاب، ج2 ،ط3 1988: ص 206.

التأكيد ضرب من التقييد فمتى نفيت كلاما فيه تأكيد فإن نفيت ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصا و يقع له"[1] ، كما عرفه في باب الفصل و الوصل بقوله " ... لأن حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك، أفلا ترى أنه إنما كان الذي فهم منه و هو الشمول قد فهم بديئا من ظاهر لفظ قوم، و لو أنه لم يكن فهم الشمول من لفظ قوم ولا كان هو من موجبه، لم يكن"كل" تأكيدا و لكان الشمول مستفادا من "كل" ابتداءا"[2]

وذكره الزمخشري و جعله على وجهين : تكرير صريح و غير صريح فالصريح نحو قولك : رأيت زيدا زيدا، و غير الصريح نحو قولك فعل زيد نفسه وعينه، و القوم أنفسهم..."[3]

وجاء أبو البقاء الكوفي بتعاريف عدة لتأكيد في الكليات نذكر بعضها:

-التأكيد هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله و تقويته.

-و التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز و ليس كذلك التابع.

- والتأكيد يرفع الإبهام عن نفس المتبوع في النسبة.

- و التأكيد كما يكون لإزالة الشك و نفي الإنكار مع السامع كذلك يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط ..."[4]

1-الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص 216

2-نفسه:ص 177

3-ينظر شرح المفصل : ص 119

4-أبو البقاء الكوفي، الكليات: ص 267-268

وذكر الكوفي أن التوكيد على ضربين "والشيء إما أن يؤكد بنفسه و يسمى التأكيد اللفظي...أو يؤكد بغيره و يسمى التأكيد المعنوي..."[1].

ومهما اختلفت و تعددت تعاريف النحاة و اللغويين للتوكيد، إلا أنهم كلهم يتفقون على أن التوكيد وسيلة تعبيرية تقوي المعنى، و ترسخه في نفوس المستمعين، و تؤثر فيهم بخلاف التعبير الذي يخلو من التوكيد "اعلم أن التوكيد تمكين الشيء في النفس، و تقوية أمره و فائدته إزالة الشكوك و إماطة الشبهات عما أنت بصدده، و هو دقيق المأخذ كثير الفوائد..."[2] لذلك نجد أسلوب التوكيد كثير الاستعمال عند العربي في شعره، و نثره، و حتى في كلامه العادي "لأن التوكيد من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات و إقرارها في قلوبهم إقرارا ينهي إلى الإيمان بها..."[3] ، كما هو كثير الاطراد و الاستعمال في النص القرآني كيف لا و هو النص الذي جاء لسلب القلوب، و إقناع العقول، و ترسيخ المعاني والأحكام "استخدم القرآن التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، و إقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم"[4]

و نظرا لأهمية التوكيد و تأثيره في التعبير القرآني،أولاه السامرائي اهتماما بالغا، ووقفة خاصة في كتاب"التعبير القرآني" شرحه و بين براعة القرآن ،و دقته، ومقصديته في

1-أبو البقاء الكوفي، الكليات: ص 268

2-العلوي، الطراز. ج2:ص94

3-أحمد بدوي، من بلاغة القرءان: ص 112.

4-نفسه: ص112

استعماله فلم يقف السامرائي عند الجانب الشكلي للتوكيد، و إنما كان همه هو البحث عن دلالة كل استعمال، و مناسبته لسياقه و مقامه ، وذلك بمقارنتة بين النصوص القرآنية المتشابهة التركيب، أو المتطابقة تماما "من المعلوم أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، و قد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر، بحسب ما يقتضيه المقام، و قد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة، في جميع ما ورد من مواطن التوكيد، فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب، بحسب طريق فنية متقنة" [1] ، هذا المنهج هو نفسه الذي اعتمده السامرائي في كتابه "على طريق التفسير البياني " بجزأيه كلما صادف في تفسيره للسور توكيدا.

لقد تناول السامرائي موضوع التوكيد القرآني في خمسة مظاهر وهي:

1-الإتيان بلفظ مؤكد في موطن و نزعه في موطن شبيه به.

2-أن يختص حرفا بالدلالة على التوكيد دون نظيره.

3-تكرار اللفظ الذي يريد القرآن توكيده.

4-تخفيف التوكيد بحسب المقام.

5-الزيادة في التوكيد بحسب المقام .

1- التعبير القرآني: ص 125

و سنفصل في هذه المظاهر بغية إبراز النصوص القرآنية التي ورد فيها التوكيد، و إبراز اعتماد السامرائي التوكيد في تفسيره البياني.

أ-الإتيان بلفظ مؤكد في موطن ونزعه في موطن شبيه به :

لقد ذهب السامرائي إلى أن التوكيد يدخل على لفظ من التعبير القرآني، و لا يدخل عليه في تعبير مشابه له، وذلك راجع إلى مناسبة كل تعبير لمقامه و سياقه "...و إذا تأملت ذلك وجدت أنه وضع كل تعبير في موطنه اللائق به"[1] وهذا ما أثبته السامرائي أثناء تفسيره لمجموعة من الآيات القرآنية نذكر منها: قوله تعالى " فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ "[2] وقوله " قيل َادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ"[3] وقوله " َادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ"[4] فأكد (بئس) في آية النحل، و لم يؤكدها في آيتي (الزمر-وغافر) فسر ذلك السامرائي بمناسبة كل تعبير لسياقه؟ فناسب التوكيد مقام وصف قوم أشد كفرا و أكبر جرما، من المذكورين في آيتي الزمر و غافر "فناسب ذلك زيادة اللام لتوكيد العذاب لهم، بخلاف المذكورين في الآيتين الأخريين، فإنه لم يصفهم بمثل هذا الوصف"[5] كما ناسب التوكيد كذلك الإفاضة في وصف الكافرين بخلاف

1-التعبير القرآني:ص 125.
2-النحل:29
3-الزمر:72
4-غافر:76
5-التعبير القرآني: ص 126.

الآيتين الأخريتين "إذ كما زاد و تبسط في الوصف زاد في التوكيد لأنه هو المناسب لمقام التبسيط و الإفاضة..."[1] ومن ذلك أيضا الاختلاف في استعمال التوكيد بين الآيات التالية قوله تعالى " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين"[2] ،وقوله تعالى " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[3] فأكد باللام (لدار) في هاتين الآيتين، و لم يؤكد في قوله " أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[4] و السر من وراء هذا الاختلاف عند السامرائي هو أن السياق في آيتي الأنعام، و النحل هو عن الدار الآخرة، أما سياق الأعراف فهو في العقوبات الدنيوية لبني إسرائيل "فلما كان الكلام في آيات الأنعام على الدار الآخرة أكدها باللام. و لما كان في آيات الأعراف على عقوبات الدنيا لم يؤكد الآخرة باللام، بل أكد سرعة العقاب لأنه عاجلهم في الدنيا فقال "إن ربك لسريع الحساب""[5] .

ونحو ذلك قوله تعالى" لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ"[6] وقوله " وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"[7]

1-التعبير القرآني:ص 126
2-النحل: 30
3-الأنعام:32
4-الأعراف:169
5-السامرائي، التعبير القرآني: ص 128
6-الأعراف:155
7-النحل:09

فرأى السامرائي أن ذكر اللام في جواب (لو)في الآية الثانية ملائم جدا لهداية الناس، و هي الأصعب و الأشد من هلاكهم "فجاء باللام لما هو شاق عسير و نزعها مما هو أيسر"[1] .

أما قوله تعالى "قل أعوذ برب الفلق"[2] فقد تساءل السامرائي عن سبب ورود الاستعاذة بدون توكيد خلاف مواطن أخرى "فقد تقول لما قال ههنا (أعوذ) ولم يقل (إني أعوذ) كما قال في مواطن أخرى، فقد قال في سورة (غافر) على لسان سيدنا موسى " وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ"[3] وقال في سورة الدخان على لسان سيدنا موسى أيضا"وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ"[4] ، وقال على لسان سيدنا نوح " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ"[5] ..."[6] فتبين له من خلال تحليل مجموعة من التعابير القرآنية، و مقارنتها مع بعضها البعض، أن المقام هو الذي يتحكم في وجود التوكيد و في عدمه، إذ رأى أن التوكيد مع الاستعاذة يكون بقدر المستعاذ منه، و درجة خوف المستعيذ، كما أن هذه الاستعاذة تخصه هو لا غيره "وعلة ذلك و الله أعلم أن الاستعاذة تكون على قدر ما يحذره المستعيذ و يخافه فإذا كان المحذور شديدا و المخوف متمكنا متسلطا وكان يتهدده هو على الخصوص آكد الاستعاذة فقال 'إني أعوذ) و إلا قال (أعوذ)"[7]

1- التعبير القرآني: ص 129.
2-الفلق:01
3-غافر:27
4-الدخان:20
5-هود:48
6- على طريق التفسير البياني. ج1 : ص 26
7-نفسه: ص 27

ومثل هذا ورود التوكيد في آية الليل" وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى" [1] وعدم وروده في آية النجم " أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى"[2] وسبب هذا التباين عند السامرائي هو :

1-أن سياق سورة الليل هو امتلاك الأموال و التصرف فيها، فأكد سعة ملكه بأن و اللام خلاف سورة النجم، التي ليس في سياقها مثل هذا "فناسب التوكيد في سورة الليل دون النجم".[3]

2-سورة الليل يشيع فيها ذكر الآخرة أكثر من النجم "فناسب التوكيد في سورة الليل، بخلاف سورة النجم التي لم يشع فيها جو الآخرة على هذا النحو"[4]

و نحو ذلك قوله تعالى مؤكدا " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[5] وقال في سورة التوبة من دون توكيد " يُرِيدُونَ أَنِ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ"[6] فبين السامرائي بعد المقارنة بين السياقين أن التوكيد مناسب لسياق تكذيب النصارى بالبشارة الواردة في كتبهم، أما سياق الآية الثانية فهو مختلف، لا يحتاج إلى مثل هذا التوكيد "فالسياق في آيات الصف متجه إلى النبوة و محاولة تكذيبها فجاء باللام، و السياق في آيات

1-الليل:
2-النجم:
3-السامرائي، على طريق التفسير البياني. ج1:ص 139.
4-نفسه:ص 139
5_الصف:07
6-التوبة:32

التوبة في النهي على معتقدات اليهود و النصارى في عزير والمسيح والأحبار والرهبان..."[1]

ب-أن يختص حرف بالدلالة على التوكيد دون نظيره:

ذهب السامرائي إلى أن القرآن الكريم يستعمل حرفا في موطن التوكيد، دون نظيره آكد و أقوى " وذلك كاستعمال الهمزة وهل، و استعمال حروف النفي فهو يستعمل (هل) للتوكيد دون الهمزة، و يستعمل (ما) للتوكيد دون (ليس)، و يستعل (إن) آكد من (ما) بطريقة فنية عجيبة"[2] ،وقد وضح هذا الرأي بمجموعة من التعابير المتشابهة و المتباينة في الوقت ذاته.

من ذلك قوله تعالى" قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[3] و قوله " قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ"[4] وقوله" هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ"[5]، و قوله" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا"[6] ذكر السامرائي أن (هل) أقوى، و آكدة من(الهمزة) لذلك استعملت (هل) في سياق القوة، والتبكيت وشدة التقريع، و بين هذه الشدة في الرد بآيات من سورة المائدة و الشعراء و الكهف، بخلاف سياق الحج، الذي ناسبته هو كذلك الهمزة، فقال عن آيات من سورة الكهف "فإن قوة

1- على طريق التفسير البياني، ج2: ص 220.
2- التعبير القرآني:ص 148,
3-الحج:72
4-المائدة :60
5-الشعراء:222
6-الكهف:103

التبكيت و شدة التقريع واضحة في السياق ، فاستعل لذلك (هل) و لم يستعمل (الهمزة) "[1]

أما عن استعمال (إن) و (ما) النافيتين فوضح السامرائي أن القرآن يستعمل في مقام التوكيد (إن) بدلا من (ما) الأقل توكيدا، نحو قوله "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَاعَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[2] ، وقوله "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[3] فقال في الأولى " إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" وقال في الثانية " مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" علل ذلك السامرائي باختلاف السياقين، فالسياق الأول أشد في التكذيب و أقوى " وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا"[4] لذلك ناسبه التوكيد بإن، بخلاف السياق الثاني "فأنت ترى أن درجة التكذيب أشد مما في الآية الأخرى لأن الصفات التي تستدعي قوة التكذيب و الإنكار كانت في المكذبين الأولين أشد و أكثر ولذلك أكد النفي فيها ب (إن) بخلاف الثانية"[5]

ومثل هذا الاستعمال القرآني كثير منه قوله " قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ

1- التعبير القرآني: ص 150

2-الأنعام:25

3-الأحقاف:17

4-الأنعام

5- التعبير القرآني: ص 150.

بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ"[1] وقال في الشعراء " قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ "[2] فاستعمال (ما) في الآية الأولى ر السامرائي مناسب جدا في نظر السامرائي لسياق الدعوة الهادئة، أما استعمال (إن) القوية و الآكدة فهو كذلك مناسب لسياق القوة، و المحاربة، و المجادلة ،و الجهاد "وأنت ترى أن المقام في الآية الأولى يختلف عنه في الثانية فجاء في الثانية بإن و إلا ، وجاء في الأولى بما و إلا"[3]

ت-تكرار اللفظ الذي يريد القرآن توكيده:

تحدث السامرائي عن هذا النوع من التوكيد الذي استعمله التعبير القرآني في مواضع عدة حسب ما يقتضيه المقام، و من هذه المواضع قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"[4] فكرر كلمة (أطيعوا) ، في حين لم يكررها في قوله " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"[5]

1-الأحقاف:09

2-الشعراء:111-115

3-التعبير القرآني: ص 152.

4-النساء:59

5-آل عمران:32

وفي قوله "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[1] ذهب السامرائي إلى أن تكرار لفظ (الطاعة) مع الرسول مناسب لسياقه، الذي يذكر فيه الرسول،ففي سورة النساء جعل طاعة الله، وطاعة الرسول أصلية، و فصل بينهما وبين طاعة أولي الأمر، لأن الرسول مرجع للفصل، ثم قرر حكما ثابتا فيما بعد " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ"[2] "فأنت ترى أن المقام ههنا مقام تبيان طاعة الرسول، فكررها لما كان السياق يقتضيها..."[3]

أما عدم التكرار فهو مناسب كذلك لسياق الآيات المذكورة، الذي ذكر الله فيه وحده، دون الرسول "و الملاحظ أن ما لم يتكرر فيه رفض الطاعة مع الرسول، فالسياق فيه لله وحده ولم يذكر فيه لفظ الرسول، و لا أية إشارة إليه، فمن ذلك ما جاء في (آل عمران 32) فقد ذكر أن الأمر كله لله و بيد" [4] قال تعالى "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[5] .

ومثل هذا تكرار (هم) في قوله تعالى " الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"[6] في حين لم يكررها في قوله تعالى " الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ كَافِرُونَ"[7] فرأى السامرائي أن زيادة (هم) في هود جاءت

1-آل عمران:132
2-النساء: 64
3-التعبير القرآني: ص 154.
4-نفسه :ص 153
5-آل عمران:26
6-هود:19
7-الأعراف:45

للتوكيد و جاءت لما زاد في وصف الافتراء و التكذيب، فذكر في الأعراف صفات الظالمين، وذكرها في هود و زاد عليها افتراء الكذب على الله " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا"[1] وكما زاد في وصف تكذيبهم زاد في عذابهم " أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ"[2] "فلما زاد في صفات الضلال أكد فيهم صفة الكفر بزيادة (هم)، و زاد لهم في العذاب فقال (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) وزاد في صفة الخسران فقال (هم الأخسرون) فانظر إلى جلال هذا التعبير و سموه"[3] .

و من تكرار الحروف في التعبير القرآني قوله تعالى " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ"[4] فتكرار (من) له دلالته ودوره في توكيد المعنى، حسب ما ذهب إليه السامرائي في تفسيره لسورة الفلق "ولم يقل (من شر ما خلق وشر غاسق وشر النفاثات) لأن ذكر (من) في كل واحد أدل على استقلال كل صنف بالاستعاذة، و آكد فإن التكرار يفيد التوكيد"[5] ، ومنه أيضا قوله تعالى "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"[6]

1-هود:

2-هود:20

3- التعبير القرآني:ص 156.

4-الفلق

5- على طريق التفسير البياني،ج1:ص 39.

6-فاطر:25

بتكرار (ب) مع (الزبر و الكتاب المنير) ، ولم يذكرها في قوله تعالى " فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"[1] فأشار السامرائي إلى أن تكرار الباء قد أفاد التوكيد، و التوكيد قد اقتضاه مقام وسياق سورة (فاطر)، إذ هو مقام إنذار، و دعوة وتبليغ " إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"[2] ، أما عدم تكرار الباء مع كتب الإنذار (الزبر و الكتاب المنير) فهو كذلك مناسب لسياق الكلام العام، وذكر الحوادث التاريخية، فهو سياق لا يقتضي التوكيد " الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ "[3] ، كما رأى السامرائي أن من دواعي التوكيد إضافة إلى ما ذكر، وجود استمرار التكذيب الذي حققه الفعل المضارع في (فاطر) (إن يكذبوك)، بخلاف سورة آل عمران التي

1-آل عمران:184

2-فاطر:18-25

3-آل عمران:183

ذكر فيها التكذيب بصيغة الماضي (وإن كذبوك). فكان التوكيد مناسبا من نواح عدة.

ث-تخفيف التوكيد بحسب المقام:

أشار السامرائي إلى أن التعبير القرآني يخفف التوكيد بإن المخففة، أو نون التوكيد الخفيفة، إذا ما اقتضى السياق و المقام ذلك نحو: قوله تعالى " قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[1] فهذا كلام إخوة يوسف وجهوه إليه فقالوا (وإن كنا لخاطئين) بالتخفيف ، في حين قالوا لأبيهم " قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[2] فقالوا (إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) بالتشديد، فعلل ذلك السامرائي بمناسبة التخفيف لحالة يوسف الذي أكرمه الله، و بوأه مكانة عالية بعد أداء إخوته له، عكس أبيهم الذي لحقه بعد فعلتهم الأذى و الوهن، و الضعف، و اللوعة، و حرقة الفؤاد، و ذهاب البصر...مما دفعهم إلى توكيد الاعتذار، و الاعتراف بالخطيئة، فكان التخفيف في مقامه المناسب، كما كان التشديد. ونحوه قوله تعالى " وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ"[3] فشدد النون في (لَيُسْجَنَنَّ)، ثم قال (وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ) بتخفيف النون و تفسير ذلك عند السامرائي هو

1-يوسف:90-92

2-يوسف:97-98

3-يوسف:

أن امرأة العزيز كانت أشد حرصا على سجن سيدنا يوسف، أكثر من أن يكون صاغرا فشددت في النون الأولى، وخففت في الثانية حسب المقام و القصد "فزاد نونا حيث اقتضى المقام زيادة التوكيد، و خفف حيث اقتضى تخفيفه"[1]

ج-الزيادة في التوكيد بحسب المقام:

وكما يخفف التعبير القرآني التوكيد، يزيد فيه إذا اقتضى المقام ذلك، ونماذج السامرائي كثيرة نذكر بعضها، قال تعالى " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[2] فقال في الأولى (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) وقال في الثانية (إِنَّا إِلَيْكُمْ لمُرْسَلُونَ) ، بين السامرائي أن الزيادة و الشدة في التكذيب في الآية الثانية اقتضت الزيادة في التوكيد، على ما كان عليه في الآية الثانية "فأنت ترى أن التكذيب و الإنكار في المرة الثانية كان أشد من المرة الأولى إذ قالوا (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) وهددوهم بالرجم إن لم ينتهوا عن دعوتهم، ولذا كان الرد في المرة الثانية أقوى ...فأكد بالقسم و إن و اللام "[3] ولتيبان مثل هذه الزيادة في التوكيد ذكر السامرائي

1- التعبير القرآني: ص 161.

2-يس:13-17

3- التعبير القرآني : ص 162.

الآيات التالية: "وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[1] فجاءت من دون توكيد وقوله تعالى " وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[2] فجاء الجواب مؤكدا. وقال تعالى "قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[3] فزاد اللام على الجواب المؤكد. فسر السامرائي هذا الاختلاف الموجود بين التعابير القرآنية بمطابقة و ملاءمة كل تعبير لسياقه و مقصديته، فجاءت الآية الثالثة آكدة على الثانية، و الثانية آكدة على الأولى حسب ما اقتضاه المقام؛ فالآية الثالثة التي زيد فيها التوكيد جاءت في بني إسرائيل الذين عبدوا العجل وكفروا كفرا صريحا بالله تعالى، و الآية الثانية جاءت مؤكدة لكنها أقل من الثالثة فهي على لسان سيدنا آدم، و زوجه بعد ما أكلوا من الشجرة و ارتكبوا معصية، لكنها أقل من الكفر الصريح، أما الآية الأولى فلم تأت مؤكدة، لأنها جاءت على لسان نوح الذي يطلب المغفرة و العفو، عن سؤاله الذي لا يرقى إلى معصية آدم، و لا إلى معصية بني إسرائيل ، و هكذا علل السامرائي الزيادة في التوكيد في آية الأعراف الثانية، وبين الفرق بينهما، و بين الآيتين الأخريتين "فأنت ترى أن التوكيد يتناسب و قدر المعصية، فلم لم يكن سؤال نوح معصية لم يؤكد كلامه، و لما كان فعل آدم معصية لربه أكده بالنون ، و لما كان

1-هود: 47
2-الأعراف: 23
1-الأعراف:149

فعل بني إسرائيل كفرا و ضلالا أكده بالنون و باللام الموطئة..."[1] ومن ذلك قوله تعالى " إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[2] فأكد بإن فقط، أما قوله تعالى " إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[3] فأكده ب (إن) وزاد (اللام) في (سريع) وهذا مقصود و مناسب لسياقه في منظور السامرائي، فالزيادة في التوكيد (لسريع) جاءت في سياق العقوبات العاجلة في الدنيا "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[4] وتخفيف التوكيد بحذف (اللام) مناسب أيضا لسياق العقوبات الآجلة في الآخرة " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[5] "فلما عجل لهم العقوبة في الدنيا في سورة الأعراف أكد سرعة العقاب بإن و اللام، و لما أمهلهم إلى يوم القيامة في سورة الأنعام قلل توكيد سرعة العقاب لأنه لم يسرع في عقوبتهم بل أمهلهم"[6]

و من الآيات التي زاد في توكيدها استجابة للمقام قوله تعالى " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"[7] فذكر

1- التعبير القرآني: ص 164.
2-الأنعام:.
3-الأعراف:167
4-الأعراف:165-167
5-الأنعام:164
6- التعبير القرآني: ص 167.
7-يس:03

السامرائي أن الإنكار كان شديدا لذلك أكد ب (إن) و (اللام) "...وذلك لشدة إنكار قومه رسالته كما بينت ذلك الآيات التي بعدها فقد ذكر أنهم غافلون و أنه حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون و أنه جعل من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا...فاستدعى ذلك الزيادة في التوكيد"[1] ، ومثله قوله تعالى " لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ"[2] فتفسير السامرائي لزيادة التوكيد وقوته في هذه الآية، راجع دائما لقوة و شدة المقام "بعد أن ذكروا تطيرهم بهم هددوهم بالرجم إن لم يكفوا عن دعوتهم، و قد أكدوا ذلك بالقسم وبنون التوكيد ...و أكدوا تهديدهم بنون التوكيد الثقيلة الداخلة على الفعل (لنرجمنكم) فكما أكدوا تطيرهم ب (إن) أكدوا تهديدهم بالقسم ونون التوكيد"[3] ، التفسير ذاته بالنسبة للآية الكريمة "إني إذا لفي ضلال مبين"[4] إذ أنه ربط توكيد هذه الآية بقوة و شدة الإنكار،"و قد أكد العبارة بإن و اللام ووصف الضلال بأنه مبين غير خفي...ولأن المقام يستدعي هذه التأكيدات مع ظهورها لأن المخاطبين ينكرون ذلك أشد الإنكار على ظهوره ووضوحه"[5]

و نماذج السامرائي التي استعمل فيها التوكيد كثيرة و متنوعة و تفسيره لها لا يكاد يخرج عن ما ذكرناه لذلك نكتفي بهذا القدر.

1- على طريق التفسير البياني،ج2:ص06.
2-يس:18
3-السامرائي،على طريق التفسير البياني. ج2.ص64.
4-يس:24
5- السامرائي،على طريق التفسير البياني. ج2.ص86.

الخاتمة

وبعد الانتهاء من هذا البحث أيقنا أن السامرائي من الدارسين الإعجازيين، والمفسرين المعاصرين الذين شغلتهم قضية الإعجاز القرآني، فألف "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل" و "التعبير القرآني " و "على طريق التفسير البياني" في جزأين و الجزء الثالث لم يتم بعد و "أسرار التعبير القرآني" إضافة إلى الكتب النحوية، و اللغوية التي تستمد من القرآن الكريم شواهدها ، فوهب السامرائي نفسه بما أوتيت من علم لتدبر، و دراسة، و تفسير كتاب الله عز و جل.

و قد أشرنا في مقدمة هذا البحث، و في المدخل إلى أن السامرائي قد دعا إلى التفسير البياني للقرآن الكريم، و تبناه، و رسم له خطوطه، و بين شروطه، و بعد البحث وجدناه قد طبق فعلا المنهج الذي نادى به، و سار على نهجه في كل مؤلفاته، فأضحى خيطا مشتركا يتميز به، معتمدا في ذلك على زاده العلمي اللغوي، و على النص القرآني الكريم، يتدبره و يتأمله و يقارنه بنصوص قرآنية أخرى، ليعود في الأخير للنص ذاته، مثبتا روعتة ودقتة، ومقصديته في اختياراته.

-لقد اعتمد السامرائي في تفسيره البياني على اللغة القرآنية ذاتها فوقف عند:

1-الكلمة (اسم، فعل ، حرف) بنية، و دلالة ، وبين مقصدية القرآن الكريم في اختياره للكلمة.

2-التركيب القرآني و ما يعتريه من تغيرات: كالتقديم و التأخير، و الذكر و الحذف والتوكيد. وربط كل ذلك بالدلالات، و المقاصد، ليثبت في كل مرة أن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، حسب فيه لكل جزئية من جزئياته حسابها.

- كما لاحظنا اهتمام السامرائي بالسياق والمقام و إعطائهما القيمة العالية.

-ولاحظنا غياب اهتمام السامرائي في تفسيره البياني بالجانب الصوتي إلا نادرا.

-لاحظنا كذلك غياب اهتمامه بالجانب المجازي للغة (كناية، استعارة،...) إلا ناذرا.

-ومع ذلك لا نستطيع أن ننفي تميز السامرائي في تفسيره البياني للقرآن الكريم عن بقية المفسرين المعاصرين، حيث كان تفسيره بيانا محضا، وكان همه الوصول إلى المقاصد والدلالات الدقيقة، باعتماده على طريقة مشوقة، و مقنعة، و هي الموازنة بين النصوص القرآنية المتشابهة، بغية الوصول إلى مناسبة كل استعمال إلى سياقه، وإثبات مقصدية القرآن الكريم.

-وفي الأخير يمكننا القول إن السامرائي قد أثبت بتفسيره هذا، قدرة المفسر البياني على الوصول إلى المعاني و المقاصد، بالاعتماد على مستويات اللغة (الصرفي، و الدلالي والتركيبي).

فهرسة الموضوعات

المقدمة	أ-ث
مدخل إلى التفسير البياني	01
أولا-التفسير العام	03
1-التفسير لغة	03
2-التفسير اصطلاحا	04
ثانيا-التفسير البياني عند السامرائي	06
الفصل الأول: التفسير الصرفي	11
تمهيد	13
أولا-بناء الكلمة ودلالته	15
1-الاسم و الفعل:	23
أ-العدول عن الفعل إلى الاسم :	31
ب-الرفع و النصب	33
2-أبنية الاسم ودلالتها	36
أ-التعريف و التنكير	36
ب-الإفراد و التثنية و الجمع	40
ج-العدول من صيغة اسمية إلى أخرى	57
-عجيب وعجاب:	59
-بريء و براء	60
مليك مقتدر و ملك قادر	61
سميع و سماع	62
الطهور و الطاهر	63
الكوثر و الكثير	64
أحد و واحد	65

عليم-عالم-علام	65
3-أبنية الفعل و دلالاتها	66
أ-أزمنة الفعل	67
أ-1-الفعل الماضي و الفعل المضارع	69
أ-2-الفعل الماضي و الاستقبال	72
أ-3-الفعل المضارع أرحب و أشمل الأزمنة	73
أ-4-الفعل الماضي و المضارع و الشرط	74
أ-5-فعل الأمر	76
2-المبني للمجهول و المبني للمعلوم:	78
3-الفعل المجرد و المزيد:	81
1-فعل-افتعل:	82
2-فعل-فعّل	83
-فعّل و أفعل	84
ثانيا-التغييرات التي تطرأ على البنية ودلالاتها:	86
1-الذكر و الحذف:	86
أ-الحذف من الفعل:	87
ب-حذف ياء المتكلم واجتزاء عنها بالكسرة:	91
ج-ذكر حرف المد وحذفه:	95
د-ذكر النون مع ضمير المتكلم و المتكلمين وحذفها	96
2-الإبدال:	99
أ-الإبدال و الإدغام	100

ب-إبدال حرف مكان حرف 106

الفصل الثاني: التفسير الدلالي 110

تمهيد 112

1-الكلمة مبنى و المعنى 112

2-معنى الكلمة و الترادف 113

3-منهج السامرائي في البحث عن مدلول الكلمة 120

أولا-دلالة الأسماء : 121

أ-اختيار الاسم المناسب في السياق الملائم دون غيره: 122

اسم الرّحمن 125

اسم "أحد" 127

اسمي (العزيز الرحيم) 128

اسم الفلق 129

اسم جند 130

اسم الخمود 130

اسمي الرسول و النبي 131

اسم الصريخ 132

الصيحة 133

اسمي الويل و الويلة 134

اسمي الأولى و الدنيا	134
النجد	135
المسغبة	136
الصدور	137
الطمس	137
الجبل	138
الحمد	139
اسم عبد	140
اسم صاحبكم	140
اسم الوالدين	141
ب-اختلاف الاسمين مع تشابه التعبيرين	142
ثانيا-**دلالة الأفعال:**	147
أ-اختيار الفعل المناسب في السياق الملائم دون غيره:	147
فعل نكتب	147
فعل جاء	147
فعل أعهد	148
فعل تعبد	149
الفعل انحر	149

الفعل حدث 150

الفعل يطعمون 150

الفعل نريد 150

الفعل أهلكت 151

الفعل ترضى 152

الفعل يعطيك 152

ب-اختلاف الفعلين مع تشابه التعبيرين: 153

ثالثا-دلالة الحروف: 156

أ-اختيار الحرف المناسب في السياق الملائم دون غيره: 157

ما 157

لا 161

الفاء 162

الفاء+إذا 164

الواو 166

أو 166

ثم 167

الباء 167

على 169

في 170

عن 170

من 171

من 173

إن 173

إذا و إن 174

لولا-لو 176

ب-اختلاف الحرفين مع تشابه التعبيرين: 177

1-حروف العطف 177

2-حروف النفي 179

3-حروف الجر 182

الفصل الثالث: التفسير التركيبي 185

تمهيد: 187

1: عناية الدارسين بالتركيب 187

1- الجملة القرآنية عند السامرائي 191

أولا-التقديم و التأخير 194

أ-القسم الأول: تقديم اللفظ على عامله 196

ب-القسم الثاني: تقديم اللفظ و تأخيره على غير عامله 201

ثانيا-الذكر و الحذف 213

أ-القسم الأول: ما حذف و أصله أن يذكر 218

ب-القسم الثاني: ما ذكر في موطن و لم يذكر في موطن آخر 227

ثالثا-التوكيد 235

أ-الإتيان بلفظ مؤكد في موطن ونزعه في موطن شبيه به 240

ب-أن يختص حرف بالدلالة على التوكيد دون نظيره 244

ت-تكرار اللفظ الذي يريد القرآن توكيده 246

ث-تخفيف التوكيد بحسب المقام 250

ج-الزيادة في التوكيد بحسب المقام 251

الخاتمة 257

فهرسة الموضوعات 261

قائمة المصادر و المراجع 270

قائمة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

-القرآن الكريم

1-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5 ، 1984م.

2-أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر ، مارس 2005م.

3-أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تقديم محمد بن المعطي، دار الكيان الرياض.

4-أحمد عبد الستار الجواري ، نحو الجمل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، طبعة جديدة ، 2006م.

5-أحمد عمر أبو حجر ، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار المدار الإسلامي ، ط2 بيروت، 2001م.

6-أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية ، إشراف و تقديم نور عتر (رسالة مقدمة لنيل الماجيستير) دار المكتبي، ط 2 ، سوريا 1999م.

7-الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، مطابع دار المعارف بمصر 1971م.

8-بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1 و ج2 ، دار المعارف.

9-الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان و التبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج1 مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7 ، القاهرة ،1998م.

10-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجازــ ت علي محمد زينو ، مؤسسة الرسالة ، ط1 2005م.

11-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ت محمد محمود التركزي الشنقيطي و محمد رشيد رضا ، دار الكتب ، ط1 ، بيروت، 1988م.

12-الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات، ت إبراهيم الأبياري، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت 1998م.

13-ابن جني ، أبو الفتح عثمان، الخصائص ، ت محمد النجار، ج2، المكتبة العلمية.

14- ، أبو الفتح عثمان، المنصف، ت ابراهيم مصطفى، ج1، ط1، 1954م.

15-حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، الكتاب الرابع، 1970م.

16-حنان جميل عابد، الصيغ الصرفية و دلالاتها في ديوان عبد الرحمن محمود، إشراف صادق عبد الله أبو سليمان (رسالة مقدمة لنيل الماجيستير) جامعة الأزهر، غزة 2011م.

17-خديجة لحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة بغداد، ط1 1965م.

18-الزركشي، بدر الديم محمد عبد الله،البرهان في علوم القرآن، ت حمدي الذهبي و عبد الله الكردي، ج1 دار المعرفة، بيروت.

19-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل، ت علي بوملحم، دار مكتبة الهلال ط1،بيروت 1993م.

20-زين كامل الخويسكي، قواعد النحو و الصرف، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الأسكندرية، 2002م.

21-السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية و المعنى، دار ابن حزم،ط1، بيروت 2000م.

22- ، على طريق التفسير البياني، ج1 و ج2 ، جامعة الشارقة للنشر العلمي الشارقة 2002م.

23- ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر ط3 عمان 2003م.

24- ،معاني النحو، ج1 و ج2، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط2 القاهرة ، 2003م.

25- ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط2، القاهرة، 2006م.

26- ، التعبير القرآني، دار عمار ، ط4 ، عمان ، 2006م.

27- ، الجملة العربية تأليفها و أقسامها، دار الفكر ، ط 2، الأردن 2007م.

28- ، معاني الأبنية في العربية، دار عمار ، ط2، الأردن 2007م.

29- ، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة الشارقة، و مكتبة التابعين القاهرة ، ط1، 2008م.

30-سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب،ت إميل بديع يعقوب، المجلد1و2 دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1999م.

31-سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة (ج1، ط3، 1988م) و (ج2،ط2 ، 1982م).

32-السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ت محمد أحمد جاد المولى و آخرون، ج2 ، دار الجيل ، بيروت.

33- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ت عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، ج1، ط1، القاهرة 2006م.

34-شكيب غازي بصري الحلفي، ألفاظ السمع في القرآن الكريم، إشراف علي كاظم أسد (رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه) كلية الآداب جامعة الكوفة، آدار 2008م.

35-طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية ، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية 1998م.

36-عائشة عبيزة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، إشراف سعيد هادف (رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه) ، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009م.

37-عائشة محمد سليمان قشوع، الأبنية الصرفية في السور المدنية، إشراف عائشة أحمد حسن حمادة (رسالة مقدمة لنيل الماجيستير) نابلس فلسطين 2003م.

38-عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط3، مصر 1974م.

39-عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، بيروت 1985م.

40-ابن عصفور الاشبيلي، الممتع في التصريف، ت فخر الدين قباوة ،ج1، دار المعرفة ط1، لبنان 1987م

41-ابن عقيل ، شرح الألفية،ت هادي حسين حمودي، ج1 و ج2، دار الكتاب العربي ط3، بيروت 1996م.

42-العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم الطراز، ج1، المكتبة العصرية، ط1، بيروت 2002م.

43-ابن فارس، مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، المجلد الرابع، ط1، بيروت 1991م.

44-فارس محمد عيسى، علم الصرف منهج في التعلم الذاتي، ط1، الأردن 2000م.

45-فضل عباس و سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، ط1، عمان 1991م.

46-القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ت عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط2، القاهرة 2004م.

47-الكوفي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ت عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1998م.

48-المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، المقتضب، ت محمد عبد الخالق عضيمة ، ج1، عالم الكتب.

49-محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، دار الشروق، ط1، القاهرة 2000م.

50-محمد ياسر خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، إشراف خليل بنيان الحسنون (رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه) جامعة بغداد، 2005م.

51-ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، دار البيان، المجلد الرابع، بيروت 1998م.

52-هدى جنهوتشي، الأبنية الصرفية و دلالاتها في شعر عامر بن الطفيل، دار التيسير، ط1، عمان 1995م.

53-ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش علي الموصلي ، شرح المفصل للزمخشري، ت إميل بديع يعقوب، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2001م.

فهرسة المجلات:

1-بيان شاكر جمعة و مهند حمد شبيب (قراءة في نظرية النظم) مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الأول، المجلد الأول، آدار 2009م.

2-جون سيرل (ثورة تشومسكي في مجال اللغة) تر الطاهر قبية، مجلة الجامعة المغاربية العدد السابع للسنة الرابعة، 2009م.

3-صفية طبني (بنية التركيب النحوي و علاقته بالدلالة) مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد الخامس، 2009م.

4-فضل حسن عباس (الكلمة القرآنية و أثرها في الدراسات اللغوية) مجلة مركز بحوث السنة و السيرة الأردن، العدد الرابع، 1989م.

5-محمد أمين الروابدة (صيغ المبالغة القياسية اتحاد المبنى و المعنى) ، المجلة الأردنية في اللغة العربية و آدابها ، المجلد الثاني، العدد الثاني، ربيع الأول، 2006م.

6-نجود هاشم الربيعي (الجرجاني و تحليل النص) المجلة الثقافية الشهرية ، العدد 99.